المَوَاهِبُ السَّنِيَّة
شَرْحُ حِزْبِ الفَتْح
لِلسَّادَةِ الوَفَائِيَّة

لشيخ الإسلام محمد بن تاج الدين أحمد الوسيمي الشافعي

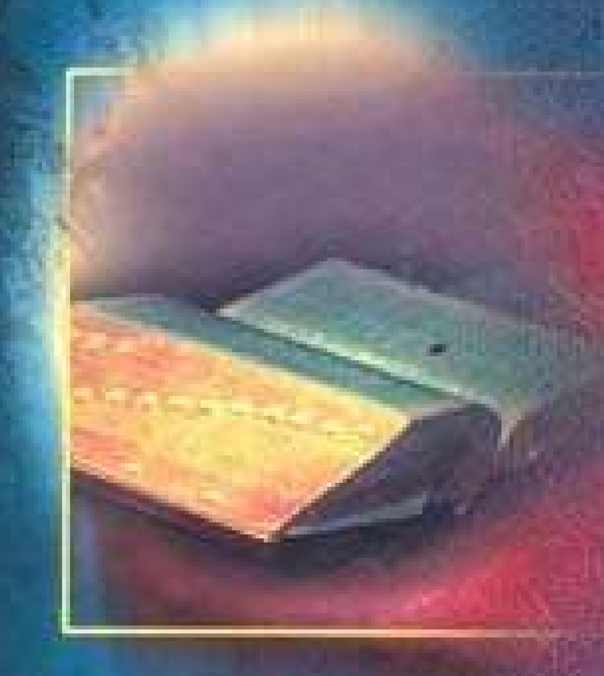
المتوفى ١٠٠٦هـ

ويليه

خصوصية الاصطفا لأهل الوفا

لسيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى [illegible]



ويليه

مناهل الصفا
بإثبات نسب السادات بني الوفا
بآل المصطفى ﷺ

للشيخ أبي عامر علي بن عامر الإيناري

من علماء القرن الثاني عشر

تحقيق وتعليق

الشيخ أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
أسسها محمد علي بيضون
1971

المواهب السنية

شرح حزب الفتح للسادة الوفائية

لشيخ الإسلام محمد بن تاج الدين أحمد الوسيمي الشافعي

المتوفى ١٠٠٦ هـ

ويليه

خصوصية الاصطفا لأهل الوفا

لسيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا

المتوفى ٨٠٧ هـ

ويليه

مناهل الصفا
بإثبات نسب السادات بني الوفا
بآل المصطفى ﷺ

للشيخ أبي عابر علي بن عابر الإبيادي

من علماء القرن الثاني عشر

تحقيق وتعليق

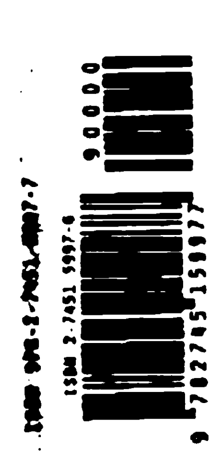
الشيخ أحمد فريد المزيدي



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohamad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title	: AL-MAWĀHIB AL-SANIYYAH ŠARḤ ḤIZB AL-FATḤ LIL-SĀDAH AL-WAFĀʾIYYAH Followed by ḪUṢŪṢIYYAT AL-ʾIṢṬIFĀ LI ʾAHL AL-WAFĀ Followed by MANĀHIL AL-ṢAFĀ BI ʾIṮBĀT NASAB AL-SĀDĀT BANI AL-WAFĀ BI ʾĀL AL-MUṢṬAFĀ ﷺ	المواهب السنية شرح حزب الفتح للسادة الوفائية ويليه خصوصية الاصطفا لأهل الوفا ويليه مناهل الصفا بإثبات نسب السادات بني الوفا بآل المصطفى ﷺ	: الكتاب
Classification	: Sufism	تصوف	: التصنيف
Author	: Muhammad ben Tājuddīn al-Wasīmi and Sīdī ʿAlī Wafā ben Muḥammad Wafā and ʿAlī ben ʿĀmir al-ʾĪtādī	محمد بن تاج الدين الوسيمي وسيدي علي بن محمد وفا وعلي بن عامر الإيتادي	: المؤلف
Editor	: Aḥmad Farīd al-Mizyadī	الشيخ أحمد فريد المزيدي	: المحقق
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	دار الكتب العلميـــة - بيروت	: الناشر
Pages	: 272	272	: عدد الصفحات
Size	: 17*24	17*24	: قياس الصفحات
Year	: 2010	2010	: سنة الطباعة
Printed in	: Lebanon	لبنـــان	: بلد الطباعة
Edition	: 1st	الأولى	: الطبعة





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

حمدًا لمن أطلع شموس أسراره في سماء سنائه، إرشادًا لأوليائه، وأشرق بدور أسمائه من عرش رحمته على فرش حكمته إشهادًا لأصفيائه، فوضعوا الأحزاب الجامعة للفوائد، ورتبوا الأوراد الحالية للخرائد؛ فسكن بها أتباعهم قصور قبابه وستور أحبابه.

أحمده على ما أظهر من حقائق عوارف المعارف، وأشكره على ما أوضح من طريق صوارف المصارف، حمد مَن شرب من مشارب أهل الصفا، وشكر مَن طرب على مآرب آل الوفا، فجنى ثمرات الأدوية العرشية من شجرات الأودية الفرشية لأطباء روحانية وحكماء رحمانية، يداوون بجواهر الأدعية المستجابة، ويُعالجون بفواخر الأدوية المستطابة من مجربات فواتح آياتها شافية، ومركبات فوائح دلالاتها كافية.

والحمد لله الذي فتح لأوليائه طرق الوسائل، وأجرى على أيديهم الكريمة أنواع الفضائل، فمن اقتدى بهم انتصر واهتدى، ومن حاد عن طريقهم انتكس وتردى، ومن تمسك بأذيالهم أفلح وملك، ومن قابلهم بالاعتراض انقطع وهلك، أحمده حمد من لا ملجأ إلا إليه، وأشكره شكر من تحقق أن خير الدنيا والآخرة في يديه، وأستعينه استعانة من لا يعول في الأمور كلها إلا عليه، وأستخيره استخارة موقن أن الخيرة في كل الأمور لديه، وأصلي على سيدنا محمد وأسلِّم، وعلى آله وأصحابه عدد خلق الله الكريم وأفضاله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد أُحسي كأس المحبة من لجج بحر القربة؛ فوحد وما ألحد، وكان في كل مقام مفرد.

وأشهد أن سيدنا محمد عبده المصطفى ﷺ، وحبيبه المجتبى الذي أفرغت عليه حلة الشهود في حضرة الوجود، صلى الله عليه وعلى جميع الآل والأصحاب والعشيرة والأحزاب ما هبّت نسمات الألطاف الإلهية في الأسحار على التالين للأوراد والأذكار، وأمطرت عليهم سحائب الأنوار درر الأسرار، صلاة وسلامًا دائمين متلازمين بدوام رحمة الله في دار القرار. ثم أتوجه لتنبيه لطيف يكون كافتتاح وتعريف، أنه هذه الدرر الثلاثة التي بين أيديكم، تكملة لما أمرنا به وامتثلنا له بتحقيق تراث السادة الوفائية

- رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُم- المعروفة مناقبهم وفضائلهم، وأنهم القطب الكمل، رجاء التماس شيئًا من بركاتهم وكراماتهم، وطلبًا لنفعهم وإحسانهم وتفضلهم ومن الله المعتمد في بلوغ التكميل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله المستعان وعليه التكلان.

هذا.. وقد خرجت مجموعة عظيمة وغير قليلة من تراثهم النادر المبارك، وكذلك من تراث من ترجم لهم أو شرح حزبًا من أحزابهم أو قصيدة من قصائدهم.

وقد قمت بالضبط والتحقيق، والتعليق والتخريج والعزو للبعض والتوثيق، وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي 0101463027



ترجمة المصنف

هو الشيخ العلامة الإمام العمدة العالم محمد بن تاج الدين أحمد الوسيمي الأنبابي الشافعي.

الوسيمي بفتح ثم مهملة مكسورة محمد بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن محمود العمري الكاتب. «الوناني» نسبة لونا من قرى الصعيد بالقرب من بوش أحمد ومحمد ابـــنا إسماعـــيل بن محمد بن أحمد، وابن ثانيهما البدر محمد؛ وقاضي الخانكاه الشمس محمد بن محمد بن عثمان وابنه أبو الوفا محمد. تلميذ ابن حجر العسقلاني.

قـــال الشيخ الكتاني: أخذ عنه البرهان اللقاني والنور عليّ الزيادي، كلاهما عن المعمـــر محمد الوسيمي المصري الشافعي، وهو عن الحافظ ابن حجر، ذكر أخذه عنه جازمًـــا به الحافظ الزبيدي في العقد المكلل، وهو عندي بعيد، وقد ترجم للوسيمي المذكـــور المحبي في «الخلاصة» قائلاً: رأيت ترجمته بخط الشيخ مصطفى بن فتح الله فقال فيها: أخذ عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ولازمه سنين، وأدرك الحافظ ابن حجـــر، وله عنه روايات، وبلغني أن شيخ الإسلام زكريا كان يجله لذلك كعادته مع كـــل من أدرك الحافظ ابن حجر. ونقل شيخنا الحافظ محمد بن العلاء البابلي عنه أنه كـــان يقول في شأن الحافظ ابن حجر: الحديث فنه والشعر طبعه والفقه يتكلف فيه؛ روى عـــنه النور الزيادي وسالم الشبشيري والبرهان اللقاني والنور الأجهوري كثيرًا، وكان لا يترك قراءة الحديث صيفاً وشتاء.

عاش أكثر من مائة وخمسين سنة توفي سنة 1006 ست وألف صنف:

- غاية الفخر في شرح حزب البحر.
- المواهب السنية بشرح حزب السادة الوفائية.

انظر: عجائب الآثار (1/ 59)، هدية العارفين (2/85)، الضوء اللامع (5/361)، فهرس الفهارس (1/128).

❁❁❁

الصفحة الأولى من بداية المخطوط

نموذج من المخطوط



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المتفرد بالوحدانية، والصفات الأزلية المتوحد بالصمدانية، واستحقاق العبادة والربوبية الذي فتح أبواب السعادة للمريدين، ودلّ من اختاره لعبادته على طريق السالكين، وأوصل من اصطفاه من خلص عباده إلى مراتب العارفين، وعلم من اجتباه وهداه من اصطفائه من علم اليقين، وحقق من حفظه وصانه عن الأغيار بحق اليقين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله سيد المرسلين ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد:

فهذا مجموع على صورة شرح لطيف، على الحزب الشريف المنسوب للعارف الرباني والقطب الصمداني صاحب الكرامات المشهورة، والمناقب المأثورة المسطورة، والحكم الفائقة، والإشارات الرائقة لسان زمانه وشيخ وقته وأوانه سيدي محمد أبي الفضل وفا، نفعنا الله تعالى ببركاته ورضي عنه وعنا، وأنشقنا من نفحات أسراره العاطرة، وأشرف علينا من لمعات أنوار علومه في الدنيا والآخرة، جعلته مجلبة لأنسي، وتذكرة لأبناء جنسي، وذخيرة لرمسي، ورجاء لمغفرة خطيئتي في يومي وأمسي، جمعت فيه من متفرق كلام القوم ما يعظم وقعه، ويعم - إن شاء الله تعالى- ببركة أنفاسهم العاطرة نفعه، وسميته: «المواهب السنية بشرح حزب السادة الوفائية» وإيضاح الخفاء بشرح حزب سيدي أبي الفضل وفا، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يفيض عليّ من سحائب فضله العميم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال المصنف ﷺ: [بسم الله الرحمن الرحيم. يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم. اللهم إني أومن بك وبملائكتك وكتبك ورسلك وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وأقر بوحدانيتك، وأستعينك وأتوكل عليك، وأستغفرك وأتوب إليك، وأخشى سطوتك، وأرجو رحمتك، يا مؤمن يا باعث يا وارث يا واحد يا معين يا كافي يا غفار يا تواب يا قهار يا رحمن يا رحيم. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين].

قال الشارح ﷺ: [بسم الله الرحمن الرحيم] أي: ابتدأ والاسم مشتق من السمو وهو العلو، وقيل: من الوسم وهو العلامة، والله: علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، والرحمن الرحيم: صفتان مشبهتان مبنيًا للمبالغة من رحم لتنزيله منزلة اللازم، والرحمة رقة القلب تقتضي التفضل، فالتفضل غايتها، وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك إنما تؤخذ باعتبار الغاية دون المبدأ، والرحمن أبلغ من الرحيم؛ لأن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى غالبا، وبدأ بالبسملة عملاً بخبر «كل أمر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع»[1] ولكون الغرض إنما هو التبرك بالابتداء بذكر اسم الله تعالى[2].

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (4/432).

(2) اعلم أن قوله: (بسم الله الرحمن الرحيم) يبحث عنها بما يناسب علم الحديث الذي هو علم يعرف به ما روي عن النبي ﷺ ومن وجهين: الأول: من جهة طلب الابتداء بها، ودليله الحديث المشهور على ألسنة الجمهور وهو قوله ﷺ: «كل أمر ذي بال، لا يبدأ فيه ببسم الله الرّحمن الرّحيم فهو أبتر»(2)، وفي رواية: «فهو أقطع»، وفي أخرى «فهو أجذم». وأوضح منه في الدلالة عليه ما في الجعبري من قوله ﷺ: «وأوّل ما كتبه القلم بسم الله الرحمن الرحيم؛ فإذا كتبتم كتابًا فاكتبوها أوله، وهي مفتاح كل كتاب أُنزل؛ ولّما نزل علي جبريل بها أعادها ثلاثًا، وقال: هي لك ولأمتك فمرّهم لا يدعوها في شيء من أمورهم فإني لم أدعها طرفة عين مذ نزلت على أبيك آدم ﷺ وكذلك الملائكة، وفي رواية «إذا كتبتم كتابًا فاكتبوا في أوله بسم الله الرحمن الرحيم وإذا كتبتموها فاقرءوها».
وروي عنه ﷺ أنه قال: «تخلّقوا بأخلاق الله». ولا شك أن عادته تعالى في ابتداء كل سورة الإتيان بالبسملة سوى براءة، فنحن مأمورون به. «والثاني» من جهة فضلها ولا يمكن الإحاطة به لعدم انحصاره، ولنذكر بعضه وإن لم يثبت عندنا شرط الرواية فيه لجواز رواية الأحاديث الضعيفة في الفضائل سيّما إذا وافقت القياس.
منها: قوله ﷺ: «إنّ أوّل ما جرى به القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرّحمن الرّحيم، وإنه أوّل ما نزل على آدم، وإنّها أمان أهل السموات والأرض، وإنّها كلمة جواز من الله تعالى وإنّها خاتم الله لعباده الموحدين».
وقوله ﷺ: «إن المعلم إذا قال للصبي قل: بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم، كتب الله تعالى براءة للصبي، وبراءة لأبويه، وبراءة للمعلم من النّار».

اقتصرﷺ كالإمام البخاري في «صحيحه» على ذكر البسملة.

وأما الباء قبل اسم المضاف إلى الله مرادًا به اسمه تعالى؛ فإنما هي وسيلة إلى ذكره على الوجه المطلوب فلم يخل بالابتداء باسمه تعالى، واعلم أن هذا الحزب

ومنها قوله ﷺ: «كل ما في الكتب المنّزلة فهو في القرآن، وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة، وكل ما في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمن الرحيم».

وروي: «أنّه لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم اهتزّت لها الجبال الراسيات، وتزلزلت الأرضون السبع، والسموات، وازدادت الملائكة إيمانًا، والمخلوقات يقينًا، وخرّت الجن على وجوهها، وتحركت الأفلاك، وحركت لعظمتها الأملاك، وكانت مكتوبة على جبين آدم عليه السلام، وعلى جناح جبريل حين نزوله على إبراهيم وهو ملقي في النار فكانت بردًا وسلامًا عليه، وعلى عصا موسى عليه السلام بالعبرانية فانفلق البحر بضربة بها، وعلى لسان عيسى عليه السلام فتكلم في المهد وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وعلى خاتم سليمان».

وروي: «من قالها مؤمنًا سبّحت معه الجبال إلاّ أنه لا يسمع تسبيحها، وقالت الجنّة لبيك اللهم وسعديك إلهي إنّ عبدك فلانًا قال: بسم الله الرحمن الرحيم، اللّهم زحزحه عن النار، وأدخله الجنة».

وروي: «وأنّها لو وضعت في كِفة الميزان ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن في الأخرى لرجحت عليها، وقد جعلها الله أمنًا من كل بلاء، ودواء من كل داء، وحرزًا من الشيطان الرجيم وأمنة هذه الأمة من الخسف، والمسخ والقذف والغرق فالزموا تقريرها، وتقربوا بها إلى ذي الجلال والإكرام». وروي: «وأنّ من كتبها غفر له».

وعن جابر رضي الله عنه قال: «لَما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم آذانها، ورجمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزّته لا يسمي اسمه على شيء إلا شفاه، ولا يسمي اسمه على شيء إلا بارك عليه، ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من أراد أن ينجيه الله من الزّبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فإنّها تسعة عشر حرفًا ليجعل الله كل حرف منها جُنه له من كل واحد منهم».

وقال بعض أهل المعرفة: البسملة كلمة قدسية من كنـــز الهداية، وخلعة ربوبية من خلع الولاية، ووصلة قربية لأهل العناية، ورحمة خاصة لأصحاب الجناية، ويكفيها شرفًا كونها في أول كل سورة من كلام الحكيم الخبير انتهى نقلاً عن سيدي محمد عليش في القول المنجي (ص29) بتحقيقنا.

الشريف مع اختصار ألفاظه وحجمه اللطيف، قد اشتمل تعريضًا وتصريحًا وإشارة وتلويحًا على ما تعتقد السادة الصوفية، وعلى معظم اصطلاحاتهم العلية، ومقاماتهم الكسبية، وأحوالهم الوهبية، وقد افتتحه بذكر الاعتقاد؛ لأنه أسٌ لما عداه من حيث الاعتداد، وقدم توحيد الجنان على توحيد اللسان؛ لموافقة حديث البخاري في تقديم الإيمان على الإسلام، وإن خالف ما في رواية مسلم من تقديم الإسلام على الإيمان، ولموافقة الواقع أيضًا فإنه لا يقر أحد بالتوحيد باللسان مع القبول والتسليم والإذعان، إلا بعد أن يمتلئ قلبه بنور الإيمان، وينشرح صدره بمشاهدة بصيرته بالعيان؛ ولأن معرفة الله أول واجب على الإنسان.

[اللهم] أصله يا الله؛ لأن الجمع بين حرف النداء وحرف التعريف في ندائه تعالى لا يختص بالضرورة، وقد كثر في هذا الاسم حذف حرف النداء، وتعويض الميم المشددة في آخره عنه، فقيل: اللهم، فلا يجوز الجمع بين العَوض والمعوض؛ إلا في الضرورة كقول الشاعر:

إني إذا ما حدث ألما أقول يا اللهم يا اللهما

وقال الكوفيون: إن الميم في اللهم ليست عوضًا عن حرف النداء، وإنما هي بقية جمله محذوفة وهي (آمنا بخير) فلذا جوزوا الجمع بينهما في الاختيار.

قالوا: ولا يستعمل إلا في الطلب فلا يقال: اللهم غفور رحيم؛ بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ويجوز أن يستعمل في موضع لا يكون بعده دعاء كقوله ﷺ: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى»[1] وقوله ﷺ: «اللهم إني أصبحت أشهدك»[2]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ [آل عمران: 26].

وقال الحسن البصري ﷺ: اللهم مجمع الدعاء.

وقال النضر بن شميل: من قال «اللهم» فقد دعا بجميع أسمائه، ووجه قوم هذا القول: بأن الميم هنا بمنزلة الواو الدالة على الجمع فإنها من مخرجها، وكأن الداعي بها يقول يا الله الذي اجتمعت فيه الأسماء الحسني والصفات العلا.

(1) رواه النسائي (6/127).

(2) رواه أبو داود (4/317).

وقال أبو رجاء العطاردي: الميم فيها تجمع سبعين اسمًا من أسمائه، وقال ابن ظفر: إنها الاسم الأعظم، واستدل لذلك بأن الله دال على الذات والميم دالة على الصفات التسعة والتسعين؛ أي: أومن بك؛ أي: أصدق بوجودك وصفاتك التي لا تتم صفة الألوهية إلا بها ورفض كل معبود سواك، والإيمان في اللغة: التصديق مأخوذ من الأمن، كأن حقيقته آمن به أمنة التكذيب والمخالفة، وأما في الشرع، فقال القاضي: أن التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد ﷺ كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء، أو بمجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والإقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج، فمن أخل بالاعتقاد وحده فمنافق، ومن أخل بالإقرار فهو كافر، ومن أخل بالعمل فهو فاسق وفاقا وكافر عند الخوارج، خارج من الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة، وأما بلسان القوم، فقال ابن حنيف: الإيمان تصديق القلب بما أعلمه الحق.

قال ابن أبي النواس البغدادي: هو الذي يجمعك إلى الله، ويجمعك بالله تعالى، قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:65]، فيه دلالة على أن الإيمان الحقيقي لا يحصل إلا لمن حكم الله ورسوله على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا؛ فتبين لك من هذا أنه لا يحصل له حقيقة الإيمان بالله إلا بأمر من الامتثال لأمره، والاستسلام لأمره سبحانه، انتهى .

[وأومن بملائكتك] أي: اعتقد أنهم عبادك المكرمون، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وجمهور المسلمين على أنهم أجسام لطيفة نورانية تظهر في صور مختلفة، وتقوى على أفعال شاقة، ودل على عصمتهم قوله تعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم:6]، فيجب الإيمان بهم، وأنهم كذلك لا يمكن إحصاء عددهم قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر:31]، والملائكة جمع ملاك كالشمائل، والتاء لتأنيث الجمع، وهو مقلوب مَألَك من الألوك وهي الرسالة؛ لأنهم وسائل بين الله وبين الناس، وقدم الإيمان بهم على الإيمان بالرسل، كما اطرد ذلك في الكتاب والسنة لتقدمهم في الوجود، ولأن وجودهم أخفى؛ فكان الإيمان بهم أقوى وبالتقديم أولى، وللترتيب الواقع في تحقيق معنى الرسالة، فإنه يقال:

أرسل الله الملك إلى الرسول لا لتفضيلهم على الرسل، كما زعم المعتزلة.

[وأومن بكتبك] أي: بأنها كلامك، وأن ما تضمنت حق، وجميع ما أنزلته منها على رسلك إجمالاً، وأجزم بما ورد في الكتاب العزيز من إنزال التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن إنزال صحف إبراهيم وموسى.

[وأومن برسلك] أي: بأنهم صادقون فيما أخبروا به عنك، وبجميعهم أيضًا لا أفرق بواحد منهم، وبأنك أرسلتهم مبشرين لأهل الإيمان والطاعة بالجنة والثواب، ومنذرين لأهل الكفر والعصيان بالنار والعقاب، واقتصر على الرسل مع أن الإيمان بالأنبياء مطلقا واجب؛ لأن النبي والرسول بمعنى واحد على ما قاله بعض العلماء؛ أي: لأن الأنبياء تابعون لهم متمسكون بشرائعهم، فكان الإيمان بهم إيمانًا بالأنبياء وتصديقًا لهم، كما أفاده بعضهم، وهذا الترتيب مطابق؛ لأنه آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وسئل ﷺ عن عدد الأنبياء، فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا المرسل من ذلك ثلاثمائة وثلاثة عشر جماعهما»[1] كما في رواية ابن حبان، وأما رواية مائتي ألف كما في «شرح العقائد»، فقال الكمال بن أبي شريف: أنه لم يرها، وقال الجلال السيوطي أيضًا في تخريج أحاديث الشرح المذكور: أنه لم يقف عليها.

[وأومن باليوم الآخر] أي: اعتقد حقيقته وأنه واقع لا محالة، وأصدق بما يقع فيه من الحساب والميزان ودخول الجنة والنار، وسمي يوم القيامة باليوم الآخر؛ لأنه آخر أيام الدنيا أو الأزمنة المحددة وهو من وقت الحشر الى ما لا يتناهى، أو إلى أن يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار، النار، ولا بأس بذكر طرف مما يتعلق بالإيمان؛ فمن ذلك أنه في اللغة التصديق؛ أي: إذعان حكم المخبر وقبوله وجعله صادقا، وأما في الشرع فهو تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله كما تقدم؛ أي إجمالاً فإنه كافٌ في الخروج عن عهدة الإيمان، ولا ينحط عن الإيمان التفصيلي؛ أي: في الاتصاف بأصل الإيمان، وإن كان التفصيلي أزيد بل أكمل، كما في «شرح العقائد» والمراد القبول والإذعان والانقياد والاطمئنان لهذا البيان، ويحصل

---

(1) رواه أحمد في المسند (265/5).

التكليف به، وإن كان من الكيفيات النفسانية دون الأفعال الاختيارية بالتكليف بأسبابه كالفناء الذهني، وتوحيد الحواس، ورفع الموانع.

قال السعد: وكان هنا هو المراد بكونه كسبيا واختياريا؛ ثم إنه لا يعتبر ولا يعتد به إلا مع التلفظ بالشهادتين من القادر عليه، كما حكي في «شرح مسلم»: الاتفاق عليه؛ لكن في الشفاء حكاية خلاف فيمن صدق بقلبه، وطالت مهلة، وعلم ما يلزمه من النطق بالشهادتين فلم ينطق بهما، وإن صحَّ أنه ليس بمؤمن وحكاه الفخر الرازي أيضًا في «شرح الأسماء الحسنى»: وهل التلفظ بهما شرط أو شطر فيه خلاف.

قال السعد وجمهور المحققين: على أنه شرط لإجراء أحكام الدنيا، قيل: ولا تظهر فائدة الخلاف إلا مع القول بذلك، فمن قال أنه شرط فهو ناج في الآخرة، ومن قال إنه شطر فليس بناج، أما إذا قلنا بأنه شرط لإجراء أحكام الآخرة فلا تظهر فائدة الخلاف.

ومذهب جمهور المحدثين والمتكلمين والفقهاء: أن الإيمان تصديق بالجنان، وإقرار باللسان، وعملٌ بالأركان، ومذهب الشافعي ﷺ: إن هذا هو الإيمان الكامل، وأما قبوله للزيادة والنقصان فهو على هذا ظاهر، وأما على الأول فقيل بعدم قبوله لذلك، قال في «شرح مسلم» بعد نقله عن المحققين من أصحابنا المتكلمين: وهذا وإن كان ظاهرًا حسنًا فالأظهر والله أعلم أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وبظاهر الأدلة، ولهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم، بحيث لا يعتريهم الشبهة ولا يتزلزل إيمانهم بعارض؛ بل لا تزال قلوبهم منشرحة نيرة، وإن اختلفت عليهم الأحوال، وأما غيرهم من المؤلفة ومن قاربهم فليسوا كذلك، وهذا مما لا يمكن إنكاره، ولا يتشكك عاقل في أن نفس الصديق أبي بكر لا يساويه تصديق آحاد الناس، ولهذا قال البخاري في «صحيحه»، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ما منهم أحد يقول أنه على إيمان جبريل وميكائيل، انتهى.

وهذا ما نقله السعد عن بعض المحققين: قال الكمال من هذا البعض صاحب المواقف، ومنهم أيضًا الإمام النووي وساق عبارته السابقة، وقال في «شرح التعرف»: هذا كلام النووي رحمه الله تعالى، والحق أن التصديق لا يمتنع قبوله الزيادة والنقصان بمعنى القوة والضعف، وبمعنى كثرة الإفراد وقلتها؛ إذ لاشك أن تصديق صاحب

الشهود والعيان أقوى من تصديق صاحب الدليل والبرهان، وتصديق صاحب الدليل والبرهان أقوى من دليل المقلدين في أهل الإيمان، وإفراد إيمان من تقل غفلاته وفتراته، أكثر من إفراد إيمان غيره، وكذلك من كان إطلاعه على ما يجب الإيمان به من صفات الرب تبارك وتعالى، ومن الملائكة والكتب والرسل وغير ذلك أكثر، كان إفراد إيمانه أكثر من إفراد إيمان من اطلاعه على ذلك أقل، وإذا وجد من العبد التصديق والإقرار جاز له أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ بل يؤثره على الجزم، كما نقل عن ابن مسعود ﷺ إما للتأدب أو التبرك بذكر الله تعالى، أو التبري عن تزكية النفس، وإما الخوف من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى كما تقول: أنا متق إن شاء الله، أو زاهدٌ إن شاء الله لا شكا في الحال، فلأنه كفر لا محالة، قال في «شرح مسلم»: وأما الكافر ففيه خلاف غريب لأصحابنا منهم من قال هو كافر، ولا يقول إن شاء الله، ومنهم من قال هو في التقييد كالمسلم على ما تقدم، فيقال: على قول التقييد هو كافر إن شاء الله نظرا إلى الخاتمة وأنها مجهولة وهذا القول اختاره بعض المحدثين والله أعلم.

[وأؤمن بالقدر] هو ما يقع من العبد المقدر في الأزل، فهو بمعنى اسم المفعول أي المقدور حقيقة عرفية، ومعناه المصدري إيجاد الشيء على وجه خاص، ويجري على الألسنة مع ذكره ذكر القضاء، وهو إرادته تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال خيره وشره؛ أي: أنهما منه تعالى بخلقه وإرادته، وحاصل الأمر أن الله تعالى قدر الأشياء في الأزل وعلم أنها تقع فيما لا يزال في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة على حسب ما قدرها في الأزل، ومنها يثيب العبد فضلا منه تعالى على ما اكتسب منها إن كان طاعة، ويعاقبه على ما اكتسب منها عدلا إن كان معصية من غير جبر عليها ولا تعريض، فالله تعالى خالق الخير والشر جميعا والعبد كاسب لا خالق، وضل من قال: إن الخير من الله والشر من غيره لتعاليه أن يكون في ملكه ما لا يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قال ﷺ: «الإيمان بالقدر نظام التوحيد»[1] أخرجه من «الجامع الصغير» عن الديلمي، ثم أنه لما ذكر الإيمان مع

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (197/7).

ما يتعلق به عقبه بالإسلام، وهو لغة الاستسلام وشرعا أعمال الجوارح كالنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك، فهو مغاير للإيمان ويطلق أيضًا على الإذعان فيرادفه، وعليه قول النسفي: والإيمان والإسلام واحد اقتصر على معظم أركانه.

[وأقر] أي: اعرف واذعن. [بوحدانيتك] أي: بأنه لا إله إلا أنت فأقول مع التصديق السابق أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ [محمد:19]، وقال: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:158]، لما مر من أنه لا ينفع اعتقاد التوحيد دون النطق، ولا النطق دون الاعتقاد؛ بل لا بدّ من الجمع بينهما، وللإسلام أركان وشروط فأما أركانه فهي خمسة، كما أخبر بها النبي ﷺ في حديث جواب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان.

أحدهما: النطق بالشهادتين: كما مرَّ، وما قام مقامه من إشارة الأخرس المفهمة، وهو أعظم أركانه؛ لأنه المخلص من ظلمة الكفر والعذاب السرمدي المدخل في نور الإيمان والنعيم الأبدي؛ لأن أحكام الإسلام الظاهرة مبنية عليه، ولا يعتبر الاعتقاد كما مرَّ؛ إلا إذا أضيف إليه.

ثانيها الصلاة: وهي أفعال وأقوال مفتتحة بالتكبير مختتمه بالتسليم غالبًا.

ثالثها الزكاة: وهي اسم لما يخرج عن مال أو بدن على وجه مخصوص.

رابعها الصوم: وهو الإمساك عن المفطرات على وجه مخصوص.

خامسها الحج: وهو قصد الكعبة للنسك، وعد ما عدا النطق من الأركان فإنما هو باعتبار الكمال والتمام لما تقدم، وأما شروطه فهي العقل والبلوغ إلا في إسلام التبعية لأحد الأصول والاختيار إلا في حق المرتد والحربي والترتيب في التلفظ بأن يقدم الشهادة لله بالوحدانية في الألوهية على الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة والموالاة، كما جزم به شيخنا الشهاب الرملي- رحمه الله تعالى- في «شروط الإمامة» خلافًا لما نقله شيخ الإسلام في «شرح الروض» عن الحليمي، وكون النطق بلغة يعرف الناطق بها معناها، والإقرار بما سبق منه إنكاره، كأن يقول العيسوي: وأشهد أن محمداً رسول الله إلى كافة الناس، وأما الإحسان المذكور في الحديث المشار إليه فيما مر فهو مراقبة الله تعالى في العبادة، وسيأتي الكلام عليه عند قوله ﷺ والمراقبة.

وأما الوحدانية فهي علم لا إله إلا الله، وقال السنوسي: على نفي الإثنينية في الذات العلية والصفات والأفعال، ويعبر عنها أيضًا بنفي الكمية المتصلة والمنفصلة ونفي الشريك في الأفعال عموما، ومعنى الكمية المتصلة التركيب في الذات، ومعنى الكمية المنفصلة وجود ثان منفصل مماثل تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا، انتهى.

وعلم الوحدانية إما بالدليل أو بالموهبة، فمن علمها فهو عالم بالتوحيد، ومعنى وحدته وصفته الوحدانية؛ أي نسبته إليها، ثم إن التوحيد على ثلاثة أقسام: توحيد الكافة وهو اعتقاد أنه تعالى واحد، وتوحيد العلماء وهو العلم بالدليل بأنه تعالى واحد، وتوحيد الصوفية وهو أن يغلب على قلب العبد رؤية الحق حتى يغفل عن الخلق، وإذا انتقل من علم التوحيد إلى حال التوحيد وحقيقته كان في أعلى درجات التوحيد، انتهى[1].

قال ﷺ قال الله تعالى: «أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتوحيد دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»[2] رواه الشيرازي عن علي ﷺ كما في «الجامع الصغير».

وسأل السيد الجليل أبو القاسم الجنيد ﷺ عن التوحيد؟ فقال: هو إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته وكمال أحدية إيمانه بالواحد الذي لم يلد ولم يولد، وبنفي الأضداد والأنداد والأشباه؛ أي بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصور ولا تمثيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:11].

وقال رضي الله تعالى عنه: سأل بعض العلماء عن التوحيد؟ فقال هو اليقين، فقال السائل بين لي ما هو؟ فقال: هو معرفتك أن حركات الخلق وسكونهن فعل الله

---

(1) التوحيد: هو حقيقةٌ لا تنقسم، في وحدةٍ لا تتعدد، في عددٍ لا يتناهى، وحقيقته: معنًى لا تحدده القلوب، ولا تتصوره العقول، ولا يوصله بلاغة العبارة بالمقول، وغايته: نفي كل غير، مع وجود شهوده كل غير، الناطق عنه مقرٌّ بالخبر، والشاهد ذاهلٌ، والغائب عنه جاهلٌ، والمدَّعي له مبطلٌ، والعاجز عنه متخلفٌ، فإنه وراء كل غايةٍ يُنتهى إليها، فكل واحدٍ يُجازى فيه بقدر ظنه؛ لأن شرط العلم الإحاطة، وهو معنًى يستحيل دخوله تحت الإحاطة؛ فلا علم، ووجوده مُكْنَةٌ تستلزم ما لا يُقدر عليه، والمخصوص به هو المعجوز عمَّا حصل له.

(2) رواه الديلمي في الفردوس (5/251).

وحده لا شريك له، وإذا فعلت ذلك فقد وحدته، وقال ﷺ: التوكل عمل القلب، والتوحيد قول القلب، وقال ﷺ: أشرف كلمه في التوحيد ما قال الصديق ﷺ سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

قال الإمام القشيري ﷺ عند سياق مقالاتهم في التوحيد: واعلموا رحمكم الله تعالى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعد أمرهم على أصول صحيحة في التوحيد، وصانوا عقائدهم عن البدع، ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيده ليس فيه تمثيل ولا تعطيل، وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا لما هو نعت الموجود عن العدم؛ ولذا قال سيد هذه الطريقة الجنيد: التوحيد إفراد القدم عن الحدث، انتهى[1].

قال القائل: عبارتنا شيء وحسبك واحد، «خاتمة».

ذكر الفخر الرازي في كتاب «شرح الأسماء الحسنى»: في تفسير قولنا لا إله إلا الله مسائل نفيسة، ومما يناسب إيراده منها قوله المسألة السادسة من الناس، من قال تصور الإثبات تقدم على تصور النفي بدليل أن الواحد منا يمكن أن يتصور الإثبات؛ وإذ لم يخطر بباله معنى العدم، ويمتنع عليه أن يتصور العدم إلا وقد تصور الإثبات أولا، وذلك لأن العدم المطلق غير معقول بل العدم لا يعقل إلا إذا أضيف إلى موجود معين، فيقال: عدم الدار وعدم الغلام، فثبت أن تصور الإثبات مقدم وتصور النفي

---

(1) اعلم أن المراد بالقوم هم الموحدون، ولا يعرف الموحد إلا بمعرفة التوحيد فعرفه، قال الشيخ الأكبر: (التوحيد نفي الإثنينية، وإثبات العينيْة): (التوحيد) في اللغة مصدر وحده أي: أفرده، وفي القاموس التوحيد والإيمان متلازمان، وقيل: إن الإيمان اختياري، والتوحيد اضطراري، والمراد هنا الذوقي الشهودي المعتبر عند القوم أي: التوحيد الحقيقي الذوقي الشهودي المعتبر عند أهله المنسوب إلى العبد، أن تنفي الإثنينية بين الحق والخلق، وتثبت العينية لهما بأن تثبت أنهما عين واحدة، ولا تمايز إلا بالإطلاق والتقييد والوجوب والإمكان، ولا تقل: إنهما من عين واحدة؛ لأن فيه توهم الإثنينية فليس بتوحيد، بل المراد أن تعرف أن كلاً من الحق والخلق هو العين الواحدة باعتبار ارتفاع النِّسَب الاعتبارية من البين، وأيضًا هو العين الكثيرة إذا اعتبرت تلك النِّسَب ولوحظت أحكَامها، فإذا نفى العبد الإثنينية من كل شيء، وأثبت العينية في كلِ شيءٍ فهو موحد، والنفي والإثبات المذكوران توحيد، انتهى نقله من شرح الحكم الأكبرية للبالي الكردي (ص256) بتحقيقنا.

متأخر إذا ثبت هذا فما السبب في أن جعل النفي الذي هو الفرع مقدما، والإثبات الذي هو الأصل مؤخرًا، والجواب في تقديم النفي على الإثبات هاهنا أغراض:

الأول: أن نفي الربوبية عن غيره، ثم إثباتها لتأكد في الإثبات كما أن قول القائل ليس في البلد عالم غير فلان فإنه آكد في باب المدح، من قولنا فلان عالم البلد.

الثاني: أن لكل إنسان قلبًا واحدًا، والقلب الواحد لا يتسع للاشتغال بشيئين دفعة واحدة، فبقدر ما يبقى مشغولا بأحد الشيئين يبقى محرومًا عن الشيء الثاني، فقوله لا إله إخراج لكل ما سوى الله عن القلب حتى إذا صار القلب خاليًا عن كل ما سوى الله ثم حضر فيه سلطان لا إله إلا الله أشرق نوره إشراقًا ما، فكمل لمعانه فيه كمالاً ظاهرًا.

الثالث: إذا النفي الحاصل بلا يجري مجرى الطهارة، والإثبات الحاصل بإلا يجري مجرى الصلاة، فلذا وجب تقديم لا على إلا ويجري مجراه تقديم الاستعاذة على أم القرآن فكذا هاهنا، وأيضًا من أراد أن يحضر الملك في بيت وجب عليه أن يقدم مظهر البيت فكذا هاهنا، وعن هذا قال المحققون: النصف الأول من هذه الكلمة: من طيف الأسرار، والنصف الثاني: جلاء الأنوار عن حضرة الملك الجبار، والنصف الأول فناء، والثاني بقاء، والنصف الأول انفصال عما سوى الحق، والثاني اتصال بالحق، والنصف الأول إشارة إلى قوله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات:50].

والنصف الثاني إشارة إلى قوله: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام:91]، ثم قال القسم الثاني من مباحث لا إله إلا الله، ذكر أقسامه في القرآن، الأول كلمة التوحيد وهكذا إلى أن عدد لها أربعة وعشرين اسمًا، فليراجع ذلك من أراد!

[واستعينك] أي: نطلب منك لا من غيرك العون في أداء العبادات، أو كل المهمات فالاستعانة طلب العون وهو الظاهر بالنصرة والتخصيص الذكري، وإن لم يكن مستلزما لنفي ما عداه إلا أنه يفهم منه ذلك بالذوق السليم في كلام البلغاء، كما قاله بعضهم مع رعاية المقام أيضًا فليس إلا هو المستعان وليس إلا عليه التكلان، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5].

قال البيضاوي: الاستعانة طلب المعونة وهي إما ضرورية أو غيرها، والضرورية

بألا يتأتى الفعل دونه فأفقد الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها، وعند استجماعها يوصف الرجل باستطاعة، ويصح أن يكلف الفعل غير الضرورية يحصل ما يتيسر به الفعل ويسهل، كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل إلى الفعل ويحثه عليه، وهذا القسم لا يتوقف عليه التكليف وقال ﷺ فيما علمه لابن عباس- رضي الله تعالى عنهما -: «وإذا استعنت فاستعن بالله»[1].

[وأتوكل عليك] قال الزمخشري: التوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره، وقالوا المتوكل من إذا دهمه أمر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا إذا وقع الإنسان في محنة، ثم سأل غيره خلاصه لم يخرج عن حد التوكل؛ لأنه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله، انتهى.

وقال السنوسي: التوكل ثقة القلب بالوكيل الحق؛ بحيث يسكن عند الاضطراب عند تعذر الأسباب ثقة بمسبب الأسباب، قال: ولا يقدح في توكله تلبس ظاهرة الأسباب، إذا كان قلبه فارغا منها بحيث يستوي عنده وجودها وعدمها، انتهى.

فدلّ ذلك على أن تعاطي الأسباب بالجارحة لا ينافي التوكل إذا كان القلب سليما؛ لأنه محله وقد بين في الأخبار غلط من ظن أن معنى التوكل النزوح عن الأسباب بالكلية، قال: وقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال:60] لا يناقض أمره بالتوكل فيما يعقد القلب أن الضار والنافع والمحي والمميت هو الله تعالى، والأسباب وسائط ويقال هو الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها وكذا قال ﷺ: «اعقل وتوكل»[2] وحفر الخندق وحمل الزاد في السفر، ومن هذا القبيل ربطه ﷺ البراق ليلة الإسراء بالحلقة التي كانت تربط بها الأنبياء، ويقال هو كلة الأمر كله إلى مالكه، والتعويل على وكالته يعني عملاً بقوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ [المزمل:9]، وقيل هو ترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشر.

وقال سهل بن عبد الله: التوكل الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد.

---

(1) رواه الترمذي (667/4).

(2) ذكره ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (332).

وقال السقطي: التوكل الانخلاع عن الحول والقوة قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:3] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:12]، وقال ﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23].

قال القونوي في «التصرف»: ومقتضي التعليق في هذه الآية كون التوكل من لوازم الإيمان منتفي بانتفائه إذ الإيمان هو التوحيد ومن اعتمد على غير الله فما وحده بالحقيقة وإن وحده بلسان، انتهى.

وقال ﷺ: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله»[1] رواه بن أبي الدنيا، وأما قوله ﷺ فيما رواه مسلم: «يدخل من أمتي سبعون ألفًا الجنة بغير حساب قال من هم يا رسول الله قال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»[2] فليس منافيًا للتوكل لما مرَّ عن الغزالي؛ ولأن ترك الرقية هو غلبة التوكل، فلا ينافي وجودها حصول أصل التوكل، أو لأن المراد أنهم لا يرقون ولا يسترقون برقي الجاهلية، ولا يتطيرون باعتقاد ما كان يعتقده من التطير بالطير وغيره، أو لأن هذا صفة السبعين ألفا، وإن كان غيرهم من المتوكلين أيضًا قد يرقي وقد أنزلها رسول الله ﷺ بقوله لأبي سعيد لما أن رقي اللديغ بالفاتحة: «وما يدريك أنها رقية»[3] وأمر بها أيضًا كما روي عن أم سلمة -رضي الله عنها- أنه ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة، فقال: «استرقوا لها فإن بها النظرة»[4] والسُفعة بضم السين نقير وصفره، والنظرة العين، والتوكل من المقامات، وفيه مقامات بدايات وغايات.

قال سهل بن عبد الله: أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد، ولا يكون له حركه ولا تدبير، وقال غيره: وأعلاه التفويض وفي «تفسير الثعالبي» قال المحاسبي ﷺ: قلت لأبي جعفر بن موسى إن الله ﷻ يقول:

---

(1) ابن أبي الدنيا في التوكل (9).

(2) في مسلم (197/1).

(3) رواه البخاري (795/2)، ومسلم (1727/4).

(4) رواه البخاري (2167/5).

﴿وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23]، فما السبيل إلى هذا التوكل تقرب الله إليه، وكيف دخول الناس فيه؟ قال: إن الناس متفاوتون في التوكل وتوكلهم على قدر إيمانهم وقوة علومهم. قلت: فما معنى إيمانهم؟ قال: تصديقهم بمواعيد الله ﷻ وثقتهم بضمان الله تبارك وتعالى، قلت: من أين فضلت الخاصة منهم على العامة، والتوكل في عقد الإيمان مع كل من آمن بالله ﷻ؟ قال: الذي فضلت به الخاصة على العامة دوام سكون القلب عن الاضطراب والهدوء عن الحركة، فعندها ما فتئ استراحوا من عذاب الحرص، وفكوا من أسر الطمع، وانتفوا من عبودية الدنيا وأسبابها، وحظوا بالروح في الدارين جميعا فطوبى لهم وحسن مآب، قلت: فما الذي يولد هذا؟ قال: حالتان:

الأولى: دوام لزوم المعرفة والاعتماد على الله ﷻ وترك الحيل.

والثانية: الممارسة حتى يألفها ألفًا ويختارها اختيارًا فيصير التوكل والهدوء والسكون والرضا والصبر له شعارًا ودثارًا، انتهى.

وفي «بستان العارفين» لابن الجوزي قال موسى: سألت أبا عبد الرحمن يحيي عن التوكل؟ فقال: لو أدخلت يدك في فم التنين حتى تنتهي لا تخاف مع الله غيره، انتهى.

فهذا وأمثاله ما أراد- رضي الله تعالى عنه- بالتوكل، وقد اختلف العلماء- رضي الله تعالى عنهم- في التوكل والاكتساب أيهما أفضل، فقالت طائفة: إن التوكل أفضل من الاكتساب بمعنى أن العبد يكف عن الاكتساب ويترك الأسباب، ويعتمد بقلبه على مسبب الأسباب الكريم الوهاب، وقالت طائفة: الاكتساب أفضل من التوكل لما فيه من تيسر الإنفاق من القربات والخيرات والصلة وصون النفس عن الاستشراف، لما بأيدي أهل الزروة والجدة، وقالت طائفة: إن الأمر يختلف باختلاف الناس.

قال ابن السبكي: وهو المختار، فمن كان في توكله غير متسخط ولا مستشرف فهو في حقه أفضل لما فيه من الصبر ومجاهدة النفس، ومن كان بخلاف ذلك فالاكتساب في حقه أفضل حذرا من التسخط هو والاستشراف، ومن ثم قيل إرادة التجريد مع داعية الأسباب شهوة خفية وسلوك الأسباب مع داعية التجريد انحطاط الذروة العلية.

[واستغفرك] أي: أطلب منك المغفرة وهي الستر على العبد في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فبأن يستر ذنوبه في الدنيا عن الخلق ويخفيها، فلا يظهرها لهم ولا يطلعهم عليها وبأن يستر عنهم أيضًا خواطره المذمومة، وإرادته القبيحة وما انطوى عليه ضميره من الغش والخيانة، وأما في الآخرة فهو أن يغفر ذنوبه ولا يطلع عليها أحد وفي الخبر أنه تعالى يقول للمقر بذنوبه: «ذنوب سترتها عليك في الدنيا وها أنا أغفرها لك اليوم»[1] بل قد لا يطلعه عليها صونا له من ألم الخجل، والاستغفار قد يكون باللسان وقد يكون بإنابة القلب وطلب الاسترشاد، وهو مما يصفي القلوب ويهيئها لمطالعة الغيوب، وقال السنوسي: أن المريد يفسخ الورد بالاستغفار ولو مائة مرة ليغسل باطنه من أدران المعاصي ليتهيأ لتخلية ما يرد عليه بعد ذلك من أنوار بقية أوراده، انتهى.

قال الشيخ زروق - رحمه الله تعالى -: ثم إن الاستغفار إن كان مع الانكسار فهو صحيح، وإن كان مع التوبة فهو كامل، وإن كان عريا عنهما فهو باطل، انتهى.

وما وقع باطلا طلب تداركه، واحتياج استغفارنا إلى استغفار لنقصه بغفلة قلوبنا معه لا يقتضي ترك الاستغفار بل يأتي به، وإن احتاج إلى استغفار بخلاف استغفار المخلص ورابعة العدوية منهم، وقد قالت: استغفارنا يحتاج إلى استغفار هضما لنفسها ﵆ عنها[2].

---

(1) رواه البخاري (862/2)، ومسلم (2120/4).

(2) قال سيدنا الكتاني: الاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة وقاية شر الذنوب مع سترها، وقد كثر في القرآن الحكيم ذكره: فتارة يأمر الحق سبحانه به كقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة:199]، وقوله: ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: 3]. وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: 17]، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: 135]. وتارة يذكر سبحانه أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:110]. وكثيرًا ما يُقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع من =

الذنوب بالقلوب والجوارح. وتارة يُفرد الاستغفار ويُرتب عليه المغفرة، كما ذكر في حديث أنس عند الترمذي وغيره، وقال حسن قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئًا أتيتك بقرابها مغفرة». فقد قيل: إنه أريد به الاستغفار المقترن بالتوبة، وقيل: إن نصوص الاستغفار كلها المفردة المطلقة تقيد بما ذكر في آية آل عمران من عدم الإصرار، فإن الله وعد فيها بالمغفرة لمن استغفر من ذنوبه ولم يصر على فعله، فتحتمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا القيد، ومجرد قول القائل: «اللهم اغفر لي»، طلب منه للمغفرة ودعائها، فيكون حكمه حكم سائر الدعاء، فإن شاء الله أجابه وغفر لصاحبه، لا سيما إذا خرج من قلب منكسر بالذنوب، وصادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات. ويروى عن لقمان أنه قال لابنه: «يا بني عود لسانك: اللهم اغفر لي؛ فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلًا». وقال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة. وخرَّج ابن أبي الدنيا في كتاب «حسن الظن» من حديث أبي هريرة مرفوعًا: بينما رجل مستلقٍ إذ نظر إلى السماء وإلى النجوم، فقال: إني لأعلم أن لك ربًا خالقًا، اللهم اغفر لي فغفر له». وعن مورق قال: كان رجل يعمل السيئات، فخرج إلى البرية، فجمع ترابًا، واضطجع مستلقيًا عليه، فقال: رب اغفر لي ذنوبي؛ فقال: إن هذا ليعرف أن له ربًا يغفر ويعذب، فغفر له. ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «إن عبدًا أذنب ذنبًا؛ فقال: رب أذنبت ذنبًا فاغفر لي، قال الله تعالى: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به؛ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا آخر فذكر مثل الأول مرتين أخريين» . وفي رواية مسلم أنه قال في الثالثة: «قد غفرت لعبدي؛ فليعمل ما يشاء»، والمعنى ما دام على هذا الحال كلما أذنب استغفر.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي: «والظاهر أن مراده الاستغفار المقرون بعدم الإصرار، ولهذا في حديث أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ قال: «ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة» أخرجه أبو داود، والترمذي.

وأما الاستغفار باللسان مع إصرار القلب على الذنب؛ فهو دعاء مجرد، إن شاء الله أجابه وإن شاء رده، وقد يكون الإصرار مانعًا من الإجابة، وفي «المسند» من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون». وخرَّج ابن أبي الدنيا من حديث ابن عباس رفعه: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه» ورفعه منكر، ولعله موقوف. قال الضحاك: ثلاثة لا يستجاب

وقد ورد في فضله أحاديث كثيرة ما قرر أن البخاري وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «سيد الاستغفار: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1].

وفي «الشفاء» أن رسول الله ﷺ قال: «أنزل الله عليّ آيتين لأمتي ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:33] فإذا مضيت تركت لهم الاستغفار»[2] انتهى. وهو ثابت في «الصحيحين» أيضًا.

وقال رسول الله ﷺ: «طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا»[3] رواه ابن ماجه وغيره.

وروى أبو داود وغيره عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجًا، ومن كل هم فرجًا ورزقه من حيث لا يحتسب»[4].

وروى ابن عدى أنه ﷺ قال: «إن للقلوب صدأ كصدأ الحديد، وجلاؤها الاستغفار»[5].

لهم، فذكر منهم رجلاً مقيمًا على امرأة زنا، كلما قي منها شهوته قال: رب اغفر لي ما أصبت من فلانة. فيقول الرب: تحول عنها وأغفر لك، وأما مادمت عليها مقيمًا فإني لا أغفر لك، ورجل عنده مال قوم يرى أهله فيقول: رب اغفر لي ما آكل من مال فلان؛ فيقول تعالى: رُد إليهم مالهم وأغفر لك، وأما ما لم ترد إليهم فلا أغفر لك.

انظر: السر الحقي الامتناني (ص125) بتحقيقنا.

(1) رواه البخاري (2323/5)، ومسلم (535/1).

(2) رواه البخاري (1704/4)، ومسلم (2154/4).

(3) رواه ابن ماجه (1254/2).

(4) رواه أبو داود (85/2).

(5) رواه الطبراني في الصغير (307/1).

وروى الديلمي أنه ﷺ قال: «الاستغفار في الصحيفة يتلألأ نورًا»[1] .

وروي أيضًا أنه ﷺ قال: «الاستغفار ممحاة للذنوب»[2] .

وروي عن ابن عمر وابن عباس- رضي الله تعالى عنهما- أنه ﷺ قال: «لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصرار»[3]. وقال الإمام النووي- رحمه الله تعالى- في «شرح مسلم» معناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار، انتهى.

ورفع هذا إلى النبي ﷺ فرفعه الديلمي بلفظ: «ما من كبيرة بكبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة بصغيره مع الإصرار»[4] وابن عساكر من رواية ابن عباس بلفظ: «لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار» وسنده ضعيف.

وقول النووي ﷺ أن الكبيرة تمحى بالاستغفار يعني مع التوبة بل مع وجودها لا يحتاج من المحو إلى الاستغفار؛ إذ المراد به التوبة كما قيل في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:135] أي: ندموا ولم يصروا على ما فعلوا أي: عزموا أن لا يعودوا، وعند الأصوليين أن التوبة هي الندم، نعم قد يكفي الاستغفار في بعض الناس كالحدود الغيبية لأهل العلم وحملة القرآن إذا لم تبلغ صاحبها وقال ﷺ: «إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله مائة مرة»[5] وفي رواية «في اليوم سبعين مرة»[6].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[7].

وقد تكلم في «الشفاء» على هذا الحديث بكلام نفيس، ثم قال: وذهبت طائفة

---

(1) الديلمي (124/1).

(2) رواه الديلمي (124/1).

(3) رواه القضاعي (44/2).

(4) ورواه القضاعي (204/2).

(5) رواه مسلم (2075/4).

(6) رواه مسلم (2075/4).

(7) تقدم في سابقه.

من أرباب القلوب ومشيخة الصوفية أن معنى الحديث ما تهم خاطره وتهم فكره من أمر أمته ﷺ؛ لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم، قال: وقد قيل أن كثرة الاستغفار للنبي ﷺ وتوبته وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير لشكر الله على نعمه، انتهى.

وفي طبقات ابن السبكي: عنه أن في أمالي الرافعي ما ملخصه: أنه قد افترق الناس في هذا الحديث فرقتين، فرقة: أنكرته واستعظمت أن يغان على قلب رسول الله ﷺ.

ومنهم أبو نصر السراج، فقال عقب روايته له: وهذا حديث منكر، وأن علماء الحديث أنكروا عليه، وقالوا: أنه صحيح يخرج في تفسيره متخرجون، فقالت شعبة سألت الأصمعي: ما معنى ليغان على قلبي؟ فقال: عمن تروي ذلك؟ قلت: عن النبي ﷺ قال: لو كان عن غير قلب النبي ﷺ فسرت، وأما قلب النبي ﷺ فلا أدري.

وعن الجنيد ﷺ: لولا أنه قال النبي ﷺ لتكلمت فيه، ولا يتكلم على حال إلا من كان مشرفًا عليها وجلت حاله أن يشرف على نهايتها أحد من الخلق، وتمنى الصديق-رضي الله تعالى عنه- مع علو مرتبته أن يسرف عليها فعنه ليتني شهدت ما استغفر منه ﷺ قال: وتكلم فيه آخرون على حسب ما انتهى إليه فهمهم ولهم منهجان:

أحدهما: حمل الغين على حالة جميلة ومرتبة عالية اختلي بها النبي ﷺ، والمراد من استغفاره خضوعه وإظهار حاجته إلى ربه، أو ملازمته للعبودية، ومن هؤلاء من ترك الغين على السكينة والاطمئنان.

وعن أبي سعيد الخراز ﷺ: الغين شيء لا يجده إلا الأنبياء وأكابر الأولياء لصفاء الأسرار، وهو كالغيم الرقيق الذي لا يدوم.

والثاني: حمل الغين على عارض نظر غيره إكمال منه فيبادر إلى الاستغفار وإعراضنا، وعلى هذا كثرت التنزيلات والتأويلات، فقيل: كان سببًا لغين النظر في حال الأمة واطلاعه على ما يكون منهم، فكان يستغفر لهم، وقيل: سببه ما يحتاج إليه من التبليغ ومشاهدة الخلق فيستغفر منه ليصل إلى صفاء وقته مع الله، وقيل: ما كان يشغله من تمادي قريش وطغيانهم، وقيل: ما كان يجد من نفسه من محبة إسلام أبي طالب، وقيل: لم يزل رسول الله ﷺ مترقيًا من مرتبة إلى مرتبة، فما رقي درجة فالتفت

إلى ما خلفها إلا وجد وحشة لقصورها بالإضافة إلى أكثر ما انتهى إليها، وذلك هو الغين فيستغفر الله منها، وهذا ما كان يستحسنه والدي - رحمه الله تعالى - ويقرره، انتهى كلام الرافعي[1].

---

(1) وقد تكلم العلماء في سبب هذا الغين وتوبته واستغفاره ﷺ، وكل أبدى ما له بحسب قوة تعظيمه وازدياد نور قلبه فيه ﷺ فقيل: كان من الذنوب الصغائر، قاله ابن الجوزي، ونصره بعضهم، وقد علمت استقرار الأنظار الآن على عصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها، فلا معنى لهذا، وهل هو إلا من الهذيان، وقيل: من الغفلة عن الله، وقيل: من الالتفات إلى حظوظ النفس وهما كالذي سبق، وقيل: من الاختلاط مع أهل الذنب، وقيل: مع الأهل والأولاد، وقيل: من التفكر في أمور أمته، ومن الغم مما أُخبر به عن الأحداث الكائنة، والفتن الواقعة بينهم، وقيل من السكينة النازلة في قلبه، وقيل من التقصير في العبودية اللائقة بجلاله، وقيل من الترقي في المقامات، فإنه كان أبدًا في الترقي من أحواله، فإذا ارتقى من حالة إلى حالة استغفر الله من ذلك وتاب، وقيل ليدخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:222]، وكل هذه الأجوبة لا تسمن ولا تغني من جوع. وهي في الحقيقة كما قال القاري في «المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: إن كل أحد فسر في مقالة بمقتضى حاله، وفهم مبانيه، وتحقيق معانيه فكل إناء يترشح بما فيه، ولكن لا يخفي على المحققين ألا يقاس الملوك بالحدادين، فكذا لا يقال أحوال القلب السليم بما يجري على القلب السقيم، فالأولى أن ينزه قلبه ﷺ عن الذنوب صورة ومعنى، ويحول الاستغفار والتوبة في حقه بطريق الإجمال تأويلاً حسنًا، وتفصيل أحواله، وبيان انتقاله من نقصانه إلى كماله يوكل إلى خالق القلوب وعلام الغيوب، ولهذا لما سئل الأصمعي عن هذا الحديث فقال: عن قلب من تروون هذا؟ فقالوا: عن قلب النبي ﷺ فقال: لو كان قلب غيره لكنت أفسره لكم. قال الطيبي ولله دره في انتهاجه منهج الأدب وإجلال القلب الذي جعله الله موقع وحيه ومحل تنزيله: وبعد فإن قلبه مشرب سد عن أهل اللسان موارده، وفتح لأهل السلوك مسالكه. فالمختار ما قال بعض الأخيار من أن المختار أن هذا من المتشابه الذي لا يخاض في معناه انتهى كلام ابن سلطان.

قلت: فالصواب عدم الخوض فيه ممن لم يؤت الفهم بالنور الحقاني، والتأييد السبحاني بخلاف من عادت عليه من الجناب رشحات، وجاءته منه ملاحظات، فإنه يفقه الشيء كما ورد، ولا يتعداه برسم ولا حد. ولهذا قال الإمام الأردبيلي في «شرحه على المشكاة» لدى هذا الحديث النبوي الأطهر ما نصه: أحق من يعرف هذا، ويعرف به، ويعبر عنه مشايخ الصوفية الذين نازل الحق أسرارهم، ووضع الذكر عنهم أوزارهم، ونحن بالنور المقتبس من مشكاتهم نذهب مذهبين ،أحدهما: أنه لما كان النبي أتم القلوب صفاءً، وأكثرها ضياءً،

[وأتوب إليك] قال في القاموس تاب إلى الله توبًا وتوبة ومتابًا ومتابة، ويتوب رجع عن المعصية، وهو تائب وتواب، والتوبة أجمل كل مقام ومفتاح كل خير ومرام؛ لكنها ما تحصل للعبد إلا بعد أن يتوب الله تعالى عليه بألا يخلق التوبة في قلبه متفضلا به عليه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: 118]، وهي لغة الرجوع عن الشيء إلى غيره فإذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية، فإذا وصف بها الباريء سبحانه أريد بها الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة.

وأما في الشرع فهي في الواجب الرجوع عن المعصية بأن يعقد مع الله على تركها، وتتحقق بالإقلاع عن المعصية والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها وتدارك ممكن التدارك من الحقوق فإن لم يمكن سقط هذا الشرط كما يسقط شرط الإقلاع في معصية بعد الفراغ منها، والكلام في التوبة أكثر بين العبد وبين الله تعالى

وأعرفها عرفانًا، وكان مع ذلك مضيقًا بتشريع الملة، وتيسير السنة، ميسرًا غير معسر، ولم يكن له بد من النزول إلى الرخص، والالتفات إلى حظوظ النفوس مع ما كان ممتحنًا به من أحكام البشرية، فكان إذا تعاطي شيئًا من ذلك أسرع كدره إلى قلبه لكمال رقته، وفرط نورانيته، فإن الشيء كلما كان أرق وأصفى كان ورود التأثيرات عليه أبين وأهدى، فكان النبي ﷺ إذا أحس بشيء من ذلك عده على نفسه ذنبًا فاستغفر منه. والثاني: إن الله تعالى كما كان أغناه عن العالمين أراد أن يبقيه لهم لينتفعوا به، فإنه لو لم يترك وما هو عليه وفيه من الحضور والتجليات الإلهية لم يكن يتفرغ لتعريف الجاحد وتعليم الجاهل فاقتضت الحكمة الإلهية أن يرده إليهم ليكمل حضهم عنه فيرى ذلك من سيئات حاله فيستغفر منه. قلت: وقد ذكر قبله أجوبة أخرى منها ما قيل: إن استغفاره من سطوة الحقيقة، فإنه كان دائم الحضور والشهود؛ والخلق لا بقاء لهم مع وجود الحق، في الخبر: «ولو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدرك بصره». ومنها: الاستغفار طلب الغفر أي: الستر، فكأنه طلب من الله أن يستر قلبه بشهوده كل يوم مائة مرة. وأملح من هذا كله ما نذكره: فأما الغين في قوله ﷺ: «وإنه ليغان على قلبي... إلى آخره»، فقال الشيخ الكبير نجم الدين البكري: الغين للكفار، والغيم للأولياء، والغين للأنبياء، والفرق بينهما الغلظ والرقة، انتهى.

سأل أبا الحسن الشاذلي قائل: هذا عن نفسه رسول الله ﷺ فقال: يا مبارك ذلك غين الأنوار، لا غين الأغيار، نقله التاج ابن عطاء الله في «اللطائف» وفي «المرقاة» لعلي القاري إثر ما تقدم ويحمل الكلام ما قاله الإمام القطب أبو الحسن الشاذلي: هو غين أنوار لا غين أغيار، وأقول: هو غين العين لا غين الغين، انتهى. [السر الحقي ص 132].

وهي التي تسقط الإثم، وأما التوبة في الظاهر وهي التي تتعلق بها عود العدالة والولايات، فلا بدّ فيها من أمور مفصلة في محلها وقبولها ظني بخلاف توبة الكافر بإسلامه، فأما ثبوتها قطعي وتجب على الفور وتصح من كل ذنب، ولو بعد نقضها أو مع الاضطرار على آخر ولو كبيرا، وتقبل من العبد ما لم يغرغر أو تطلع الشمس من مغربها، وأما التوبة المندوبة فهي عن البطالات والمباحات إلى الطاعات، أو عن أدنى المندوبات إلى أرفعها في الدرجات، وأما عند الصوفية فهي عن جميع ما يشغل عن الله تعالى وقيل: أول مدارج السالكين التوبة عن المحرمات، ثم عن المكروهات وهو الورع، ثم عن الشبهات وهو الزهد، ثم عن الأسباب المعتادة وهو التوكل، ثم الرضا بما يجري الحق من المؤلمات، ثم المحبة له تعالى وإسراع الجهد في الطاعات، انتهى.

وإذا وصل إلى هذا المقام لم يشتغل بغيره تعالى فيكون التقريب السابق بالنظر إلى ما وصل إليه، ونذكر طلب التوبة والحث عليها في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:31] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ [التحريم:8]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده من أحدكم إذا سقط عليه بعيره قد أضله في أرض فلاة»[1] رواه الشيخان.

قال بعضهم: وفي كلام بعض العرب لله أفرح بتوبة العبد من الضال الواجد، والظمآن الوارد، والعقيم الوالد.

وذكر القشيري عن الجنيد ﷺ أنه قال: دخلت على السري يوما فرأيته متغيرا، فقلت له: ما بك؟ فقال: دخل عليّ شاب فسألني عن التوبة، فقلت له: ألا تنسى ذنبك، فعارضني وقال: بل التوبة أن تنسى ذنبك، فقلت: إن الأمر عندي ما قاله الشاب، فقال: لم؟ فقلت: لأني إذا كنت في حال الجفاء ونقلني إلى حال الوفاء، فذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء فسكت.

وذكر أيضًا عن سهل بن عبد الله: أنه سأل عن التوبة أن لا تنسي ذنبك، وأن

(1) رواه البخاري (2325/5)، ومسلم (2102/4).

الجنيد سأل عنها، فقال: أن تنسى ذنبك، وحكي عن أبي نصر السراج أنه قال: أشار سهل إلى أحوال المرتدين تارة لهم وتارة عليهم، وأما الجنيد فإنه أشار إلى توبة المحبين لا يذكرون ذنوبهم، لما غلب على قلوبهم من عظمة الله تعالى ودوام ذكره.

وقال ذو النون: توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة، وتوبة الأنبياء من رؤية عجزهم عن بلوغ ما قاله غيرهم، فإن القونوي في «التصرف» لا شك في تفاوت الأنبياء وتفاضلهم، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾ [البقرة: 253]، غير أن التوبة المنسوبة إليهم على التفسير المذكور، إنما يتصور تحققها ممن يكون مفضولاً بالنسبة إلى غيره، ولا يتصور تحققها ممن يكون مفضولاً بالنسبة إلى غيره، ولا يتصور من أفضل الرسل ﷺ قال: وتوبة الخواص الرجوع إلى الله تعالى عن كل ما سواه، وهو الذي نقله المعظم عن الثوري في قوله، فقال الثوري: التوبة أن يتوب من ذكر كل شيء سوى الحق ولا يخفى أن التوبة من كل شيء لتستلزم عدم الوقوف معه، وذلك يشمل القرب والعبادات والأحوال والمقامات، انتهى.

وقال سري السقطي: التوبة العزم عن ترك الذنوب والإقبال على علام الغيوب. وقال يحي بن معاذ: التائب من كسر سبابه على رأسه، وكسر الدنيا على رأس الشيطان، ولزم النظام حتى أتاه الحمام، قال الإمام القشيري: سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق التوبة على ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة، قال: ويقال أن التوبة صفة المؤمنين قال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: 31] والإنابة صفة الأولياء والمقربين، قال تعالى: ﴿وَجَاء بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: 33]، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين قال: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: 30، 44] انتهى.

قال الشيخ زروق: والتوبة منه تعالى لا يمكن العود منها، والتوبة منك يمكن العود منها، فتوبته تحقيق وتوبتك تعرض لنفحات الرحمة، وقد يتوقف في هذا مع ما سبق في تفسيرهما. [وأخشى سطوتك] أي: أخاف صولتك عليّ في الدنيا بالقطيعة والحجاب، وفي الآخرة بالعقاب والعذاب، والخوف كما يكون من شهود العظمة يكون من شهود السطوة، وهي بالفتح المرة من سلطاته يسطو؛ أي: قهره بالبطش والجمع سطوات، وآثر المرة على الجمع للإيذان بأن السطوة الواحدة منه كافيه في الخفية.

[وأرجو رحمتك]. أي: أطمع في فضلك بالعافية والرزق في الدنيا والتوسعة فيه، والعفو والنعيم الأبدي في الآخرة بما هو فوق ما أرتجيه مما أعددته لمن تصطفيه وادخرته لمن تجتبيه، والرجاء يكون بمعنى الخوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ [الفرقان:21]، والأمل كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ﴾ [الكهف:110] والطمع وهما المراد هنا، ولما أن كان الإفراط من الخوف ربما أدى إلى القنوط والإفراط في الرجاء ربما أدى إلى قلة الأدب؛ فينشأ عنها الإبعاد.

جمع- رضي الله تعالى عنه- بين هاتين الجملتين إشارة إلى طلب التوسط بين الحالتين من غير إفراط ولا تفريط، كما سيأتي في قوله والتوسط بين الخوف، وأشار بهما إلى مقامي الخوف والرجاء فالخوف فزع القلب من مكروه يناله، أو محبوب يفوته، وسببه تفكر العبد في المخلوقات كتفكره في تقصيره، وكتفكره فيما ذكره تعالى من إهلاك من خالفه ومن عدله، وقد يعبر عن الخوف بالفزع والورع والرهب وغير ذلك قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:46] وقال تعالى ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:16]، وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً﴾ [الأنبياء:90]، وروي أنه ﷺ قال: «من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله خاف من كل شيء»[1].

قال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإن زال عنهم الخوف ضلوا عن الطريق، وقال حاتم الأصم: لكل شيء زينة، وزينة العبادة الخوف، وعلامة الخوف قصر الأمل؛ لأن من قل أمله حسن عمله، وقال خير النساج: الخوف سوط الله يقيم به أنفسنا قد تعودت سوء الأدب والرجاء بالمد، وسببه بالمعنى الثاني، والثالث الدوام على الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً﴾ [الكهف:110] قال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء:57]، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «إنك مهما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما

---

(1) رواه القضاعي (1/265)، والبيهقي في الشعب (1/541).

كان منك ولا أبالي»[1].

وحقيقة تعليق الأمر بمحبوب من جلب نفع أو دفع ضرر، ويحصل في المستقبل بأن يغلب على الظن حصوله فيه كما أن الخوف يقع متعلقه في المستقبل وبه، إذا ترتبت على العمل الصالح يحصل عيش القلوب واستلذاذها بالملاذ الأخروية من قبيل علام الغيوب، وقيل هو روية الجلال بعين، كما قال في شرح «الرسالة» وكل منها ليس برجاء بل الأول:

سببه لأن الثقة بالوعد تحمل العبد على العمل الموعود عليه بالثواب، وعلى التوبة الموعود عليه بالغفران والصفح عن العذاب.

والثاني: راجع إلى المعرفة أو إلى المرجو دون الرجاء، وقيل: هو سرور الفؤاد بحسن الميعاد وقيل النظر إلى سعة رحمة الله تعالى قال الشيخ: وكل منهما يشمل التمني، مع رجوع الثاني إلى سبب الرجاء، وقيل غير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «الخوف والرجاء لا يجتمعان في آن واحد في الدنيا فسيريح ريح النار، ولا يفتر فإن في أحد في الدنيا فيريح ريح الجنة»[2] رواه البيهقي.

وفي «تفسير الثعالبي» قال المحاسبي: قلت للشيخ هل يلحق المحبين لله ﷻ خوف؟ قال: نعم الخوف لازم لهم كما لزمهم الإيمان لا يزول إلا بزواله، وهذا هو خوف عذاب التقصير في بدايتهم، حتى إذا صاروا إلى خوف الفوت صاروا إلى الخوف الذي يكون في أعلى حال، فكان الخوف الأول الذي يطرقهم خطراته، وصار خوف الفوت وطنات، قلت: فما الحالة التي تكشف عن قلوبهم شديد الخوف والحزن؟ قال: الرجاء بحسن الظن لمعرفتهم سعة فضل الله ﷻ او أملهم منه أن يظفروا بمرادهم إذا وردوا عليه، ولولا حسن ظنهم بربهم لتقطعت أنفسهم حسرات وفاتوا الحمد، قلت: أي شيء أكثر يشغلهم وما الغالب على قلوبهم في جميع أحوالهم؟ قال: كثرة الذكر لمحبوبهم على طريق الدوام والاستقامة لا يملون ولا يفترون، وقد أجمع

---

(1) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (2/308).

(2) رواه الديلمي (1/403).

الحكماء على أن من أحب شيء أكثر من ذكره، قال: وقال ذو النون: ما أولع أحد بذكر الله تعالى إلا أفاد منه حب الله تعالى، انتهى.

وقال العز بن عبد السلام في إحضاره لرعاية المحاسبي: الخوف والرجاء وسيلتان إلى فعل الواجبات والمندوبات، وترك المحرمات المكروهات لكن لا بدّ من الإنكباب على الاستحضار ذلك واستدامته في أكثر الأوقات؛ حيث يصير الثواب والعقاب نصب عينيه بحثا على فعل الطاعات وترك المخالفات، ولم يحصل له ذلك إلا بتفريغ القلب من كل ما سوى ما يفكر فيه ويعينه على الفكر، وقد مثل القلب المريض بالشهوات بالثوب المتسخ الذي لا يزول اتساخه إلا بتكرير غسله وحكه وقرضه.

وقال البغوي في قولة تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:21] إن التقوى منتهي درجات السالكين وهو التبرؤ من كل شيء سوى الله تعالى وأن العبد ينبغي ألا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف درجة كما قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:16]، يرجون رحمته ويخافون عذابه، انتهى.

يا مؤمن هو الذي أمن عباده من المكروهات في الدنيا والآخرة بنا على أخذه من الأمان الذي هو ضد الخوف، وقد خصصه بعضهم هذا إلى المعنى، وقيل: هو الذي أمن أولياؤه من عذابه وهو قريب مما قبل أن لم يكن بمعناه، وقيل المصدق لهم في الشهادة على الأمم، وهذا على أخذه من الإيمان بمعنى التصديق.

قال ابن الخطيب في «الحزب الأسنى شرح أسماء الله الحسنى»: واعلم أن أعظم العياذ خطبًا من اسم المؤمن الذي يدعو عباد الله إلى معرفة طريق الله وطاعته، ويزحزحهم عن ارتكاب معاصيه ومخالفته؛ لأنه يحصل لهم بذلك كمال الأمن يوم الفزع الأكبر.

قال الفخر الرازي: وحكي أن يوم القيامة: «ينادي مناديًا: ألا من كان يتسمى بنبي من الأنبياء فليدخل الجنة، فيدخل كل من كان يسمى بنبي، ويتبقى قوم، فيقال لهم: ما أنتم؟ فيقولون: لم يكن من أسمائنا اسم نبي ولكنا مؤمنون، فيقول الله سبحانه وتعالى: أنا المؤمن وأنتم المؤمنون، فادخلوا الجنة برحمتي»[1] انتهى.

---

(1) ذكره الديربي في «المقصد الأسنى شرح الأسماء الحسنى» (ص 60) بتحقيقنا.

وقد ذكر هنا هذه الأسماء عقب الجملة السابقة على طريق أحمد تسمي الملف والنشء المرتب، وهو ذكر متعدد وعلى جملته الإجمال، ثم ما لكل من غير تعيين ثقة بأن السامع يرده إليه بهذا الاسم الشريف، راجع إلى قوله أومن بك وبرسلك.

[يا باعث] أي: يا باعث الرسل إلى الخلق والعباد عند العجز بالإعانة، وعند المذنب بقبول التوبة، وعند الحاجة إلى البسملة والميم والدواعي إلى فعل الخيرات، والخلق يوم القيامة.

وقال المشايخ: أنه باعث اللهم إلى الترقي في ساحات التوحيد والتنقي في ظلم صفات العبد، وقيل الذي هو مقدم على عليات الأمور، ورفع عن قلبك وسواس الصدور، وقيل الذي يصفي الأسرار عن البؤس، وينقي الأعمال عن الدنس.

[يا وارث] هو الذي يرجع إليه الأملاك يؤت أربابها؛ أي التي ملكها لهم بفضله فإذا ماتوا انفك اختصاصهم وعادت للمالك الأول، قال المشايخ: الوارث الذي تسربل بالصمدية فناء وتفرد بالأحدية بلا انتقاء، وقيل الذي يرث بلا توريث أحد، وهذان الاسمان المتصرفان راجعان إلى قوله وباليوم الآخر.

[يا واحد] هو الذي لا تقدر له ولا ينقسم بوجه، ولا نظير له فلا مشابه بينه وبين غيره، قال: أي الخطيب قالوا ولم يرد واحد في وصف الحق تعالى إلا مع اسم الله الذي هو اسم الذات لا واحد إلا في مقابل الوصف، قال المشايخ: الواحد هو الذي كمل في فرديته فلا شبيه يساويه، ولا شريك يقاويه، وقال الشبلي: الواحد هو الذي يكفيك من الكل ولا يكفيك الكل منه.

وحكي أن: الشبلي كان جالسًا على دكان بعض التجار، فقيل له: أتعرف الحساب؟ قال: نعم والتوى على حسابا كثيرًا.

وكان يقول هات بهات فكم فرغوا إلا فقد قيل له: كم منك؟ قال: واحد فعجبوا منه، فقال: هل كان من الأزل إلى الأبد إلا الواحد الصمد، وهذا الاسم راجع إلى قوله وأقر بوحدانيتك جامعين راجع إلى وأستعينك على نحو ما تقدم ومعناه أطلب منك الإعانة، وأسماء الله تعالى توفيقية على الراجح عند الأشعري، وهذا لم يرد إلا أنه مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، بإطلاقه على قول القاضي أبي بكر الباقلاني: وهو أنه يجوز إطلاق اللفظ عليه، فقال: إذا اتضح اتصافه بمعناه ولم يوجد نقصا وإن لم يرد به جمع، أو على مختار الغزالي والرازي: من جواز الإطلاق

دون تدقيق في الوصف حيث لم يوجد نقصا دون الاسم؛ لأن وضع الاسم له تعالى نوع تصرف بخلاف وصفه تعالى بما معناه ثابت له.

[يا كافي] هو راجع إلى قوله وأتوكل عليك، قال بن النحاس: الكافي خلقه يا غفار راجع إلى قوله واستغفري وهو من صيغ المبالغة بُدّل عن فاعل في كثرة، فقولك إما المسلي فإنا شراب، ومعناه الستار لذنوب من أراد من عباده المؤمنين فلا يظهرها بالعقاب عليها.

قال شيخنا الشهاب - رحمه الله تعالى -: قضيته أن الكافر لا يغفر له شيء من المعاصي الزائدة على كفره وهو ظاهر، انتهى.

ولعل هذا أولى من تفسير بعضهم له من يبالغ في غفر ما ليس ظهوره بمحمودة، والغفر التغطية ومنه المغفرة وهو ما يغطي به الرأس، واعترض الرازي على تفسير الجمهور مغفرة الله بالمسر، وفسرها بالعفو والصفح على سبيل المجاز، ونظر فيها أيضًا.

[يا تواب] راجع إلى قوله وأتوب إليك ومعناه من سر لعبده العاصي الرجوع إليه غير ما سره، ثم يعود إليه بفضل رحمته، وإن أصر على العصيان غمره.

قال الفخر الرازي: معنى التواب في وصف الله كونه عائدًا بإضعاف إحسانه في عباده وذلك أن يوفقهم بعد الخذلان، ويعطيهم بعد الحرمان، ويخفف عليهم بعد الشدائد، ويعفوا عنهم بعين الوعيد، ويكشف عنهم أنواع البلاء، ويفيض عليهم أقسام الآلاء.

أما المشايخ فقالوا التواب الذي قابل الدعاء بالعطاء والاعتذار بالاغتفار، والإقامة بالإجابة، والتوبة بغفران الحوبة، انتهى.

[يا قهار] راجع إلى قوله (وأخشى بسطواتك) فعال مبالغه عن القاهر، وهو القادر على منع غيره من أن يجري على إرادته فيكون قهار من صفات الذات، وقيل: هو الذي يمنع الغير من الجري على وفق إرادته فيكون على هذا من صفات الفعل.

وقال المشايخ: القهار الذي قهر قلوب الطالبين فأنسها بلطف مشاهدته، وقيل: الذي طاحت عند صولته صولة المخلوقين وسارت عند سطوته قوى الخلائق أجمعين، وقيل: من لا تستطيع أحد رد تدبيره ولا الخروج عن مقاديره.

[يا رحمٰن يا رحيم] راجعان إلى قوله (وأرجوا رحمتك) صفتان متشابهتان صيغتا المبالغة من رحم كالغضبان من غضب، والعليم من علم وأجيب عما أورده عليه بما هو منفرد في محله.

قال الفخر الرازي: اختلف العلماء في معنى الرحمة.

فقال بعض المحققين: الرحمة من صفات الذات وهي إرادة إيصال الخير ودفع الشر، وعلى هذا التقدير كاف البارئ، فقال: من الأزل رحمانا رحيمًا إرادته أزليه ومعنى ذلك أنه تعالى أراد في الأزل أن ينعم على عبيده المؤمنين فيما لا يزول وقال آخرون: الرحمة من صفات الأفعال وهي إيصال الخير ودفع الشر.

قال بعض المشايخ: الرحمن لا هي الافتقار، والرحيم لا هي الافتخار، فإذا شهدوا جماله عاشوا وافتقروا، انتهى.

والله تعالى غالب على أمره محيط بعمل العبد سره وجهره، وهو القائم بأسمائه وصفاته المنزه عن شوائب النقص وسماته، فهو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه، وأجل لا يحصى كمال الثناء عليه يعجز الخلق عن الوصول إليه.

[لا إله] أي: لا معبود بحق في الوجود، ولا مستغنى عما سواه من كل موجود ومفتقر إليه، كل ما عداه في البقاء والوجود،إلا أنت يا مبدع العالم ومنشئه ومعدمه ومفنيه، سبحانك تنزيها لك عما لا يليق بجلالك، أو يُوسم نقصًا في كمالك، مصدر أي واقع موقعه منصوب بفعل مستتر أي متروك إظهاره، قال طلحة بن عبد الله: قلت يا رسول الله ما معنى سبحان الله؟ فقال: «معناها تنزيه الله تعالى من كل سوء».

وعن عليّ ﷺ قال: سبحان الله كلمة أحبها الله لنفسه في كنت من الظالمين بفعل المعصية وترك الطاعة، وفي الحديث الصحيح دعوة ألقي فيها في بطن الحوت.

[لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين] ما دعا بها مؤمن أو قال مسلم إلا استجيب له.

روى الحاكم عن سعد بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «في قوله تعالى: ﴿ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:87]، أيما مسلم دعا بها في مرضه أربعين مرة فمات في مرضه ذلك أعطي أجر شهيد، وإن برأ بُرأ وقد غفر

الله له جميع ذنوبه»[1] .

وروى الترمذي وغيره عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»[2] زاد الحاكم في طريق آخر فقال رجل لرسول الله ﷺ هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمع إلى قول الله ﷻ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: 88]»[3] انتهى.

وجعلت سبحان مفتاح التوبة كما في قول يونس وكما في قول موسى: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143].

قال المصنف ؓ: [اللهم إني ليس لي عليك حق فأطلبه منك، ولك عليّ حق فلم أستطع كمال تأديته إليك، ولكنني أقف بوصف الذل والفقر والمسكنة على باب عزك، وباب غناك المطلق، وباب كرمك، وأمد كف الفقر والفاقة لوسع عطائك، يا عزيز يا غني يا كريم يا واسع يا معطي].

قال الشارح ؓ: [اللهم إني] أي: إنسان والحال. [ليس لي عليك حق] كغيري من سائر الخلق.

[فأطلبه] أنا أو غيري طلب صاحب الحق بحق بل بطلب. [منك] طلب المغفرة المضطر من الإذلال من الفناء المطلق العزيز المقتدر بما تقرر عند أهل السنة والجماعة، إن الرب سبحانه وتعالى لا يجب عليه لأحد من خلقه شيء؛ لأنه أوجد من سواه فلا يوجب غيره ولا معنى لإيجابه على نفسه إذ ليس معناه استحقاق تاركها الذم والعقاب كما هو ظاهر، ولا لزوم صدور منه بحيث لا يتمكن من الترك؛ لأنه رفض لقاعدة الاختيار.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (1/685).

(2) الترمذي (5/529)، والحاكم (1/684).

(3) في المستدرك (1/685).

وأما قوله تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:12]، قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:47]، ونحو ذلك، وإنما هو تفضل وإنعام لا إيجاب وإلزام، وقالت المعتزلة: يجب عليه أشياء يترتب الذم بتركها، منها الجزاء؛ أي الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية، ومنها اللطف بأن يفعل بعباده ما يقربهم إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية؛ بحيث لا ينتهون إلى حد إلا جاء ومنها الأصلح لهم من الدنيا من حيث الحكمة والتدبير، قال في «شرح العقائد»: ولعمري أن مفاسد هذا الأصل، أعني وجوب الأصلح؛ بل أكثر أصول المعتزلة أظهر من أن يخفى وأكثر من أن يحصى، وذلك لقصور نظرهم في المعارف الإلهية، ورسوخ قياس الشاهد على الغائب في طباعهم وغاية تشبثهم في ذلك؛ أي: ترك الأصلح يكون بخلا وسفها وجوابه أن منع ما يكون حق المانع، وقد ثبت بالأدلة القطعية كرمه وحكمته وعلمه بالعواقب يكون محض عدل وحكمة، انتهى.

ولو كان واجبًا عليه تعالى لما كان له منه على العباد، واستحقاق شكر في البداية، وأفاضه أنواع الخيرات لكونها أداء الواجب كما هو مقرر في محله [ولك علي حق] والمراد به الحس الشامل لجميع حقوقه تعالى كلفني به وواجباته عليّ وطلبته مني، وفرضته عليّ؛ فأديته امتثالا لا ترك الكريم ورجاء لفضلك العظيم؛ لكني على نوع من التقصير والإخلال، وعدمه وصول إلى غاية الكمال [فلم أستطع] لذلك. [كمال تأديته إليك] أي: أن أؤديه كاملا ثم ليعلم أن من جلاله قدر الإنسان أن ينظر في نفسه بعين النقصان لاسيما في أداء عبادة الملك الديان فلا يقوم ﷺ أجل شيء عن واجبات الأعيان وحقوق الرحمن، وإنما هذا على طريق القوم في معاملاتهم وخضوعهم في مقاماتهم- فإنهم رضي الله تعالى عنهم- لشدة سعيهم في طلب مرضات ربهم وحفظهم في معارج قربهم، ويلازمهم على المراقبة في جميع أحوالهم، وسرعة مبادراتهم إلى امتثال أوامره في أقوالهم وأفعالهم، وحرصهم على اتباع رسوله ﷺ في حركاتهم وسكناتهم ونفرتهم عما نهى الله تعالى ورسوله ﷺ عنه، ومباعدة نفوسهم وخواطرهم وإرادتهم منه، وكمال اجتهاداتهم وإذلالهم في عبادتهم، لا يرون أنفسهم موفقين عليها على حسب ما يليق بجلاله وكماله؛ بل راجيين لنيل جوده وكرمه وإفضاله على أنه لا يطيق أحد أن يأتي بعبادة من العبادات، على حسب ما يعرف من عظمة ربه سبحانه وتعالى

بل مستغل جميع ما يأتي به بالإضافة إلى عظمة ربه، وإن كان كاملاً في نفسه على قواعد الشريعة والحقيقة، ويحتمل أنه- رضي الله تعالى عنه- أراد مع حق العبادة حق المعرفة وشكر النعمة، ولم تصل قدرته إلى كمالها فهو مثل قول غيره سبحانك ما عبدناك حق عبادتك سبحانك ما عرفناك حق معرفتك في الرسالة أن الأول من هذين قول الملائكة.

قال بن عطاء الله ﷺ: مطلب العارفين الصدق في العبودية والقيام بحق الربوبية.

وقال مالك بن دينار ﷺ: خرج الناس من الدنيا ولربك رُزقوا أطيب الأشياء، قال: وما هو؟ قال: المعرفة، ثم قال:

إن عـــرفان ذي الجـــلال لعـــز   وضـــياء وبهجـــة وســـرور

وعلـــى العـــارفين أيـــضًا بهـــا   وعلـــيهم مـــن المحـــبة نـــور

فهنيـــئًا لمـــن عـــرفت إلهـــي   هـــو والله دهـــره مـــبرور

وقال الصديق ﷺ: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته؛ أي: لم يجعل لهم طريقًا إلى كمال معرفته في الدنيا إلا بعلمهم بعجزهم عن علمية معرفتهم، وقيل معناه أنه لم يقدر المعرفة الكسبية الحاصلة في الابتداء شيئًا، بالإضافة إلى المعرفة الضرورية الحاصلة في الأشهاد، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر:67] أي: ما عرفوه حق معرفته.

وحاصل الأمر أن لا يطيق أحد أن يأتي بعبادة على حسب ما يعرفه من عظمة ربه بدلا به؛ إذ يستصغر جميع ما أتى به، وإن كان كاملاً بالإضافة إلى عظمته هذا مع أنهم يشترطون في العبادة شروط زائدة على ما اشترطه علماء الشريعة فيها، كقولهم أن الخشوع شرط في الصلاة لا تصح إلا به ولو في بعضها على قول، لقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون:1-2]، وفسر بالتذلل بالبدن المركب عن التذلل بالقلب وفسره عليّ - رضي الله تعالى عنه- بلين القلب وكف الجوارح؛ أي: بأن لا يغيب بأحدهما وهو معنى ما قبله وفي صحيح مسلم: «ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم يصلي ركعتين يقبل على الله فيهما بقلبه

ووجهه إلا وجبت له الجنة»[1] .

وروى الحكيم الترمذي عن أبي هريرة ﷺ: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[2] وهذا يدل على التفسير السابق قال في «الرسالة».

وسئل الجنيد ﷺ فقال: ترك القلوب لعلام الغيوب.

قال سهل بن عبد الله: من خشع قلبه لم يقرب منه شيطان، انتهى.

وكقولهم أن الغيبة تفطر الصائم لقوله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[3] على ظاهري سهوا قضيت بردي وكقولهم بوجوب الاستطاعة بأي وجه أمكن ومن الشفاء عن سهل التستري ﷺ أنه قال: أصول مذهبنا ثلاثة: الاقتداء بالنبي ﷺ والأسلاف والأفعال، والأكل من الحلال، وإخلاص النية في جميع الأفعال ولا بأس بالنية هنا على أمر مهم وهو أنه قد يصدر عن القوم- رضي الله عنهم- بعض ألفاظ ربما يفهم من ظاهرها ما يخالف الشريعة وهو خلاف مرادهم؛ بل على حقيقته عندهم في مرادهم على حسب اصطلاحهم؛ إذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز، فالفقيه منهم لمعناه معتقد لمعنى صحيح، وإن افتقر عند غيرهم ممن لو اعتقد ظاهره لمعنى إلى تأويل، كقول بعضهم نقض العهد في طريق الإرادة لأهل الباطل، كالردة عن الدين لأهل الظاهر، ولقدر العارف صاحب السر الغامض على زعم كل معاند ومعارض سيدي عمر بن الفارض:

وإن خطـــرت لي في ســـواك واردة علـــى ظاهـــري سهوا قضيت بردي

ومن المعلوم أن هذا ليس بردة عند العلماء، وإنما هو من باب قول بعض السلف حسنات الأبرار سيئات المقربين، فأطلق على الحسنات تلفظ سيئات؛ أي: أنهم يرونها بالنسبة إلى علو مقامهم كالسيئات؛ لأجل علو مقامهم على أن تأويل هذا ومثاله مما يفهم ظاهره خلاف المراد غير مفيد فعدُّ الأول العلماء- رضي الله تعالى

(1) في مسلم (209/1).

(2) في نوادر الحكيم (172/2)، وابن أبي شيبة (86/2).

(3) رواه البخاري (673/2).

عنهم- قوله ﷺ: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر»[1] الحديث بأن صاحبها شبيه المنافق في إظهار ما يبطن خلافه، وإن لم يرد نفاق الكفار المخلد في الدرك الأسفل من النار، وتأويل قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2] بأنه كفعل الكفار كما تواعد التأويل فيه وتأويل قوله ﷺ: «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة»[3] بأنه يستحق بتركها عقوبة الكافر، وتأويل قوله ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غش فليس منا»[4] بأنه ليس على هدينا وطريقتنا إلى غير ذلك، والغرض من هذا التشبيه فإن لم يشتمل هذا الحزب الشريف على شيء مما يوهم خلاف المراد إنما هو التنصل من الإنكار على أولياء الله تعالى فيما يقع في كلامهم تقصر أفهامنا عنه في طرائف عباراتهم فإنه والعياذ بالله تعالى موجب للمقت والدمار، وطول الإقامة بدار البوار رزقنا الله تعالى بمحبتهم الإخلاص في طاعته، والإقبال على محبته وعبادته والإعراض عن معصيته، ومخالفته ونفعنا الله تعالى بالنظر إلى وجهه الكريم في دار كرامته فإنه أعظم الفوز عند المقربين من أهل خلاصته. [ولكنني] مع تأدية الحق [أقف بوصف الذل] يقال: ذل إذا انقاد فالذل الانقياد، وبوصف. [الفقر] وهو أصل كبير عند العلماء منه وحقيقة الاحتياج، وشاع في عدم الملك لكونه مظنة للحاجة.

قال الشيخ عبد الرحمن القوصي- رحمه الله تعالى -: هو الاتصاف بكل خلق محمود دون الانخلاع عن كل خلق مذموم، قال: وقيل هو خلو الكف في الحال والقلب من الحال، وقال بعضهم: هو خلو القلب من الأمال فقط، انتهى.

واقتصر السنوسي على الأخير، فقال: هو بعض ما في القلب من الدنيا حرصًا وإكثار القطعة بأن حاجته ليست عند شيء فيها، وسكوت اللسان عنها بالكلية مدحًا وذما، انتهى.

---

(1) رواه البخاري (1/21)، ومسلم (1/78).

(2) رواه البخاري (1/27)، ومسلم (1/81).

(3) رواه أبو داوود برقم (4678) [4/219]، وابن ماجة برقم (1078) والترمذي برقم (2620) [5/13] ورواه غيرهم.

(4) رواه مسلم برقم (101) [1/99] وأحمد برقم (9385) [2/417] ورواه غيرهما.

وأما الفقير فروي عن بعضهم أنه قال: هو الذي لا يكون له إلى الله حاجة ومراده أنه لا يرفع إليه حاجة لنفسه لكونه ممن شغله ذكره عن مسألته؛ لكن قال القشيري: أن بهذه القطيعة أدنى غموض لمن جمعه على وصف الغفلة.

وقال النوري: نعت الصوفي الفقير للسكون عند العدم، والإيثار عند الوجود[1].

وبوصف [المسكنة] ويبين هنا السكون والتواضع والطمأنينة.

ومنه ما روي أنه ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكينًا وتوفني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين»[2] وقيل وهو حديث ضعيف. [على باب عزك] العز صفة من صفات ذاته تعالى أي رافع إليها وهي القدرة إنه فسر العزيز بالغالب الذي لا يغلب، أو القوي الذي يستحيل في حقه الفجر، [وباب غناك المطلق] وهو كونه تعالى مستغنيا عن كل ما سواه مفتقرا إليه كل من عداه، [وباب كرمك] اعلم أن العرب تسمي كل صفة محمودة؛ أي: أقف بوصف الذي على باب عزك، وبوصف الفقر والمسكنة على باب غناك وكرمك. [وأمد كف الفقر والفاقة] أي: الحاجة فصحيح الفقر هو التخلق بأوصاف العبودية، والفاقة ببسط المواهب، كما قال ابن عطاء الله: قال ابن عباد لا منها محتضرة مع الحق تعالى وتجلسة علمه بساط الصدق وناهيك بما يكون، وتلك المحاضرة والمجالسة من المواهب الربانية، والنفحات الروحانية. [لوسع عطائك] لعطائك الواسع، فالعطاء إيصال النعم وجرت العادة اتباع السادة بالخضوع بأعناقهم عند قراءة هذا المحل إشارة إلى الخضوع بين يديه تعالى والانقياد لطاعته، والظاهر أنهم تلقوه عن الأستاذ، وسأل بعضهم اتباعه، وأخبرني أن الأمر كذلك ولعله والله أعلم لحظه من قوله لبني إسرائيل: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: 58]، فسر أي: متطامنين محنيين على أحد القولين في تفسيره. [يا عزيز] قال الغزالي: العزيز هو الذي يقل وجود مثله فتشديد الحاجة إليه ويصعب الوصول إليه، فما لم تجتمع هذه المعاير الثلاثة لم يطلق اسم العزيز عليه، فكم من شيء يقل وجوده ولكن لا يحتاج إليه فلا يكون عزيز، وقد يكون بحيث لا مثل له ويحتاج إليه جدا، ولكن يسهل الوصول إليه فلا يسمى عزيزًا، كالشمس فإنه لا مثل لها، والانتفاع بها عظيم جدًّا،

---

(1) انظر: الرسالة القشيرية (ص 125، 126).

(2) رواه الترمذي (4/577).

ولكنها لا توصف بالفرد فإنه لا يصب الوصول إليها، فإذا امتنعت المعاني الثلاثة فهو العزيز في كل واحدة من هذه المعاني الثلاثة، كمال ونقصان فالكمال في الخلقة الوجود إلى أن يرجع إلى واحد؛ إذ لا أقل من الواحد ويكون بحيث يستحيل وجود مثلها، وليس هذا إلا لله تعالى فإن الشمس وإن كانت واحدة في الوجود ولكنها ليست واحدة في الإمكان؛ لأنه يمكن وجود مثله، وأما كونه منتفعا به فالكمال فيه أن يكون جميع المنافع حاصله منه، ولا تحصل من غيره، وما ذاك إلا لله تعالى فإنه هو المبدئ للوجود وجميع الممكنات، فإنه سبحانه هو الذي يحتاج إليه كل شيء في ذاته وصفاته وبقائه، وأما صعوبة الوصول إليه فالكمال فيه هو أن لا يكون لأحد قدرة عليه، وتكون قدرته على الكل حاصلة فالحق كذلك؛ لأنه لا سبيل للعقول إلى الإحاطة بعظمة جلاله، ولا سبيل لأحد من الخلق إلى القيام بشكر الآية ونعائمه. فنبتان كمال هذه الصفات حاصلة لله تعالى لا لغيره فوجب القطع بأنه تعالى هو العزيز المطلق. [يا غني] هو الذي لا يستغني عن جميع الموجدات، فلم يحتاج إلى شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. [يا كريم] هو الذي لا ينفذ عطاؤه.

وقال الجنيد ﷺ: هو الذي لا يحوجك إلى وسيلة.

وقال المحاسبي: هو الذي لا يبالي من أعطى وقيل الذي يعطي من غير منة، وهو الذي لا يجيب رب المؤمنين وأجمع العبادات في معناه ما قيل هو الذي إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا أعطى زاد، على مفترض الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولا من أعطى، وإذا دفع حاجته إلى خير لا يرض، وإذا جفا عاتب وما انتقض، ولا يضيع من لاقيه، وارتجى فيعينه عن الوسائل والشفعاء.

قال الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: 6].

قال: أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه تعالى وصفاته كأنه لفتة جوابه حتى يقول عزني كرمك. [يا واسع] هو الذي وسعت قدرته وعلمه كل شيء فهو ذو سعة فيما يملك ويعطي وينعم. [يا معطي] هو الذي يعطي من شاء ما يشاء قال ﷺ: «لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت»[1] ورجوع هذه الأسماء الشريفة على طريقة ما تقدم، أن يقال بوصف الذل على باب عزك يا عزيز، ويوصف

---

(1) رواه البخاري (1/289)، ومسلم (1/343).

الفقر في باب عزك يا غني، وبوصف المسكنة على باب كرمك يا كريم، وأمد كف الفقر والفاقة لوسع عطائك يا واسع يا معطي أي اعطف يا من أوصافك بأضداد أوصافي، ولا شك أن غاية عز المخلوق وقوفه بالذل على باب خالقه لطلب الغناء والنوال، وبلوغ غاية الآمال مع حسن الظن، وقوة الرجاء، والأدب في التضرع والالتجاء والإلحاح في السؤال وعدم الاستعجال من حصول النوال.

قال ابن الفارض ﷺ: وذلي لكم عز لدي، وقال غيره:

وقفت بالذل في أبواب عزكم مستشفعا في ذنوبي عندكم بكم
فإن رضيتم فيا عزي ويا شرفي وإن أبيتم فيا وجوه غيركم

وقال آخر ﷺ: قف على الباب خاضعًا وأحسن الظن وارتجي فهو باب مجرب لقضاء الحوائج.

وقال ذو النون المصري ﷺ: ما أعز الله عبدا بعز هو أعز له من أن يدل على ذل نفسه.

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي- رضي الله تعالى عنه: تصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والضعف الذل لله تعالى، وأضدادها أوصاف الربوبية فماله ولها فلا بأوصافك وتعلق بأوصافه، وقل من بساط الفقر الحقيقي، يا غني من للفقير غيرك ومن بساط الضعف، يا قوي من للضعيف غيرك ومن بساط العز، يا قادر من للعاجز غيرك ومن بساط الذل، يا عزيز من للذليل غيرك تجد الإجابة كأنها طوع يدك، واستعينوا بالله تعالى، واصبروا إن الله مع الصابرين.

وقال سهل بن عبد الله ﷺ: ما أظهر عبد فقره إلى الله تعالى في وقت الدعاء في شيء بخل به إلا قال الله تعالى لملائكته لولا أنه لا يحتمل كلامي لأجبته لبيك.

قال المصنف ﷺ: [اللهم هب لنا الخلوة معك، وهب لنا العزلة عما سواك، واملأ أسماعنا بلذيذ خطابك، وأصمتْ ألسنتنا عما سوى ذكرك، وغُضَّ أبصارنا عن مشاهدة غيرك، واقصر أرجلنا عن السعي في غير طاعتك، واجعل أنفسنا مطيعة لأمرك، وقلوبنا مطمئنة لذكرك، وعقولنا مسترشدة لعلمك، وأبداننا هينة لينة لطاعتك، وهب لنا المداومة على ذلك، على بساط العلم، والمراقبة والتوسط بين الخوف والرجاء].

قال الشارح ﷺ: [اللهم هب لنا الخلوة معك وهب لنا العزلة عما سواك]

أشار بهذا إلى طلب مقامي العزلة والخلوة، فالعزلة وهي قبل الخلوة إمارات الوصلة إلى الله تعالى والخلوة صفة أهل الصفوة، وهي على قسمين:

الأول: الخلوة الظاهرة، وهى انفراد بالمكان عن الخلق لسلامتهم من شره لا عكسه وهو معنى العزلة أيضًا في الظاهر، ومحله بداية الأمر ثم محل طلبها من العبد إذا استغنى عن الناس واستغنوا عنه، وإلا فمتى دعا الشرع إلى الخلطة بهم، إما للنظم منهم أو التعليم لهم، فلا خير في البعد عنهم وبهذا يجمع بين الأدلة الدالة على طلب العزلة والأدلة الدالة على طلب الخلطة، والثاني: الخلوة العاطفة وهي الانقطاع من الخلق إلى الحق، وهو بمعنى قول بعضهم هي التجرد من كل موجود سوى الله تعالى فيه؛ بل المصنف بها لتلقي الواردات ويصير محل للأسرار الإلهية، والتجليات الربانية.

قال الشيخ عبد الغفار القوصي ﷺ: وخلوات الأدعية المشار إليها بالنفحات، ثلاثة: الأول: خلوة عن الخلق. الثاني: خلوة بالحق. الثالث: خلوة مع الحق.

فالأولى: فيخلو قلبه سوى الله تعالى من جميع المخلوقات دنيا أخري.

والثانية: أن يجمع كله على الله تعالى فلا تبقي فيه ذرة خارجة عنه.

الثالثة: أن يكون مع الله تعالى على مختارة منه فلها عندهم شروط، انتهى.

وأصل هذه الثالثة هي التي أرادها الأستاذ - رضي الله تعالى عنه- حيث قال: معك وإذا حصلت لزمها العزلة عما سواه التي هي في الحقيقة اعتزال الخصال المذمومة والاتصاف بالمحمودة، وإن كان مختلطا بالخلق؛ لأنه كامن لجسمه معهم يا من منهم يشغلهم مع الحق بالإخلاص والتعظيم والإجلال والتفكير وغير ذلك من شر الأحوال، وفي «بستان العارفين» قال ابن أبي الحواري: سمعت بعض العارفين يقول: لا تقرعين المؤمن حين يخلو بربه عن خلقه، فمن استأنس الخلق استوحش من الحق، وفيه أيضًا روي عن بعض علماء السلف- رحمهم الله تعالى: إذا أراد الله تعالى أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى آخر الطاعة أنسه بالوحدة، وأغناه بالقنوع، وبصره بعيوب نفسه فمن أعطي ذلك نال نعيم الدنيا موصولا بنعيم الآخرة، وقد حكي هذا في الرسالة بتفسير بعض ألفاظه.

وقال بن عطاء الله: ما نفي القلب شيء مثل عزله يدخل بها ميدان فكره وإحلال.

[أسماعنا] السمع مصدر والمصادر لا تجمع، وجمعه- رضي الله تعالى عنه- باعتبار فقده الحال وهو إدراك الإذن وقد يطلق مجازا على القوة السامعة، وعلى العضو.

[بلذيذ خطابك] أي خطابك اللذيذ المستلذ، وهذا المطلوب هو غاية للإسماع

يا مسمع أنواع الاستماع؛ أي أسماعنا منك بما تخلقه في قلوبنا من الفهم أو تمهد لنا من المعاني، وهذا أكمل درجات السماع، وهي ثلاث درجات: **الأول**:سماع العامة.

الثاني: سماع الخاصة.

الثالث: سماع خاصة الخاصة.

فالأولى: تحصل من دواعي الأعمال من رجاء وخوف وإجلال ورؤية نعم أي الجلال.

والثانية: من طرق الأحوال.

والثالثة: من فضل الكريم المتعال لشغلهم به عن غيره في كل حال.

فسبب **الأولى**: التجريد للأعمال.

والثانية: توالي الواردات والأحوال.

والثالثة: ما يجريه عليهم من فضله وذلك من غاية النوال.

حكي بن عباد عن بعض العلماء: كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلاوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه، ثم رفعت إلى مقام فوقه، وكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه الصلاة والسلام يلقيه على رسول الله ﷺ ثم إلى منزلة أخرى وأنا آلف أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه.

وقد أشار- رضي الله تعالى عنه- إلى هذا المقام أيضًا بقوله: وأسمعنا منك. [واصمتْ ألسنتنا] أشار بهذا إلى طلب مقام الصمت، يقال: صمت صمتًا وصموتًا وصماتا؛ أي: اسكت والتصميت التسكيت، وآمان اللسان كثرة منها الغيبة والنميمة والكذب والاستهزاء، وفي الصمت.

[عما سوى ذكرك] أي: وسوى ما تدعو إليه الضرورة ملامة منها، والسلامة أولى من النميمة مع ما فيه أيضًا من جمع الهم ودوام الوقار والفراغ والفكر والعبادة والذكر والسلامة من متبعات القول في الدنيا، ومن حسابه في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18]، وقال تعالى: ﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:114].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[1] رواه الشيخان.

وفي حديث معاذ المشهور قوله ﷺ: «ألا أخبرك بملاك يوكل كله؟ قلت: بلي يا رسول الله فأخذ بلسانه، وقال: كف عليك هذا، فقال يا رسول الله: إن المأخذون بما نتكلم به، فقال: وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»[2] رواه الترمذي وابن ماجه.

وقال ﷺ: «كل كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله تعالى»[3].

وروى الترمذي خبر: «من صمت نجا، سئل ﷺ فبمَ النجاة! فقال: في حفظ اللسان»[4].

وفي وصية الإمام علي - رضي الله تعالى عنه - الولاية: والعافية عشرة أجزاء التسعة منها في الصمت، وواحدة في ترك مجالسة السفهاء، ونقل هذا في «البستان» عن بعض العارفين إلا أنه قال: وواحد في الاعتزال عن الخلق.

وورد في «الجامع الصغير» حديثًا غير أنه قال: والعاشر في العزلة.

وفي «الإحياء» قال ﷺ: «العبادة عشرة أجزاء التسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس»[5] .

وفي كلام الشبلي في «صفة العارف»: ولا يكون بكلام غيره تعالى إلا فظًا، وفي ضمن هذا المطلوب طلب الحفظ أيضًا عما يقوم مقام اللسان من كتابه، وأسكته فكم من ساكت وهو متكلم.

قال القشيري ﷺ: الصمت سلامة وهو الأصل، والسكوت في وقته صفة

---

(1) رواه البخاري (1352/3)، ومسلم (68/1).

(2) رواه الترمذي (11/5)، وابن ماجه (1314/2)، وأحمد (231/5).

(3) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (ص23).

(4) رواه الترمذي (660/4).

(5) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (36)، بلفظ: «الحكمة»

الرجال كما أن النطق في موضعه أشرف الخصال.

قال: وسمعت أبا علي الدقاق يقول: من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس، وأما أبناء وأصحاب المجاهدة السكوت فلما في الكلام من الآفات ثم ما فيه فهو حظ النفس، وإظهار صفات المدح، والميل إلى أن يتميز من بين أشكاله بحسن النطق وغير هذا من الأفاق، وذلك نعت أرباب الرياضة وهو أحد أركانهم في حكم المنازلة وتهذيب الخلق، ثم قال: وقيل صمت القوام بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم، وصمت المحبين من خواطر أسرارهم.

[عمـــا سوى ذكرك] أشار به إلى باب الذكر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:41].

وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت:45].

وقـــال ﷺ: «ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجـــاتكم، وخيركـــم في إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيـــضربوا أعـــناقكم وتـــضربوا أعناقهم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ذكر الله تعالى»[1] رواه بن ماجه.

وقال ﷺ: «سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[2] رواه مسلم، وفي خبر الصحيح: «لله ملائكة يطوفون الطرقات يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله ﷻ تنادوا هلموا إلى حاجتكم»[3].

قال الفخر الرازي في «شرح الأسماء الحسنى»: واعلم أن الذكر على ثلاثة أقسام:

ذكر باللسان، وبالقلب، وبالجوارح.

وأما الذكر باللسان فهو الألفاظ الدالة على التجميل والتمجيد والتسبيح.

---

(1) رواه الترمذي (5/459)، وابن ماجه (2/1254).

(2) رواه مسلم (4/2062).

(3) رواه البخاري (5/2353)..

وأما الذكر بالقلب فعلي ثلاثة أنواع:

أحدها: أن يتفكر الإنسان في دلائل الذات والصفات.

وثانيها: أن يتفكر الإنسان في دلائل التكاليف من الأمر والنهي والوعد والوعيد ويجتهد من يقف على حكمها وأسرارها، وحينئذ يسهل عليه فعل الطاعات وترك المحظورات.

وثالثها: أن يتفكر الإنسان في أسرار مخلوقات الله تعالى تصير كل ذرة من تلك الذرات كالمرآة المجلوة المحاذية لعالم الغيب، فإذا نظر العبد بعين عقله إليها وشعاع بصره الروحاني فيها سلم الجلال، وهذا مقام لا غاية له، وبحر لا مسلسل له.

وأما ذكر الله بالجوارح أن تصير الجوارح مستغرقة في الطاعات، وخالية عن المنهيات، وبهذا التفسير سمى الله تعالى الصلاة ذكرًا، فقال: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [الجمعة: 9]. وانشدوا:

ذكـــرتك لا أني نـــسيتك لحظـــة والـــسر مـــا في الذكـــر ذكر لساني

قال سعيد بن جبير: لا تنحصر فضيلة الذكر في الشيخ ونحوه بل كل عامل بطاعة ذاكر، وقال عطاء: مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام، ويشهد له حديث: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»[1] وفسرها بذلك قال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي وهو من تلامذة الشيخ ولي الدين العراقي في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف: 205].

والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس ولا يراعى إلا بحركة اللسان.

ويدل على ذلك من هذه الآية قوله: ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: 205]، وهذه مرتبة السر والمخالفة.

وقال الفخر: المراد بقوله فقال: واذكر ربك في نفسك، كونه عارفًا بمعاني الأولى، والتي يقولها بلسانه مستحضرًا لصفات الجلال والعظمة، وذلك أن الذكر باللسان إذا كان عازفًا عن الذكر بالقلب كان عديم الفائدة؛ ألا ترى أن الفقهاء قالوا:

(1) رواه الترمذي (5/535).

إن الرجل إذا قال بعت واشتريت مع أنه لا يعرف معاني هذه الألفاظ، ولا يفهم منها شيئًا؛ فإنه لا ينعقد البيع والشراء فكذلك هاهنا، انتهى.

وهو مخالف لكلام الجمهور السابق وقد يقيد به ثم قال الشيخ أبو عبد الله الجالقي: واعلم أن الإنسان مطلوب بطهارة فسد وتزكيتها وطرق التزكية، وإن كثرت فطريق الذكر أسرع نفعًا وأقرب مرامًا، وعليه صرح أكثر مشايخ الرئيسية ثم قال الجالقي: والذكر على قسمين: ذكر العامة، وذكر الخاصة.

أما ذكر العامة وهو ذكر الأجور فهو أن يذكر العبد مولاه بما شاء فمن دحره لا يقصد غير الأجور والثواب.

وأما ذكر الخاصة فهو ذكر الحضور وهو أن يذكر العبد مولاه بأذكار معلومة على صفة مخصوصة لينال بذلك المعلومة الله سبحانه بطهارة نفسه من كل خلق ذميم ويجليها بكل خلق كريم، انتهى.

وقال في «الرسالة»: الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه، وهو العمدة في هذا الطريق، ولا يصل أحد إلى الله سبحانه الأحد وذم الذكر، ثم الذكر على قسمين:

ذكر باللسان، وذكر بالقلب، فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير لذكر القلب، فإذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل في وصفه، وسمعته أبا عليّ الدقاق يقول: الذكر منثور الولاية، فمن وفق للذكر وفق للمنثور، ومن سلب فقد عزل. [وغُضْ] يقال: غض بصره إذا رفأ جفنيه. [أبصارنا] جمع بصر وهو إدراك العين، وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو عن مشاهدة غيري لعل المراد أيضًا البصائر فيكون المطلب المشاهدة.

قال الشبلي في وصف العارف: ولا يكون لغيره تعالى لاحظًا[1].

قال القشيري ﷺ: المحاضرة ابتداء والمكاشفة بعده، فالمحاضرة حضور الغائب وقد يكون متواتر البرهان وهو بعد وراء الستر إن كان حاضرا باستيلاء سلطان الذكر بعده المكاشفة، وهي تبعد البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وبطلب السبيل، ثم المشاهدة وعلى وجود الحق من غير بقاء ومهتمة بصاحب المحاضرة لهديه

(1) وبقيته: ولا بكلام غيره لا فظاً، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً. [الرسالة1 /142].

عقله، وصاحب المكاشفة لهديه علمه، وصاحب المشاهدة لمحو معرفته، قال: ولم يرد في بيان تحقيق المشاهدة أحد على ما قاله عمرو بن عثمان المكي ومعنى ما قاله أنه بتوالي أنوار التجلي على قلب من غير أن يتخللها ستر وانقطاع، كما لو قدر إيصال البروق، فكما أن الليلة المظلمة بتوالي البروق، وإيصالها إذا قدر ذلك تصير في ضوء النهار، كذلك القلب إذا دار به التجلي منه بنهاره فلا سبيل ليلي بوجهك مشرق، فظلامه في الناس مساوي، فالناس في سدف الظلام ونحن في ضوء النهار، السدف جمع سدفة كغرفة وغرف.

وقال الثوري: لا يصلح للعبد المشاهدة وقد بقي له عرف قائم، وقالوا: إذا طلع الصباح استغنى عن المصباح، وقال الغزالي: المكاشفة أتم من المشاهدة وهو خلاف المشهور وانتهى من شرح التعريف، ويحتمل أن يكون مراده أن يكون غريقًا في بحار التوحيد مطموسًا عليه آثار الوسائط، بأن يغلب سكره، وهو عدم إحساسه بالإعياء على صحوه، وهو وجود إحساسه بها وجمعه، وهو ثبوت وجود الحق على فرقة، وهو ثبوت وجود المغلق وفناءه، وهو استهلاكه في شهوده على بقائه، وهو شعوره بالخلق وغيبته، وهي ذهاب أحوال الخلق عن نظره على حضور مع الخلق، وهذه ألفاظ متداولة بينهم يتخاطبون بها ويختصون بفهم معانيها، حلي وحالك في الرواية واحد والقصد إلا العلم واستعماله.

وقال الشبلي ﷺ في «وصف العارف»: ولا يكون بغير الله تعالى لاحظًا كما مرَّ.

[واقصر رجلنا عن السَّعي] أي: المشي في غير طاعتك من المخالفات، قال: أجاب التي تجردت عن قصد ما يدخلها في القربات واصرفها في السعي إلى مجرد الطاعات، وما خلقت لأجله من العبادات والطاعة وكل ما لله سبحانه وتعالى فيه رضا، والقصر في اللغة الحبس وفي اصطلاح أهل المعاني تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.

[واجعل أنفسنا] جمع النفس بإسكان الفاء وهي ذات الشيء وحقيقته ويقال للروح وللقلب وللدم وتكون. [مطيعة لأمرك] مفرد مضاف فيعم أي: بجميع أوامرك ومن طاعته طاعة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء: 80].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ [النساء: 69] [1].

---

(1) قال البقلي: جعل الله تعالى الطاعة على ثلاث مراتب، وهي في الأصل واحدٌ؛ لأنه مرجع الكل، وكل طاعة منها مخصوصةٌ بمقامٍ من مقام الولاية، فإذا كان أهلاً لبساط القربة وفهم خطاب الحق بلا واسطة أطاعه بمراده بلا واسطة، وإذا لم يبلغ إلى تلك الدرجة ولم يفهم حقائق رمز الله يرجع إلى بيان نبيه ﷺ؛ لأنه بيَّن غوائص خطاب الله، وأطاعه فيما أمر، وذلك طاعة الله بواسطة نبيه، وإن لم يبلغ إلى فهم خطاب النبي ﷺ واستنباطه إشارته يرجع إلى بيان أكابر علماء أمته من أصحابه وغيرهم من الأولياء والصديقين والعارفين؛ لأنهم بيَّنوا خطاب رسول الله ﷺ. وأيضًا: هذا طاعة الله بوسيلة أولي الأمر والأنبياء والملوك في الدنيا مساقط ظل الله، ومن أراد أن يرى بهاء الله وآثار عظمته فلينظر إليهم، قال ﷺ: «السلطانُ ظلُّ الله في الأرضِ»، وقال: «الملكُ والنبوةُ توأمان»، ومن التبس بظل الله صار أمره أمر الله، وهاهنا أشار عين الجمع. وفي الآية إشارةٌ: أي: إذا بلغتم مقام خطاب الخاص من العلوم المجهولة المشكلة اسلكوا مسلكها بغير الواسطة، كالخضر كان متابعًا للعلم اللدني في الخارج عن أمر الظاهر، مثل قتل الغلام، وكسر الألواح، وهذا خاصٌّ لمن وقع له سهم الغيب، ومن بلغ مقام التوحيد ومرتبة الاستقامة لسلك مسلك الأنبياء في مباشرة التوسع والرخص كالأنبياء، مثل سليمان وداود ﷺ ويوسف ﷺ ومحمد ﷺ، وهذا منزل الاقتداء، ولا يصلح هذا للمتكلفين، ومن فتح له باب بيان علم الحقائق يتكلم بإصلاح علماء الله، فإن سلوك مسالكهم لمن له فهم الغيب طاعةٌ معروفةٌ وأسوةٌ حقيقيةٌ، وكل ما ذكر فهو تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

وعن جعفر بن محمد قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ بالرضا بحكمه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في المجاهدة في الوفاء بأمره والسر مع الله والظاهر مع رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن علي: أطع الله، فإن تملك ذلك، وإلا فاستعن بطاعة الرسول ﷺ على طاعة الله، فإن وصلت إلى ذلك، وإلا فاستعن بطاعة الأئمة والمشايخ على طاعة رسول الله، ولا تسقط عن هذه الدرجة فتهلك.

قال الجنيد في تفسير هذه الآية: العبد مبتلى بالأمر والنهي، ولله في قلبه أسرارٌ تخطر دائمًا، فكلما خطر خاطرٌ عرضه على الكتاب فهو طاعة الله، فإن وجد له شفاءً، وإلا عرضه على السنة، وهو طاعة الرسول، فإن وجد له شفاءً، وإلا عرضه على سر السلف الصالحين، وهو طاعة أولي الأمر.

قال أبو سعيد الخرّاز: العبودية ثلاثةٌ: الوفاء لله بالحقيقة، ومتابعة الرسول في الشريعة، والنصيحة لجماعة الأمة. [عرائس البيان 1/297] بتحقيقنا.

وفي «الشفاء» قال السمرقندي يقال: أطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم، ويقال: أطيعوا الله في الشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة، وقال ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»[1] انتهى.

وقال الشيخ في «شرح الرسالة»: النفس تطلق على الحقيقة، فقال: نفس الجوهر ونفس العرض ونفس العلم ونفس الجهل أي: حقيقة كل منهما وعلى الدم، فقول الفقهاء: ما لا نفس له سائلة إذا وقع في ماء لا ينجسه وعلى القالب الموضوع وهو الجملة، ثم قال: والنفس والروح والقلب والسر والفعل عند محققي الصوفية بمعنى واحد، وهو ما يفارق الإنسان بموته من اللطيفة الإنسانية والحقيقة الربانية، ومن هؤلاء الغزالي قال: وفرق جماعة منهم المصنف، فقال: أولا: أنهم أرادوا بها ما كان معلولاً من أوصافه ومذموما من أفعاله وأخلاقه، وثانيا: أنه يحتمل أن تكون لطيفة مودعة في هذا القالب وهي محل الأخلاق المحمودة، انتهى.

قال الشيخ: ويعبر عن هذا بأن الروح جوهر نوراني علوي رباني، والنفس ظلمانية سفلية شيطانية، وأما القلب فمنقلب منهما فالروح طيبة شأنها المراقبة، والنفس خبيثة شأنها المخالفة، والقلب أفعاله إلى الروح اتصف بصفتها وانقهرت النفس معهما، أو إلى النفس فبالعكس. [وقلوبنا] جمع قلب وهو محل العلم وقد يطلق ويراد به العلم والمعرفة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق:37]، والمراد هنا الأولى لعطفه العقول على القلوب. [مطمئنة لذكرك] طمأنينة القلب استكانة والسرور بذكر الله تعالى والسكون به كمالاته ورضي بالثواب عليه وجودة اليقين وعلى صفة المؤمنين لا تطمئن قلوبهم إلا بحبه، ولا يستأنسون إلا برفع حجبهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28].

قال البغوي: فإن قيل أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال:2]، فكيف تكون الطمأنينة والوجل في حالة واحدة، قيل: الوجل عند ذكر الله الوعد والثواب والقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله تعالى

(1) رواه البخاري (1080)، ومسلم (3/1466).

وشدة حسابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه، وقال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم»[1] الحديث، فلما أن كانت القلوب محل نظر الله سبحانه وتعالى طلب ﷺ طمأنينتها بذكره تعالى، ويطلق القلب بطريق الاشتراك على معنى النفس كما سيأتي وطمأنيتها بثبوتها تحت الأمر، ومزايلتها الاضطراب بسبب مفارقة الشهوات، فالقلب يطلق المعنيين أخذهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الأخير من الصدر الثاني لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق؛ وتلك اللطيفة حقيقة الإنسان، وهي المدرك والمطالب والمعاقب، ومرَّ الكلام على بعض ما قيل في الذكر.

[وعقولنا] العقل عند المتكلمين في غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة بالآلات القوى الظاهرة والباطنة، وسلامتها شرط، وقيل: نور روحاني به تدرك النفس العلو، وأما من عبارة القوم، فقال في «الإحياء» قد يطلق ويراد به العلم بحقائق الأمور، فيكون عبارة عن صفة العلم، وقد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب أي لتلك اللطيفة.

[مسترشدة] المسترشد هو الطالب للرشاد، وهو ضد النفي.

[لعلمك] علم الله تعالى صفة أزلية ينكشف المعلومات عند تعلقها بها أي التعلق التنجيزي وعلم الخلق صفة ينجلي بها المذكور لمن قامت به؛ أي: أوصل عقولنا إلى معرفتك بالنظر في آياتك ومصنوعاتك وسواطع البراهين الدالة على معرفتك وعلمك بأسمائك وصفاتك لا بذاتك[2].

---

(1) رواه مسلم (1986/4).

(2) قال المناوي: الذي لم يزل عليمًا بجميع الكليات والجزئيات، محيطًا بها قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الأنعام: 73]. وهذه الأفعال المتقنة تدل على علم فاعلها، ومن تفكر في بدائع الأيات السماوية والأرضية وفي نفسه وجد دقائق حكمة تدل على كمال حكم مبدعها، وعلمه الكامل:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [فصلت: 53] . ولا يرد أن الحيوانات قد يصدر عنها أفعال عجيبة متقنة كما يشاهد من بيوت النمل والنحل فإنها مخلوقة لله على أصول الأشعري، إذ لا يؤثر غيره على أن عدم علم تلك الحيوانات بها محال، بل بظاهر الكتاب

قال القشيري رضي الله عنه: ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة، ولا مرئية بالأبصار في الدنيا موجودة بحقائق الإيمان من غير حدٍّ ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهرا في ملكه وقدرته، قد حجب العقول عن معرفة لكنه ذاته، ولم عليه بآياته فالقلوب تعرفه والعقول لا تدركه ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة فلا

والسنة يدل على علمها، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [النحل: 68] . ونظائره كثيرة، وليس المراد بالعلم في حقه تعالى ما يشبه علم المخلوق، فإن علمنا عرض ومحدث وقاصر، ومستفاد من الغير وعلمه تعالى صفة أزلية كاملة ذاتية، يدرك بها كل معلوم على وجه الشمول والإحاطة: واجبًا، أو جائزًا، أو محالاً كليًّا، أو جزئيًّا يعلم ذلك كما هو بعلم قديم واحد، ولا تتعدد المعلومات ولا تتجدد بتجددها، أحاط بكل شيء علمًا، فعلمه محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً كليًّا وجزئيًّا، كيف لا يعلمه وهو خلقه؟ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك: 14] .

وقد اشتهر عن الحكماء أنه لا يعلم الجزئيات المادية بالوجه الجزئي بل إنما يعلمها بوجه كلي منحصر في الخارج، وقد كثر تشنيع الطوائف عليهم في ذلك وكفروا من قال به حتى أن العلامة النصير الطوسي – مع توغله في الانتصار لهم – قال: هذه السباقة منهم تشبه سياقة الفقهاء في تخصيص بعض الأحكام بأحكام تعارضها في الظاهر، وذلك أن الحكم بأن العلم بالعلة يوجب العلم بالمعلول إن لم يكن كليًّا لم يمكن أن يحكم بإحاطة الواجب بالكلي وإن كان كليًّا وكان الجزئي المتعين من جملة معلولاته يوجب ذلك الحكم أن يكون عالمًا بما له، فالقول بأنه لا يجوز أن يكون عالمًا به لامتناع أن يكون الواجب موضوعًا للتغيير بتخصيص لذلك الحكم الكلي بأمر آخر يعارضه في بعض الصور، وهذا دأب الفقهاء ومن يجري مجراهم، ولا يجوز أن يقع مثل ذلك في المباحث المعقولة لامتناع تعارض الأحكام فيها. إلى هنا كلامه .

ومما رد به عليهم أن تغير الإضافة لا يوجب تغير المضاف كالقديم يوجد قبل الحادث ثم بعده.

فإن قلت: كيف مال إليه حجة الإسلام مع تصريحهم بتكفير منكري العلم بالجزئيات؟ قلت: قال في «الفتوحات»: إنما أراد الحكماء بما عزي إليهم أنه سبحانه عالم بالجزئيات في ضمن الكليات، من غير احتياج إلى تحليل وتفصيل كما في علم المخلوقات، فأرادوا المبالغة في التنزيه فأخطئوا في التعبير فقط، فالحجة لحظ ذلك، وعليه ليس في العالم من ينكر تعلق العلم بالجزئيات، فإن وقع ذلك من بعض المقلدين فهو خطأ في الفهم عن أسلافهم، [اليواقيت والدرر للمناوي ص44] بتحقيقنا .

إدراك، انتهى.

وقال في «جمع الجوامع» حقيقة مخالفة لسائر الحقائق، قال المحققون: ليست معلومة الآن واختلفوا هل يمكن علمها في الآخرة، انتهى.

[وأبداننا هينة] من الهول وهو الرفق واللين [لينة] أي: اجعل ذواتنا مذللة سهلة منقادة. [لطاعتك] وهي التدخل بالعبادة وقبول الأوامر، قال ﷺ: «المؤمن هين لين»[1] رواه البيهقي.

وقال ﷺ : «حرم الله على النار كل هين لين سهل قريب من الناس»[2] رواه الإمام أحمد.

[وهب لنا] تفضلا منك. [المداومة على ذلك] إشارة إلى جميع ما تقدم من قوله هب لنا الخلوة إلى ها هنا وإلي بضمير المتكلم ومعه غيره لا المعظم نفسه؛ لأنه دعا نقصد بذلك غيره لا المعظم نفسه دعا نقصد بذلك غيره معه بخلاف ما قبله فإنه أخبار عن نفسه بالإيمان والإقرار، وبما بعدها فأتي فيه بما اشتمل على ضمير المتكلم وحده.

[على بساط العلم]، ومر الكلام عليه.

[والمراقبة] وهي لغة دوام ملاحظة المقصود واصطلاحًا دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى وترقب ما يبدوا من أفعاله وأحكامه، ويعبر عنه باستشعارك نظر الله إليك في حركاتك وسكناتك، وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده ووعيده وأحكامه وثمرتها حسن الأدب والسلامة من شديد الحساب، والتحلي بحلية ذوى الألباب كذا في «شرح الرسالة»، وقد أشار إليها النبي ﷺ مقبولة في حديث سؤال جبريل عن الإحسان: «والإحسان أن تعبد ربك كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[3].

قال الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم»: هذا من جوامع الكلم أوتيها ﷺ لأن لو قدرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يناجي ربه سبحانه وتعالى لم يترك شيئًا مما

---

(1) رواه الديلمي (4/174).

(2) رواه أحمد (1/415).

(3) رواه البخاري (1/27)، ومسلم (1/37).

يقدر عليه من الخضوع، وحسن الصمت اجتماعه بظاهره وباطنه على الاعتناء بتتميمها على أحسن وجه وهذا الآتي به فقال ﷺ: «اعبد الله سبحانه في جميع أحوالك كعبادتك في حال العيان»[1]، فإن القيم المذكور في حال العيان إنما كان بعلم العبد باطلاع الله تعالى عليه، ولا يقدم العبد على تقصير وفي هذا الاطلاع عليه، وهذا المعنى مع رؤية العبد، فينبغي أن يعمل بمقتضاه فمقتضى الكلام الحث على الإخلاص، ومراقبة العبد ربه تبارك وتعالى في إتمام الخضوع والخشوع في غير ذلك، وقد ندب أهل الحقائق في مجالسة الصالحين ليكون ذلك من مغاني تكسب بشيء من النقائض احتراما لهم، واستحيا منهم فكيف بمن لا نراه سبحانه مطلعًا عليه في سره وعلانيته، انتهى.

وقال المحاسبي ﷺ: سألت أبا جعفر محمد بن موسى أجمل حالات العارفين ما هي؟ قال: إن الحالة التي تجمع لكل الحالات المحمودات كلها في حالة واحدة، هي المراقبة فالزم نفسك وقلبك دوام العلم بنظر الله إليك في حركاتك وسكونك وجميع أحوالك، فإنك بين الله ﷻ في جميع تقلباتك، وإنك في قبضته حيث كنت فإن عين الله على قلبك فانظر إلى سرك وعلانيتك، فهذه الصفة يا فتى بحر ليس شط بحر تجري منه السواقي في الأنهار، وتشير فيه السفن إلى معادن الغنيمة، انتهى.

وقال القشيري ﷺ في «الرسالة» و«التحبير» ومن علم اطلاع الله تعالى عليه يكون مراقبًا لديه، ومن لم تصح محاسبته لم تصح مراقبته، انتهى. كما في «الرسالة»: ولا يكاد يصل إلى هذه إلا بعد فراغه من المحاسبة، انتهى.

ومقام المراقبة أفضل المقامات، وأعلى درجاتها أن يراقب ليكون من الأحباب لا لطلب ثواب ولا لخوف من عقاب.

وقال الجريري ﷺ: من لم يحكم بينه وبين الله ﷻ التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة. [والتوسط] عطف على العلم [بين الخوف] برغم يلحق الإنسان لأمر يتسع، ويقال فرغ القلب عن مكروه يناله أو محبوب يفوته، ويقال: الخوف على المستوقع والخوف على الواقع وفيه بحث لقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا

(1) ذكره المباركفوردي في تحفة الأحوذي (7/291).

به﴾ [يوسف:13]، قال بعضهم: ويمكن أن يقال المعنى قصد أن يذهبوا به، والقصد حاصل في الحالة.

[والرجاء] هو تعليق القلب بمحبوب سيحصل، وقيل ثبوت بالقلب من ملاصقة الرب، وقيل غير ذلك وهذه طريقة كثير من العلماء- رضي الله عنهم- وعلى أن الكمال في حال الصحة استواء الخوف والرجاء في قلب العبد، وقال النووي: أنه الأظهر الغالب في القرآن ذكرًا في الترغيب والترهيب معًا كقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:106]، ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:13-14]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الانشقاق:7]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾[الحاقة:25]، فلا يغلب أحدهما على الآخر بل يكون بينهما كالجناحين للطائر، والكفتين للميزان، وهذا ما أوصى به أبو بكر عمر- رضي الله عنهما- بقوله: «ليكن العبد راغبًا راهبًا لا يتأتى على الله ولا يقنط من رحمته».

ويدل له قول عمر ﷺ: «لو نادى مناد من السماء كلكم داخلون الجنة إلا رجلاً واحدًا لرجوت أن أكون أنا هو، ولو نادى مناد كلكم داخلون النار إلا رجلاً واحدًا لخشيت أن أكون أنا هو» وعليه درج كثير من أهل الطريق إلى الله تعالى وهو ظاهر كلام الغزالي في «منهاجه» حيث قال: ومن الآيات اللطيفة الجامعة بين الرجاء والخوف قوله سبحانه وتعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الحجر:49].

ثم قال في عقبه: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾ [الحجر:50] لئلا يستولى عليكم الرجاء بمرة، وقوله تعالى: ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر:3] ثم قال في عقبه: ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ [غافر:3]، لئلا يستولي عليكم الخوف وأعجب من ذلك، قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:28] ثم قال في عقبه ﴿وَاللهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران:30]، وأعجب منه قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾ [ق:33]، فعلق الخشية باسم الرحمن دون اسم الجبار والمنعم والمتكبر ونحوه ليكون تخويفًا في تامين وتحريكًا في تسكين، كما يقول أما تخشى الوالد الشفيق والمراد من ذلك الطريق عدلاً فلا يذهب إلى أمن وقنوط، جعلنا الله وإياكم من المتدبرين لهذا الذكر الحكيم العالمين

بما فيه إنه الجواد الكريم، انتهى. لكنه قال في الإحياء إن غلب على العبد ذا اليأس فالرجاء أفضل، أو ذا الأمن من مكر الله فالخوف أفضل، انتهى.

وقال المشايخ: الإرادة ترك ما عليه العادة، والنفس تحتاج إلى سائق وقائد في ابتداء أمرها فالرجاء يقودها والخوف يسوقها، وإذا استقام السائق والقائد مشت إلى الخير بسهولة ومتى أفرط القائد وللنار أمنها، ومتى أفرط السائق قطعها وقلها وفي «بستان العارفين» عن بعض العابدات، أنها قالت: في النفس إن ألزمتها الرجاء طمعت، وإن ألزمتها الخوف قنطت ولكن روح قلبك بين هذين الأمرين، وفيه أيضًا كالرسالة، عن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ: أنه قال سألت ربي ﷻ أن يفتح عليّ بابا من الخوف، فخفت على عقلي أن يذهب، فقلت: يا رب على قدر ما أطيق فسكن ذلك، انتهى.

وتمنى الحسن البصري أن يكون هو الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة، وتمنى سالم مولى أبي حنيفة ﷺ أن يكون من أصحاب الأعراف.

وقال جماعة: أن الأولى تغليب الخوف مطلقًا.

وقال الزمخشري: قيل لأن يخاف فيبلغ الأمن خير من أن يأمن، فيبلغ الخوف وسبق تفصيل الأخبار، أما في حالة الاختصار فالأولى تغليب الرجاء وحسن الظن لخبر مسلم: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» أي: يظن أنه يرحمه ويعفو عنه وبخبر الصحيحين، قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي»[1].

قال المصنف ﷺ: [**وأيدنا في استغراق رؤية ذلك بنور المعرفة والمشاهدة، اللهم استغرق أنفسنا وعقولنا وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا في أنوار جمالك وجلالك، وألبسنا خلع الكمال، وأفننا في نور التوحيد، وأبقنا بك، وأسمعنا منك، وفهمنا عنك، وبصرنا في آلائك، وأحينا بروح القرب**].

قال الشارح ﷺ: [**وأيدنا**] التأييد التقوية أي قوتا في حال.

[**استغراق رؤية ذلك**] بأبصارنا وبصائرنا. [**بنور المعرفة**] الذي يشرق في قلوبنا فتضيء به، كالتشفي بأبصارنا حتى نهتدي به إلى الوصول إلى المطالب، ونبلغ به

---

(١) رواه مسلم (4/2061).

غاية المقاصد وأصل النور والضوء المدرك بالبصر، ثم استعمل مجازًا فيما وضح من معاني ولاح، وسيأتي الكلام عليه على طريق القول عند قوله: نور اليقين.

[والمشاهدة] [1] إذا امتلأ القلب بالنور زال كل حجاب بين العبد وبين الله تعالى، ووصل إلى مقام الشهود بحقيقة فيقضي الشاهد ويمحو الشواهد، وحينئذ لا يصح الكلام مع وجود الشهود؛ لأن الشهود يقع به الفناء والكلام يقع به الحجاب، ودليل الأول قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف:143].

ودليل الثاني قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:51]، هذا مع أن لكل أمر نور فكيف لمن أشرق في قلبه المعارف وتأيد بأنوار العوارف، قال في «لطائف المنن» قال الشيخ أبو الحسن رضي الله تعالى عنه: لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض، فما ظنك بنور المؤمن المطيع، قال: ولقد سمعت شيخنا أبا العباس ﷺ يقول: لو كشف عن حقيقة الولي لعبد كان أوصافه من أوصافه ونعوته من نعوته، قال: ولقد أخبرني بعض المريدين، قال: صليت خلف شيخي صلاة فشهدت ما أبهر عقلي وذلك أني شهدت بدن الشيخ والأنوار قد ملأته، وانبثت الأنوار من وجهه حتى أني لم أستطع النظر إليه، قال: فلو كشف الحق تعالى عن شرقات قلوب أوليائه لانطوى نور الشمس والقمر من نور مشرقات أنوار قلوبهم، وأين نور الشمس والقمر من مشرقات أنوار

---

(1) قال الشيخ الشعراني نقلاً عن الشيخ الأكبر: اعلم أن المشاهدة عند الطائفة رؤية الأشياء بدلائل التوحيد، ورؤيته في الأشياء وحقيقتها اليقين من غير شك قالت بلقيس: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: 42]، وهو كان هو، لم يكن غيره.

قال: وهذا القول الذي صدر منها يدل عندي أنها لم تكن كما قيل متولدة بين الإنس والجن، إذ لو كانت كذلك لما بعد عليها مثل هذا من حيث علمها بأبيها، وما نجده في نفسها من القوة على ذلك، حيث كان أبوها من الجن على ما قيل فهذا شهود حاصل، وعين مشهوده وعلم ما حصل؛ لأن متعلق العلم المطلوب لها إنما هو نسبة هذا العرش المشهود إليها كما هو في نفس الأمر ولم تعلم ذلك، كما أن الصحابة لما رأت جبريل ﷺ في صورة دحية ما قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾، وإنما قالت: هو دحية، ولم يكن في نفس الأمر دحية، وهذا على النقيض من قصة بلقيس، واشتركا في الشهود وعدم العلم بالمشهود، وأطال في ذلك، [مختصر الفتوحات المكية] بتحقيقنا.

قلوبهم أنوارهم الشمس يطرأ عليها الكسوف والغروب، وأنوار قلوب أولياء الله لا كسوف لها ولا غروب، لذلك قال قائلهم: إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب، انتهى.

حالي وحالك في الرواية واحد ما القصد إلا العلم، واستعماله اللهم نور قلوبنا بنور المعارف، واشرح صدورنا بلطائف العوارف، وأنلنا من بعض ما أنلتهم، وأذقنا حلاوة الإيمان الذي أذقتهم يا سيدي يا معيد يا فعال لما يريد، [اللهم استغرق أنفسنا] قال في «الإحياء»: تطابق النفس لمعان ويتعلق غرضنا بمعنيين، أحدهما: المعنى الجامع لقوى الغضب والشهوة في الإنسان، وهو الغالب في استعمال الصوفية والمشار إليه بقوله ﷺ: «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»[1].

الثاني: اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته، انتهى.

ولعل المراد هنا هو الثاني لئلا يتكرر مع الأرواح، [وعقولنا] تقدم الكلام على العقل والمعرفة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: 37].

[وأرواحنا] قال في «جمع الجوامع وشرحه»: وحقيقة الروح وهي النفس لم يتكلم عليها محمد ﷺ وقد سئل عنها لعدم نزول الأمر ببيانها، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: 85]، فنمسك نحن ولا نعبر عنها بأكثر من موجود، كما قال الشيخ الجنيد وغيره والخائضون اختلفوا، فقال جمهور المتكلمين: بأنها جسم لطيف منشبك بالبدن اشتباك الماء بالعود الأخضر، وقال كثير منهم: أنها عرض وهي الحياة التي صار البدن موجودا بها حياة.

قال السهروردي: ويدل للأول وصفها في الأخبار بالهبوط والعروج والتردد في البرزخ.

وقال الفلاسفة وكثير من الصوفية: أنها ليست بجسم ولا عرض، وإنما هي جوهر مجرد قائم بنفسه غير متحيز متعلق بالبدن للتدبير والتحريك غير داخل فيه ولا خارج عنه، انتهى.

---

(1) رواه البيهقي في الزهد الكبير (157/2).

وقال الثعالبي في تفسيره: قد كثر القول فيها بين العلماء، حتى قال ابن رشد: أخبرني شيخي شهاب الدين القرافي عن ابن دقيق العيد: أنه رأى كتابًا لبعض الحكماء في حقيقة النفس وفيه ثلاثمائة قول، قال: وكثرة الخلاف تؤذن بكثرة الجهالات ثم حكي عن ابن رشد غريبة وهي أنه قال: وقد أخبرني الفقيه الخطيب أبو محمد [البرزنجي] عن الشيخ الصالح ابن طاهر [الرجراجي] قال: حضرت عند ولي من الأولياء عند النزع فشاهدت نفسه قد خرجت من مواضع من جسده، ثم تشكلت على رأسه بشكله وصورته، ثم صعدت إلى السماء وصعدت نفسي معها فلما انتهينا إلى السماء الدنيا، شاهدت بابًا ورجل ملك ممدودة عليه، فأزال ذلك الملك رجله، وقال لنفس ذلك الولي: اصعدي فصعدت فأرادت نفسي أن تصعد معها، فقال لها: ارجعي فقد بقي لك وقت، قال: فرجعت فشاهدت الناس دائرين على جسمي وقائل يقول مات وآخر يقول لم يمت، فدخلت من أنفي أو قال من عيني، وقمت مستقر الروح من عند رب العرش تبدوه وتربة الأرض أصل الجسم والبدن قد ألف الملك الجبار بينهما فيصلحا لقبول الأمر والمحن:

فالـــروح في غربة والجسم في وطن فليعـــرفن ذمـــام الـــنازح الـــوطن

وعطف الروح على النفس يقتضي أنها غيرها، وقد حكي الثعلبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ﴾ [الزمر:42]: أن في ابن آدم نفسًا وروحًا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي بها العقل والتميز، والروح هي التي بها النفس والتحريك فإذا نام الإنسان قبض الله نفسه، ولم يقبض روحه وفي الإحياء أن الروح تطلق لمعنيين أحدهما جسم لطيف؛ أي كما تقدم، والثاني هو المعنى الثاني للقلب، وقد تقدم أيضًا وخص هذه؛ لأن العقل شرط لتوجيه الخطاب على من اتصف به، وبه يحصل النظر في الدلائل على الوحدانية، وجميع ما يجب لله تعالى ويمتنع عليه، والقلب ملك البدن والجوارح أتباع له وخدم وآلات، وبمعرفة الإنسان له يعرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه ولذا تقول له اتق الله فينا فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، وقال ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1] والروح سبب إحساس

---

(1) رواه البخاري (28/01)، ومسلم (1219/3).

الجسد بالتلذذ بالنعيم، والتألم بالجحيم فإن أراد الشيخ بالنفوس الأبدان إن كان عطف ما بعدها عليها ظاهرًا.

[وأسرارنا] جمع سر وهو ما يكتم ومثلها السريرة وجمعها سرائر، وقد جمعها ابن الفارض رضي الله عنه في قوله:

لي في الغرام سريرة والله أعلم بالسرائر

وهو عندهم لطيفة مودعة في الغالب كالأرواح وأصولهم تقتضي أنها محل المشاهدة، كما أن الأرواح محل المحبة والسر أشرف من الروح والروح أشرف من القلب، ويطلق السر أيضًا على ما يكون مصونًا مكسوبًا بين العبد والحق سبحانه في الأحوال أي الواردات على العبد، في أنوار جمالك وهي الدالة على الرحمة واللطف كالرحمن والغفار والكريم والرءوف واللطيف، وصفات جلالك وهي الدالة على العظم والقهر والسطوة كالجبار والمتكبر والمنتقم.

[والبسنا] زيادة على خلع الإيمان. [خلع الكمال] كخلع المعرفة والطاعة وحسن السمت والعمل الصالح والخشية والورع والحياء والعفو وأمثال ذلك، وهذا من باب الاستعارة فكأن المحتبي بأوصاف الكمال كالملابس للخلع حقيقة.

قال في «التنوير» قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه رأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: «يا عليّ طهر ثيابك من الدنس تحظ عند الله في كل نفس، فقلت يا رسول الله: وما ثيابي؟ فقال: اعلم أن الله كساك حلة الإيمان، وحلة المعرفة، وحلة التوحيد، وحلة المحبة، قال: ففهمت حينئذ» ويحتمل أنه أراد بالكمال الكمال الحقيقي الذي يوجب القرب من الله تعالى وهو العلم والحرية، فأما العلم فهو العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وحكمه في ملكوت السموات والأرض وما يترتب عليه، وقال منصور بن عمار: أحسن لباس العبد التواضع والانكسار لمولاه، وأما الحرية فهي الخلاص من أسر الشهوات، وغموم الدنيا، والاستيلاء عليها بالقهر تشبيها بالملائكة، وهذا أمر عزيز في مجاري العادات ومن هنا قيل:

أعني على الزمان محالا أن ترى مقلتاي طلعة حرية

[وافننا في نور التوحيد وابقنا بك] بقينا على التأييد أشار بهذا إلى الفناء والبقاء والفناء على قسمين، الأول: الفناء العام وهو طرد العدم وهذا هو المحتوم على جميع

المخلوقين من أهل الدنيا بعد موت أبدانهم بناء على أن الإعادة في إيجاد معدوم، وأما الأرواح فهي باقية أي حية وفي فنائها عند القيامة، تردد للشبلي: وإن اقتضى ضعفه في «جمع الجوامع» أنه لغيره، ونقل عنه أن الأظهر أنها لا تفنى أبدًا.

وعن المزني أن عجب الذنب يبلى، وأنه تأول لحديث أي قوله ﷺ: «ليس من الإنسان شيء لا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب»[1] بأنه لا يبلى بالتراب بل بلا تراب.

الثاني: الفناء الخاص بأهل الطريق وهو ذهاب الحس والحركة[2].

---

(1) رواه البخاري (4/1881)، ومسلم (4/2270).

(2) قال الشيخ: والفناء عند الطائفة على أقسام، فمنهم: من قال هو الفناء عن المعاصي، ومنهم: من قال هو رؤية العبد أن الله هو الفاعل لأفعاله.

ومنهم: من قال هو الفناء عن الخلق وغير ذلك، فأمَّا الفناء عن المخالفات هو ألا تخطر المعاصي له ببال حفظًا إلهيًا، ورجال الله هنا على قسمين: رجال لم يقدر عليهم المعاصي فلا يتصرفون إلا في مباح، وأطال في ذلك بذكر معاصي أهل بدر، وأهل الباب، ومعصية من علم أنَّ له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، وأنَّ هؤلاء وذنوبهم صورة لا حقيقة.

والقسم الثاني: رجال أطلعوا على سر القدر، وتحكمه في الخلائق، فعاينوا ما قُدِّرَ عليهم من جريان الأفعال الصادرة منهم من حيث ما هي أفعال لا من حيث ما هي محكوم عليها بكذا وكذا، وذلك في حضرة النور الخالص الذي نعته.

يقول أهل الكلام: أفعال الله كلها حسنة ولا فعل إلا لله، فلما عاين الرجال من هذا القسم ما عاينوه من حضرة النور؛ بادروا إلى فعل جميع ما علموا أنه يصدر منهم، وفنوا عن الأحكام الموجبة للبعد والقرب، ففعلوا الطاعات ووقعوا في المخالفات، كل ذلك من غير نيّة القرب والانتهاك لحرمه، فهذا فناء غريب أطلعني الله عليه بمدينة فاس، ولم أر له ذائقًا مع علمي بأن له رجالاً، ولكن لم ألق منهم أحداً، وأما الفناء عن أفعال العباد بقيام الله على ذلك من قوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد:33]، فهو أن يرى العبد الفعل لله تعالى من خلف حجاب الأكوان، أي: هي محل ظهور الأفعال فيها وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ﴾ [النجم:32]، أي: واسع الستر فالأكوان كلها ستره وهو الفاعل من خلف هذا الستر وهم لا يشعرون، وأما من يثبت أفعال العباد خلقًا لله من الأشعرية، فهو يشعر لكن لا يشعر لحجاب الكسب الذي أعمى الله به بصيرته كما أعمى بصره، من يرى الأفعال للخلق من المعتزلة حين وقف مع ما يشاهده ببصره فالكل على بصره غشاوة.

وأما الفناء عن صفات المخلوقين: فهو المراد بقوله: «كنت سمعه وبصره» الحديث،

-

قال «صاحب العوارف»: اعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء والبقاء كثيرة: فبعضها إشارة إلى فناء المخالفات وبقاء الموافقات، وهذا تقتضيه التوبة النصوح وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل، وهذا يقتضي الزهد وبعضها يشير إلى زوال الأوصاف المذمومة وبقاء المحمودة، وتقتضيه تزكية النفس، وبعضها: يشير إلى الفناء المطلق وكل هذه الإشارات فيها معنى الفناء من وجه، ولكن الفناء المطلق هو ما يستولي من أمر الحق على العبد فغلب كون الحق على كون العبد، انتهى.

وهذا قريب من قول بعضهم أنها حالة ترد على السالك فتغنيه عن كل شيء وتفنيه عن غيبته، فهو ذهاب الحس والحركة فمن كان سعده بربه بحيث نسي نفسه مع غيره ما عدا الله فقد بلغ نهاية مقام التوحيد، قال في الحكم: من فني به غاب عن كل شيء، قال ابن عباد: فلا يكون منه على الأشياء اعتماد، ولا يكون له إليها استناد، وقال في «الرسالة»: أشار القوم بالفناء إلى سقوط الأوصاف المذمومة، وأشاروا بالبقاء إلى مقام الأوصاف المحمودة، وهو معنى القول الثالث السابق في «كلام العوارف»، وأرفع أنواع الفناء هو الفناء المطلق وهو الفناء عن غير الحق والبقاء مع الحق كما سبق فمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الأغيار لا عينًا ولا أثرًا ولا رسمًا ولا طللا، يقال أنه فني عن الخلق وبقي بالحق.

قال الشيخ في «شرح الرسالة» في قول قائلهم: فافنوا ثم افنوا ثم افنوا، وابقوا بالفناء في قرب ربه جعل الفناء، والبقاء على ثلاث درجات: فناء العبد عن صفات نفسه من أعماله وأخلاقه وأحواله ببقائه مشاهدا لصفات ربه، فإذا اشتغل بكمال الذات المنزهة عن الجهات فني عن ذكر الصفات، وبقي ذاكرا لفنائه عن الصفات، فإذا اشتغل بالذات فني عن فنائه، وبقي ذاكرا للذات وهذا فناء الفناء، انتهى. وقالوا الفناء على ثلاثة أوجه: فناء في الأفعال لا فاعل إلا الله، وفناء في الصفات لا حي ولا عالم

-

وأطال في ذلك.

ثم قال: وصاحب هذا الفناء لا يتصف في نفسه، ولا عند نفسه بشهود، ولا كشف، ولا رؤية مع كونه يشهد ويكشف ويرى، ويزيد صاحب هذا الفناء على كل مشاهد وراء ومكاشف أنه يرى الحق كما يرى نفسه؛ لأنك رأيته به لا بك، وهذا مشهد عزيز لم أر له ذائقًا فإنه دقيق وأطال في بيان علاماته.

ولا قادر ولا مريد ولا سميع ولا بصير ولا متكلم على الحقيقة إلا الله، وفناء في الذات لا موجود على الإطلاق إلا الله، وأنشدوا في ذلك:

فـــيفنى ثم يفـــنى ثم يفـــنى وكـــان فـــناؤه عـــين الـــبقاء

ولذا قال ﷺ [وأبقنا بك] أي: وإذا حصل بقاؤنا بفنائنا في نور التوحيد وفناء قلوبنا بنور المعرفة المشرقة عليها في هذه الحالة بحضور حياة أجسادنا بالأرواح فزل أنت بقاؤها واجعله بك.

[وأسمعنا منك] أشار به إلى باب السماع، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:18]، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ [المائدة:83]، قال القشيري: السماع على قسمين: سماع بشرط العلم والصحو عن شرط صاحبه معرفة الأسماء والصفات يعني ما يجوز على الله ويجب له ويستحيل عليه لئلا يحمل الذي يسمعه على ما لا يليق بجلاله تعالى فيقع في الكفر والبدعة والعياذ بالله، وسماع بشرط الحال قال فمن شرط صاحبه البقاء على أحواله البشرية والتنقي من آثار الحظوظ بظهور الأحكام الحقيقية، ولما أن كان مطلوبه هو الثاني ذكره عقب الفناء؛ أي إذا حصل الفناء فأسمعنا منك، ونقل عن جعفر الصادق أنه: خرَّ مغشيا عليه وهو في الصلاة فسئل عن ذلك، فقال: ما زلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها وإذا أسمعتنا منك.

[فهمنا عنك] ومن اصطلاحاتهم أنه إذا بلغت الموعظة من أحد مبلغًا شافيا، قالوا: سمع ولا يحصل ذلك إلا إذا تولى الله تعالى إسماعه، فإذا أسمعه إسماع الانتفاع سمع وخشع وانقاد واطلع وأقبل بكليته على مولاه، وانقطع اعتماده واستناده على ما عداه، وأعرض عن كل ما سواه وتقدم هذا في قوله وأسمعنا كما تقدم.

[وبصرنا في آلائك] أي: نعمك فإذا نظرنا إليها ونظرنا إلى تقصيرنا تولد لنا من ذلك الحياء منك فعملناه بمقتضاه.

قال الجنيد ﷺ: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير فيتولد منهما حالة تسمى الحياء وقال ﷺ: «استحيوا من الله، قالوا: يا رسول الله إنا نستحي والحمد لله، فقال: ليس كذلك من استحيا من الله فليحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن يذكر الموت والبلاء ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد

استحيا من الله حق الحياء»[1] أو كما قال، فالحياء مانع من التقصير في خدمة ذي الجلال كما أنه مانع من ارتكاب قبح الأفعال [وأحينا بروح القرب] استعار الحياء من معناه الحقيقي وهو جعل الشيء حيا للقرب لعلاقة إحيائهم، وأشار بهذا القرب ومقابلة البعد فأول رتبة في القرب القرب من طاعته والاتصاف في دوام الأوقات بعبادته، والبعد هو التدليس بمخالفته والتجافي عن طاعته، ومن «الصحيح»: «ما تقرب إلي المتقربون بمثل ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»[2] فقرب العبد بالإيمان ثم الإحسان، وقرب الحق من العبد باختصاصه في الدنيا باللطف والعرفان، وفي الآخرة بما يكرمه من الشهود والعيان، ولا يحصل قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق، والقرب من حيث هو على ثلاثة أقسام:

الأول: بتداني اللغات وهو في نعته تعالى محال.

والثاني: بالعلم والرؤية وهو في نعته تعالى واجب بمعنى أنه مطلع علىْ الظواهر والسرائر.

والثالث: بالعقل باللطف والإنعام وهو في نعته تعالى جائز، يخص به من يشاء من عباده وهو خاص بالمؤمنين، وفوق هذا القرب قرب الأولياء وهو بخصائص التأنيس به تعالى - وهو المراد هنا - وسئل ابن حنيف عن القرب؟ فقال: قربك منه ملازمة الموافقات، وقربه منك بدوام التوفيق.

قال المصنف ﷺ: [وانفحنا بروح الشوق، واحجب أبصارنا بأنوار جمالك عن مشاهدة الأغيار، وضيق علينا بقربك حتى نشهدك أقرب إلينا من كل شيء، وتجل علينا بعظمتك حتى لا نخاف أحدا غيرك، وأشهدنا عظيم رحمتك حتى لا نرجو أحدا سواك، اللهم خذنا من كل شيء إليك، واجمعنا بك عليك، اللهم افتق رتقنا بنور معرفتك، وعمر أطوارنا بأرواح حظيرة قدسك، واسقنا من شراب محبتك، وفهمنا عنك وعلمنا علمك].

قال الشارح ﷺ: [انفحنا] يقال نفح الطيب كمنع فاح نفحا ونفاحا بالضم

(1) رواه أحمد (1/387)، والترمذي (4/637).

(2) رواه البخاري (5/2384).

والريح هبت والعرف سواء فيه. [اللهم بروح الشوق] اضمر بسببه كل من القرب والشوق بذي روح فأثبت لهما الروح التي لا يحصل الحياء إلا بهما، قال الزجاج: الروح كل ما فيه حياة الناس، وقيل: هو كل ما ينعم به الله على المهتدين، فالمعنى على هذا بنعم القرب ونعم الشوق.

قال الأستاذ القشيري: الشوق اهتياج القلوب إلى لقاء المحبوب.

قال: وفرق الدُّقاق بين الشوق والاشتياق بأن الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق لا يزول باللقاء، ويحتمل أن يكون الروح بفتح الراء فيكون المراد به الرحمة والسعة والفرح والراحة. [واحجب أبصارنا بمشاهدة أنوار جمالك] أي بتوالي أنوار التجلي على قلوبنا من غير ستر ولا انقطاع. [عن مشاهدة الأغيار] وهي ما سوى الذات والصفات، وقال هنا واحجب أبصارنا وفيما مر وغض أبصارنا ليبين هنا أنا نقصد أن يكون السبب في ذلك هو الاستغراق في أنوار الجمال الحاجب عن مشاهدة الأغيار في الحال والمآل، قال في «لطائف المنن»: واعلم أن الله سبحانه إذا تولى وليًّا صان قلبه من الأغيار، وحرسه بدوام الأنوار حتى لقد قال بعض العارفين: إذا كان الله سبحانه قد حرس السماء بالكوكب والشهب كي لا يسترق السمع منها، فقلب المؤمن أولى بذلك، انتهى.

وكثيرًا ما يعبرون بالأبصار ويريدون البصائر التي هي عيون القلوب.

[وضيق علينا بقربك] قيل حقيقة القرب فقد حسن الأشياء من القلب وهو والضمير إلى الله تعالى فإن أريد بها هنا المراقبة فقد مر الكلام عليهما.

ومن حزب سيدي الشيخ أبي العباس: وضيق عليَّ بقربك. [وتجل علينا بعظمتك حتى لا نخاف أحدًا] أشار بهذا إلى التجلي، قال الغزالي- رحمه الله تعالى -: التجلي هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب.

قال القونوي في «شرح التعرف»: فإن كانت ما في قوله ما ينكشف مصدرية فالمعنى هو أن ينكشف للقلوب شيء من أنوار الغيوب، وإن كانت موصولة أو موصوفة فهي تفسير للتجلي لا لنفس التجلي والإستار يقابل التجلي فيعرف تفسيره من تفسير التجلي.

قال القشيري: الستر للعوام عقوبة؛ يعني لأن سرهم خال عن التجلي وللخواص رحمة إذ لولا أنه يستر عليهم ما يكاشفهم به لتلاشوا عند سلطان الحقيقة، ولكنه كما

يظهر لهم يستر عليهم، قال سمعت منصور المغربي يقول: والى بعض الفقراء حيًّا من أحياء العرب وأضافه شاب فبينا الشاب في خدمة هذا الفقير إذ غشي عليه، فسأل الفقير عن حاله؟ فقالوا: له بنت عم وقد طلقها فمشت في خيمتها فرأى الشاب غبار ذيلها فغشي عليه، فمضى الفقير إلى باب الخيمة، وقال: إن للغريب فيكم حرمة وذمامًا وقد جئت مستشفعًا إليكم في أمر هذا الشاب فتعطفي عليه فيما به من هواك، فقالت المرأة: أنت سليم القلب إنه لا يطيق شهود غبار ذيلي فكيف يطيق صحبتي.

وقال الشيخ في «شرح الرسالة»: الستر من قبل العبد زوال حجاب البشرية وانصقال مرآة القلب عن ضد الطبائع البشرية، ومن قبل الحق كشفه حاله، وسئل بعضهم عن التجلي والتحلي والتخلي؟ فقال: التجلي ظهور الذات في حجبة الأسماء والصفات، والتحلي القيام بمعاني الأسماء تعبدًا وتمثلاً، والتخلي سقوط الإرادة والاختيار اعتمادًا أو توكلا، قيل وعوام الصوفية في الستر والخواص في دوام التجلي وما نقله عن بعضهم في تعريف التجلي قريب من قول غيره هو الظهور من غير تشبيه ولا تكييف؛ أي: تجل علينا حتى لا نخاف في ديننا غيرك فلا نترك أمرك لحقيقة غيرك، ولا شك أن من استحضر عظم الله شغلت نهايته أن يخطر له الخوف ممن عداه، ويخشى ضرر أحد من الوجود مما عداه، وهذا كما يشاهد من أن التقرب من الملك لعلمه بجلالته وقدرته على ممالكه، ورعيته وخوفه من بطشه، وسطوته لا يهاب غيره من آحاد رعيته، ولا يخطر بباله الخوف من غير جهته، وقال ﷺ: «أنا اعرفكم لله وأخوفكم له»[1] وقال المحاسبي ﷺ: كلما عظمة هيبة الله ﷻ أن يخافوا معه سواه، وحكي في «بستان العارفين» عن معاذ ﷺ قال: خرجت ذات ليلة في بعض السرايا فمررنا بغيضة سبعة، وإذا بشاب نائم وفرسه مربوطة عند رأسه ترعى، فأيقظناه وقلنا له: ألا تخاف أن تنام في مثل هذا الموضع المخوف؟ فرفع رأسه وقال: إني أستحي أن أخاف من غيره ووضع رأسه ونام.

[واشهدنا عظيم رحمتك] مما ورد في عظيم رحمته تعالى ما في «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ: «جعل الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وانزل في

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (231/1).

الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه»[1] وفي بعض طرقه: «كل رحمة منها طباق ما بين السماء والأرض».

وفي «الصحيحين» أنه ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي» وفي رواية «سبقت غضبي»[2].

وقال بعضهم: إن التسعة والتسعين رحمة التي ادُّخرها الله تعالى لعباده يوم القيامة في مقابلة التسعة والتسعين اسما التي تعرف لهم بها في الدنيا وله من الأسماء ما لا يعلمه إلا هو وكذا من الرحمة.

[حتى لا نرجو أحدًا سواك] لأن من أنعم الله عليه بشهود غفلته انقطعت آماله عن كل ما سواه يحتمل أنه أشار بهذا إلى مقام الشهود يعبر عنه بالحضور، وقال في «الرسالة»: أما الحضور فقد يكون حاضرًا بالحق؛ لأنه إذا غاب عن الخلق حضر بالحق على معنى أنه يكون كأنه حاضر، وذلك الاستيلاء ذكر الحق على قلبه فهو خاص بقلبه بين يدي ربه فعلى حسب غيبته عن الخلق يكون حضوره بالحق، فإن غاب بالكلية كان الحضور بالحق على حسب الغيبة وبقوله: «اللهم خذنا إليك من كل شيء إليك إلى مقام الغيبة وإلى غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق» لاشتغال الحين بما ورد عليه ثم قد يغيب عن إحساسه بنفسه، وغيره بوارد من ذكر ثواب أو تفكر عقاب أو شوق لمحبوب فيشتغل قلبه فيه حتى لا يلتفت لما سواه أي خذنا إليك من كل شيء يفنى يقطعنا أو يشغلنا عنك، ليحصل لنا بسبب ذلك الجمع غيبتك فلا نرى إيثار غيرك عليك.

[واجمعنا بك] أي: بقدرتك وإرادتك ولطفك عليك أشار بهذا إلى الجمع وهو مأخوذ من جمع الهية أنهما على الخلق، وإلى مقابلة وهو الفرق من تفرقة في الكائنات مع الحق، والجامع المعرف هو الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:5]، قوله إياك نعبد إشارة إلى الفرق المضمن للتفرقة بين العابد والمعبود،

---

(1) رواه مسلم (4/2108).

(2) رواه البخاري (3/1166)، ومسلم (4/2107).

وقوله وإياك نستعين إشارة إلى الجمع المقتضي للتبري من الحول والقوة إلا به، فقال: فإذا طلب العبد الحق بلسان نجواه أقامه في محل التفرقة، وإذا أضعف بسره إلى ما يناجيه به مولاه فهو شاهد الجمع.

قال الشيخ أبو مدين ﷺ: الحق تعالى مطلع على السرائر والظواهر في كل نفس وحال، فائما قلب رآه مؤثرا له حفظه من الطوارق والمحن ومضلات الفتن، وقال - رحمه الله تعالى- ما عرف الحق من لم يؤثره وما أطاعه من لم يشكره، انتهى.

[اللهم افْتق رتقنا] الرتق هو الملتصق بعضه ببعض لا صدع منه ولا فتح، أيا فتح أسرار بصائرنا بثواقب أنوار معرفتك لنفهم عنك، ونثبت ما يجب إثباته لك، وننفي ما يجب نفيه عنك، وتفقه ما يصل إلينا من قوارع الأمر وزواجر النهي، فتنقاد لأمرك، وتنزجر بزجرك، وتتولع بمداومة ذكرك، ولا تغفل عن شكرك.

قال صاحب «الحكم الفارقية»: غفلة ساعة مكدرة لمرآة قلبك فكيف بغفلة جميع عمرك؟

وقال ابن عطاء الله: لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك من وجود ذكره، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور، ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على الله بعزيز، انتهى. وسبب هذه الغاية هو إشراق أنوار المعرفة بالقلوب عند الإنابة إلى علام الغيوب، كما أشار إليه بقوله. [بنور معرفتك] قال ابن عطاء الآدمي من ألزم نفسه آداب الشريعة نور الله عليه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه، ثم إن الأنوار الواردة على القلوب من علام الغيوب تنقسم إلى قسمين: أنوار أذن لها في الوصول إلى ظاهر القلب فقط، وأنوار أذن لها في الدخول إلى صميم القلب وسويداءه، فالأنوار الواصلة إلى ظاهر القلب يشاهد العبد معها ربه ونفسه ودنياه وآخرته، فتارة يكون مع نفسه، وتارة مع ربه وطورا يسعى في العمل لآخرته، وطورا يعمل في أمر دنياه والأنوار الداخلة إلى صميم القلب وسويداءه لا يظهر منها إلا وجود الله تعالى فلذلك لا يحب سواه ولا يعبد إلا إياه. [وعمر أطوارنا] جمع طور وهو التارة يقال النار أطوار أي حالات شتى وقال تعالى: ﴿وَقَدْ

خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ [نوح:14] أي: حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة إلى تمام الخلق. [بأرواح حظيرة قدسك] قد سكن الحظيرة في الأصل المحوط من الأغصان، والشجر للمواشي لتقيها البرد والريح وللسكن أيضًا، والقدس الطهارة فيحتمل أن يكون المراد بحظيرة القدس هنا محل الطهارة، ويحتمل أن المراد بها الجنة كما هو المراد بقوله فيما سيأتي من حظيرة، وقد سكن ؛أي: عمر منائرها لامعا بالأنوار التي هي من محل الطهارة حتى لا تتدنس بالركون إلى غير بابك، والوقوف بسمو أعتابك، ومشاهدة غير جنابك أو بالأنوار الموصلة إلى الجنة وهي أنواع الطاعات والقربات.

[واسقنا من شراب محبتك] أشار بهذا إلى باب المحبة، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:54] وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه»[1] .

وقال ﷺ في بعض ادعيته: «أسألك حبك وحب من يحبك وعملاً يقرب إلى حبك»[2] رواه الترمذي، وقال البيضاوي: المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمال إدراكه فيه بحيث يحملها على ما يقربه إليه، وقال الإمام النووي في «شرح مسلم»: المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، قال بعضهم: المحبة مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب ويكره ما يكره، انتهى. وقال ابن عطية المحبة إرادة يقترن بها إقبال من النفس، وميل بالمعتقد، وفي «الرسالة وشرحها»: أن تفسير المحبة بالإرادة إنما هو على لسان العلماء، وليس مراد القوم فيعني الصوفية بالمحبة والإرادة، فإنها لا تتعلق بالقديم بناء على أن أثرها التخصيص، فلا يتعلق بالقديم كما لا يتعلق بالمستحيل اللهم إلا أن يحمل على إرادة القريب والتعظيم والرؤية له تعالى فيصبح تفسيرها بالإرادة فمحبة العبد لله تعالى هي حالة يجدها من قلبه تلطف عن العبارة، وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم له، وإيثار رضاه، وقلة الصبر عند وجود الاستئناس بدوام ذكره، وقيل هي الميل الدائم بالقلب الهائم.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الترمذي (5/368).

وقال أبو عبد الله القرشي ﷺ: حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت حتى لا يبقى لك منك شيء.

قال القونوي في «حسن التصرف»: ثم الاستقرار يدل على أن أقسام المحبة خمسة: حب الإنسان وجود نفسه وكماله وبقاءه، وحبه من أحسن إليه فهما يرجع إلى قوام وجوده ورفع المهلكات عنه، وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه، وحبه لكل ما هو جميل في ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة، وحبه لمن بينه وبينه مناسبة خفية في الباطن، فلو اجتمعت هذه الأسباب في واحد تضاعفت محبته لا محالة، كما لو كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير يحسن إلى الوالد كان محبوبا له غاية المحبة، وإذا قدرت هذه الصفات في أقصى درجات الكمال كان الحب في أعلى الدرجات قطعًا، وقد بين الإمام الغزالي في باب المحبة من كتاب «الإحياء»: أنه لا يتصور كمالها واجتماعها على الحقيقة إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله تعالى وحاصل محبة العبد لربه طاعته، وموافقته أمره، وتعظيمه وهيبته، وأما محبة الله سبحانه لعبده فهي إرادته الإنعام مخصوص عليه كما أن رحمته إرادة الإنعام، والمحبة أخص من الرحمة فإرادة الله أن يوصل إلى العبد الثواب والإنعام يسمى رحمة وإرادته لأن يخصه بالقرب والأحوال العلية يسمى محبة، وإرادته سبحانه صفة واحدة فبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فإذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبًا، وإذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة، وإذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة، وقال قوم: محبة العبد من صفات فعله وهو إحسان مخصوص يلقى العبد به وحالة مخصوصة يرقيه إليها، كما قال: بعضهم أن رحمته بالعبد نعمته عليه. فقوله [اسقنا] أي: اسقنا رحمة من كؤوس هذا الشراب العذب المستلذ المستطاب، فإذا خامر ذلك المشرب عقولنا، وطربت به قلوبنا، وطابت به نفوسنا وجدنا صحونا في سكرنا، وحضورنا في غيبتنا، وجردنا إليك وجهتنا وقصدنا والتجاءنا إلى كريم جمالك وأعرضنا عن كل ما سواك.

وفي «بستان العارفين» عن سري السقطي قال: رأيت معروفًا الكرخي- رحمه الله تعالى- في المنام كأنه تحت العرش والله جل جلاله يقول لملائكته: من هذا؟ فيقولون: أنت أعلم يا رب، فيقول: هذا معروف الكرخي بكي من حبي فلا يفيق إلا بلقائي لكن الذي في الرسالة أن الذي رأى هو الحسن الأنصاري.

ثم قال: ولي بعض الحكايات في مثل هذا المقام أنه قيل هذا معروف الكرخي خرج من الدنيا اشتياقًا إلى الله تعالى فأباح الله تعالى له النظر إليه[1].

وحكي في «البستان» عن بعض العابدات أنها قالت لذي النون المصري -رضي الله عنهما: أصبحت اليوم مخمورة شربت البارحة بكأس الحب سرور، فأصبحت اليوم من حب مولاي مخمورة، وفيه أيضًا عن الجنيد ﷺ: المحب عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه الوهان غيبته، وسقى شربه من كأس ورده، وكشف له الجبار من أسرار غيبه فإذا تكلم فبالله، وإن نظر فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله فهو بالله وبأمر الله ومع الله ثم رأيت هذا في «الرسالة» أيضًا .

ويمكن أن تكون الإشارة بذلك أيضًا إلى ما يجري من كلامهم من ذكر الذوق والشرب، ويعبرون بذلك عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات وأول ذلك الذوق ثم إذا تمكن يقال له الشرب، ثم إذا تمكن يقال له الري فصاحب الذوق متساكر، وصاحب الشرب سكران، وصاحب الري صاح.

قال السهروردي: السكر لأرباب القلوب والصحو للمكاشفة نصفا المقابلة نواحيه دون المعاني، ودون المنازلة يوجب الشرب، ودوام المواصلة توجب الري ومن قوى حبه دام شربه، ونشأ من ذلك الصحو والسكر فالصحو رجوع إلى الإحسان بعد

---

(1) قال الشيخ الشعراني: قال الشيخ في الباب السادس والأربعين ومائتين في السُكر:في قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: 15]، فهو علم الأحوال ولهذا يكون به لمن قام به الطرب والالتذاذ، وأطال في ذلك. ثم قال: وأما سُكر الكُمَّل من الرجال فهو السُكر الإلهي الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «اللهم زدني فيك تحيرا»، والسكران حيران، والسُكر الإلهي ابتهاج وسرور بالكمال، فمن أسكره الشهود فلا صحو له البتة، وكل حال لا يورث طربًا، وبسطًا، وإذلالاً، وإفشاء أسرار إلهية؛ فليس بسكر، وإنما هو غيبة، أو فناء، أو محو، ولا يقاس سُكر القوم في طريق الله على سُكر شارب الخمر؛ فإنه ربما أورث بعض من يشربه غمًا، وبكاءً، وفكرةً، وذلك لما يقتضيه مزاج ذلك الشارب ويسمونه سكرانًا، ومثل هذا لا يكون في سُكر الطريق، وقليل من الناس من يفرق بين الحيران والسكران، وأطال في ذلك.

وقال: الفرق بين الذوق والعلم، أن الذوق لا يكون إلا عن تجلٍ، والعلم قد يحصل بنقل المخبر الصادق، وبالنظر الصحيح. [مختصر الفتوحات].

الغيبة، والسكر غيبة بوارد قوي وأخص من الغيبة التي هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحق بما يرد عليه، فإذا غاب عن الخلق كان حاضرًا بالحق(1).

[وفهمنا عنك وعلمنا من علمك] قدم الفهم هنا على العلم وأخره عنه في قوله الآتي «وعلمنا إذا جهلنا وفهمنا إذا علمتنا» ويأتي تعريف الفهم إن شاء الله تعالى عند قوله في الفهم عنك وأخذ أننا والتعليم إلى الله تعالى من قوله: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: 32]، وإن لم يصح إطلاق العلم عليه أي لا يجوز بإجماع الأمة، قال الفخر الرازي: لاختصاصه لمن يحترف به أي علمنا وفهمنا، إذا علمتنا من علمك الظاهر والباطن، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [طه: 114]، وقد آتى الله نبينا ﷺ من علمي الظاهر والباطن، وخصه بالحكم بهما معًا، وقال تعالى في حق الخضر عليه الصلاة والسلام: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً﴾ [الكهف: 65]، وقال الخضر لموسى: إني على علم من الله علمنيه لا تعلمه، يريد علم الباطن، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه، يريد علم الظاهر، وعلم الظاهر علم الشرائع والأحكام

---

(1) قال الشيخ الشعراني: قال الشيخ في الباب السابع والأربعين ومائتين في الصحو: واعلم أن الصحو عند القوم رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة وارد قوي، وما قالوا أقوى، وإنما لم يقولوا ذلك؛ لأن المحل الموصوف بالسكر لهذين الواردين مع استوائهما في القوة يتمانعان، وأطال في ذلك.

ثم قال: واعلم أنه لا يكون صحو في هذا الطريق إلا بعد سكر، وأما قبل السكر فلا يسمى بصاح، ولكن يقال فيه ليس بصاحب سُكر بل هو صاحب حضور وبقاء.

اعلم أن قول الصاحي تقدم على قول السكران؛ لأن الصاحي شاهد عدل كما وقع للشبلي والحلاج، فقال الشبلي: شربت أنا والحلاج من كأس واحدة فصحوت وسكر فعربد فحبس حتى قتل، فبلغ ذلك الحلاج وهو على الخشبة مقطوع الأطراف، فقال: هكذا يزعم الشبلي لو شرب مثلما شربت؛ لحل به مثل ما حل بي، أو قال مثل قولي؛ فقبلنا قول الشبلي ورجّحناه على قول الحلاج؛ لصحوه وسكر الحلاج، والصحو بالله والسُكر بالله لا بدّ فيه من مزيد علم بالله، فما لا يعطي علمًا ليس بصحو الطريق ولا سُكره، ولكل سُكر صحو إن لم يمت صاحب السُكر في حال سُكره؛ كان صحوه في البرزخ، ومنهم من يبقى على سُكره في البرزخ إلى البعث. [مختصر الفتوحات].

الحاصل بالتعلم، وعلم الباطن سر من أسرار الله تعالى يقذفه في قلوب أوليائه، لم يطّلع على ذلك السر ملك ولا بشر: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: 74]، وهذا هو المسمى بالإلهام عند الأصوليين، قال في «جمع الجوامع»: الإلهام إيقاع شيء في القلب يثلج له الصدر، يخص به الله بعض أصفيائه، وليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصومًا بخواطره خلافا للصوفية، انتهى.

ومراده إلهام الأولياء إذ هو محل الخلاف في الاحتجاج به، لا لإثبات أنه حجة وأشار إلى هذا القيد بقوله من ليس معصومًا قال ﷺ: «العلم علمان: علم في القلب فذلك العلم النافع، وعلم في اللسان فذلك حجة الله ﷻ على من آدم»[1].

وعن مسروق ﵁: «وكفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه»[2].

قال المصنف ﵁ :[وحققنا بنور توحيدك، وأيدنا بروح منك، وزيِّن ألسنتنا بالصدق والعلم والحكمة وجوامع الكلام، وأسماعنا بالتصديق والوعي، وأنفسنا بالطمأنينة والعبودية، وقلوبنا بالسكينة والإيمان، وأرضنا بالقرب والمشاهدة وأسرارنا بالتحقيق والسيادة، وامح صفاتنا بأنوار جمالك].

قال الشارح ﵁: [وحققنا بنور توحيدك] لعله من نتيجة قوله فيما مرْ «وأفننا في نور التوحيد»، فإذا فني فيه تحقق به.

[وأيدنا] أي قونا بروح منك مقتدين من نحو قوله تعالى: ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة:87] .

[وزين] التزيين هو التحسين الخارج عن ذات الشيء. [ألسنتنا] جمع لسان من لغة من ذكره، ومنْ أنثه جمعه على ألسن. [بالصدق] هو الحكم المطابق للواقع بأن يخبر بالشيء على ما هو عليه، ويكون الصدق أيضًا في القلب بالقرين الأكيد، وفي الأفعال بإيقاعها على وجه النشاط والجد، فمجاله اللسان والقلب والأفعال، كما قيل الصدق عندهم استواء السر والعلانية والعلم، وقد سبق الكلام فيه. [والحكمة] هو ما

(1) رواه الدارمي (1/114).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (7/10).

منع القبيح يقال لإصابة الصواب قولاً وعقدًا وفعلاً، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119]، والعلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، ولما فيها من المصالح وغيرها ولعلم الشرائع، ونقل القاضي عياض في «مداركه» عن مالك ﷺ: إن الحكمة نور يقذفه الله في قلب العبد، وقال أيضًا: يقع في قلبي أن الحكمة الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله، وقال أيضًا: الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له والفقه في الدين والعمل به، انتهى. وقيل هي وضع الشيء في موضعه، وقال دريد: كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبح فهي حكمة وحكم ومنه قول النبي ﷺ: «إن من الشعر لحكمة»[1] وروي حكما حكاه عنه الإمام النووي في «شرح مسلم» ثم قال: وفيها أقوال كثيرة مضطربة، وقد صفى لنا منها أنها عبارة عن العلم المتضمن بالأحكام المشتمل على المعرفة بالله تعالى المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به، والبعد عن اتباع الهوى والباطل، انتهى[2].

وقال الشيخ زروق: الحكمة في حقنا إصابة الحق في القول والعمل، وهو بمعنى الأول، قال رسول الله ﷺ: **«من أخلص له أربعين صباحًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فيصير من السائحين في عالم جلال الله المشتغلين من مقام إلى مقام ومن درجة إلى درجة»**[3].

وقال ﷺ: «رأس الحكمة مخافة الله»[4] وقال الإمام مالك- رضي الله تعالى عنه- سمعت أنه يقال: ما زهد عبد واتقى الله إلا أنطقه الله بالحكمة، وقال ذو النون: لا تسكن الحكمة معدة ملئت طعامًا. [وجوامع الكلم] الدالة على التمكن من الفصاحة والإحسان في البلاغة وقد أُوتيها نبينا ﷺ كما قال: «أوتيت جوامع

---

(1) رواه ابن ماجه (1235/2).

(2) اعلم أن الحكمة لها معاني متعددة، وعند الطائفة هي: الفهم عن الله والمشهور وضع الشيء موضعه من حيث حصول المناسبة المخصوصة الكاملة المجهولة الكيفية.

(3) ذكره الغزالي في الإحياء (436/1).

(4) رواه ابن أبي شيبة (107/1).

الكلم»[1] وواحدتها جامعة أي: كلمة جامعة، «واختصر لي الكلام اختصارًا»[2]، روي عن ابن شهاب: أن معناه أن الله تعالى جمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك، واللفظ القليل الجامع للمعنى الكثير هو المسمى عند علماء المعاني بمقام الإيجاز، وقد جمع منه في «الشفاء» و«المواهب» جملة كقوله ﷺ: «المؤمن مع من أحب»[3] وقوله: «لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له»[4] .

وقوله ﷺ: «الناس معادن»[5] وقوله ﷺ: «ما هلك امرؤ عرف قدره»[6] .

وقوله ﷺ: «رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت عن شر فسلم»[7] .

وقوله ﷺ: «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون»[8] وقوله ﷺ: «خير الأمور أوسطها»[9] إلى غير ذلك من جوامع الكلم المشهورة، وحكمه المحكمة المأثورة، وقيل إنه القرآن؛ لأن الله تعالى جمع بلطفه في الألفاظ اليسيرة معاني كثيرة، وقيل أيضًا أنه من جملتها.

[وزين أسماعنا بالتصديق] هو إذعان حكم المحدد قبوله وجعله صادقًا؛ أي: زين ألسنتنا بما مرَّ وأسماعنا بتصديق النبي ﷺ بجميع ما جاء به من عندك والوعي؛ أي الحفظ لكلماتك وكلمات رسولك، [وزين أنفسنا بالطمأنينة] أي: بالاتصاف بها وهي الاستكانة، والنفس المطمئنة هي الموقنة غاية اليقين، وقال مجاهد: هي التي أنفت

---

(1) رواه البخاري (6/2573)، ومسلم (1/371).

(2) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (1/4).

(3) رواه البخاري (5/2283)، ومسلم (4/2032).

(4) ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (ص201).

(5) رواه البخاري (3/1238)، ومسلم (4/1985).

(6) ذكر الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية (4/389)، وهو مَثَلٌ ليس بحديث.

(7) رواه هناد في الزهد (1107) بتحقيقنا.

(8) رواه البخاري (5/2245).

(9) رواه ابن أبي شيبة (7/179).

أن الله ربها وصبرت خاشعة لأمره بطاعته.

وقال ابن عطاء الله: مطمئنة أي حامدة سالمة مستسلمة لأحكام الله، ثابتة لأقداره، وممدودة بتأييده، فاطمأنت لمولاها لعلمها بأنه يراها.

[والعبودية] لتقوم بحق الربوبية، وهي عبودية الإخلاص لا عبودية العدد، وهي تذلل وتبرئ من الحول والقوة في عبادته، ويقال: هي تخليص القلب من الميل بكليته إلى ما سوى الله تعالى وتحرزه من غير الله تعالى؛ لأن ميله إلى ربه تعالى والتفاته إليه عبودية لمن التفت إليه، وإذا تحرز العبد مما سوى الله تعالى أطلق عليه عبد الله، ومن وصل إلى مقام العبودية فقد كملت طريقه، وساد على الناس بعبودية ربه تبارك وتعالى. وقال ذو النون: العبودية أن يكون عبده في كل حال كما أنه ربك في كل حال، وأصلها العبادة وهي القيام بالفعل المطلوب شرعًا، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:99].

قال الأستاذ أبو عليّ الدقاق: ليس للمؤمن صفة أتم ولا أشرف من العبودية، ولهذا أطلقها الله تعالى على نبيه في أشرف المواطن كمقام الأسرار، وتنزيل الوحي، قال تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء:1]، ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف:1]، ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:10].

قال القشيري: سمعت الأستاذ أبا عليّ يقول: العبودية أتم من العبادة فأولى عبادة، ثم عبودية ثم عبودة، فالعبادة للعوام والعبودية للخواص، وقال أيضًا: فالعبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودية لمن له حق اليقين، وسيأتي بيان هذا عند قوله: [وعلمنا من علم اليقين] وجعله العبودة أتم من العبودية؛ لأن مراده أن هذه المادة أشرف من غيرها لا خصوص لفظ العبودية بدليل الأمثلة المتقدمة، وأما من لم يصل إلى هذا المقام فهو عبد نفسه الشهوانية ومسترق حظوظه الدنياوية قال ﷺ: «تعس عبد الدينار، وتعس عبد الدرهم»[1] وهذه الحالة هي عبودية العدد المعنية بقوله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي

---

(1) رواه البخاري (3/1057).

الرَّحْمَنِ عَبْداً﴾ [مريم:93]، [وزين قلوبنا بالسكينة] وهي الأمنة والطمأنينة والوقار والثقة بوعد الله تعالى وهي فعيلة من السكون.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: كل سكينة من القرآن فهي طمأنينة إلا التي في البقرة، قال ابن عطاء الله: فأي عبد توفر عقله واتسع نوره نزلت عليه السكينة من ربه، فسكنت نفسه من الاضطراب، ووثقت بولي الأسباب فكانت مطمئنة.

وقيل في طمأنينة القلب: أنها الاستكانة والسرور بذكر الله تعالى والسكون به لجماله، ورضًا بالثواب عليه وجود اليقين.

[والإيمان] الشرعي وهو تصديق النبي ﷺ بالقلب في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به من عند الله تعالى إجمالا وهذا القدر كاف في الإيمان، ولا ينحط درجته عن الإيمان التفصيلي، ولا بدّ معه من النطق بالشهادتين عند التمكن منه لإجراء الأحكام في الدنيا قال ﷺ: «اللهم زينا بزينة الإيمان»[1].

[وزين أرواحنا] أعاده بأسلوب غير الأسلوب السابق لأن المطلوب هناك استغراقها في أنوار الجلال والجمال وهنا بتربيتها بما ذكره بقوله: [بالقرب] وقد سبق الكلام عليه، وقال القرطبي: القرب الطاعة أي لا بالمسافة لاستحالته في حقه تعالى وقال ذو النون: ما ازداد أحد من الله قربة إلا ازداد له هيبة.

قال القونوي: ولا ينبغي أن يفهم من قولهم قربة بطاعته أن الطاعة علة القرب؛ إذ لا علة بصنعه بل الذي ينبغي أن يفهم منه أن طاعته أمارة على قربه، والمشاهدة وهي الغيبة عن الخلق بشهود الملك الخالي، فأما الشهود فهو استحضار اتصافه تعالى بصفات الجلال ونعوت الإكرام.

[وزين أسرارنا] جمع سر وهو ما يكتم ومثله السريرة وجمعها سرائر، كما قال العارف ابن الفارض:

ولي في الغرام سريرة والله أعلم بالسرائر

[بالتحقيق] أي الأحكام والإثبات. [والسيادة] وهي أن يصير الإنسان سيدا منظورا إليه [وامح صفاتنا] المحو أن يصل السالك في سفره إلى محو رسوم بشريته،

---

(1) رواه النسائي (3/54).

وبطلان أحكامه آنيته وحينئذ ينكشف أوصاف معرفته لرأي العين ويكون سره مع الله بلا أين، فإذا وصل إلى هذه الحضرة العلية ونال هذه المنقبة السنية، قوبل بأنواع من الكمالات والألطاف وفنون من نجف السادات والأشراف، ووصوله إلى هذا المقام والمسمى عندهم بحضرة القدس وبساط الأنس وهما محط الرحال، وبلوغ الأوطار والأمال، وبه يتحقق مقام الفناء والمحو وهو انتهاء سفرهم وصارت حضرة محبوبهم معشق قلوبهم بأنوار صفاتك لله تعالى صفات أزلية قائمة بذاته ليست عين ذاته ولا غيرها، منفكا عنها فلا يلزم قدم الغير المنفك ولا تعدد القدماء وهي ثمانية عند الأشعري نظمها بعضهم فقال:

صــفات لــذات الله جــل قديمة ... لدى الأشعري الحبر ذي العلم والتقى

حــياة وعلــم وقــدرة وإرادة ... كــلام وإبــصار وسمــع مــع البقاء

قال في «شرح العقائد»: ولا يلزم من قدمها قدم المسموعات والمبصرات، ولا يلزم من قدم العلم والقدرة قدم المعلومات والمقدورات؛ لأنها صفات قديمة يحدث لها متعلقات بالحوادث، انتهى. وأما صفات الأفعال كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، فليست أزلية عنده، وقال أبو حنيفة ﷺ: بأزليتها، والجمهور: على أن البقاء هو استمرار الوجود في المستقبل عكس القدم ليس من الصفات القديمة.

قال المصنف ﷺ: **[وكن لنا سمعا وبصرًا ويدًا ومؤيدًا يا سميع يا بصير يا صادق يا قريب يا قوي يا عليم يا واحد يا الله، اللهم اجمعنا على أهل العلم والمعرفة والولاية والخصوصية والاصطفائية بحسن الأدب والإخلاص في القصد والتوفيق في المطالب، واسلك بنا طريق السنة، وجنبنا طريق البدعة، ووفقنا في الفهم عنك وحسن الاعتقاد في الإيمان بأسمائك وصفاتك].**

قال الشارح ﷺ: [وكن لنا سمعًا وبصرًا ويدًا] لنكون من أوليائك إن سألناك أعطيتنا وإن استعذنا بك أعذتنا وهذا مأخوذ من حديث البخاري: **«وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى احبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، وإن سألني أعطيته وإن استعاذ بي لأعيذنه»** والمراد أن الله تعالى يتولى محبوبه.

هو لك الله قاله بقول: **«اللهم دلني عليك ونسني غيرك ولا تجعلني ممن**

يرضى بجميع ما دونك عوضًا عنك»[1] فاعلم أن لله رجالاً إن قاموا قاموا بالله، وإن جلسوا جلسوا بالله، وإن نطقوا نطقوا بالله، وإن سكتوا سكتوا بالله، وإن تكلمت أعضاؤهم وأحشاؤهم لقالت الله الله، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور:37]، [اللهم اجمعنا على أهل العلم] العلم صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به أي يتضح، وتُظهر ما يذكر باللسان، ويمكن أن يعبر عنه موجودا كان أو معدومًا.

[والمعرفة] هي والعلم عند جمهور المتكلمين بمعنى واحد، وقال بعضهم: العلم ما لم يسبقه جهل والمعرفة ما سبقها جهل؛ ولذا يقال أنه تعالى عالم ولا يقال عارف، وفي الفرق بينهما أقوال آخر، فيحتمل أنه ﷺ أراد بأهل العلم أصحاب علوم الشريعة، وهي العلم الظاهر وبأهل المعرفة أصحاب العلوم الباطنة، وهم أئمة الطريق إلى الله تعالى، ويحتمل أنه أراد بهما أصحاب العلوم الباطنة فقط؛ لأنهم الموصوفون بجميع الأوصاف المذكورة[2].

---

(1) تقدم.

(2) قال الشيخ الأكبر: واعلم أن المعرفة نعت إلهي لا عين لها في الأسماء الإلهية من لفظها، وهي أحدية المكانة لا تطلب إلا الواحد، والمعرفة عند القوم محجة فكل علم لا يحصل إلا عن عمل وتقوى وسلوك فهو معرفة؛ لأنه عن كشف محقق لا تدخله الشبهة بخلاف العلم الحاصل عن النظر الفكري لا يسلم أبدًا من دخول الشبه عليه والحيرة فيه والقدح في الأمر الموصل إليه.

ثم اعلم أنه لا يصح وصف أحد بالعلم إلا إن كان يعرف الأشياء بذاته دون أمر زائد على ذاته، وليس ذلك إلا لله وحده وكل ما سواه، فعلمه بالأشياء تقليد لأمر زائد على ذاته، وإذا ثبت ذلك فليقلد العبد ربه ولاسيما في العلم به، وإنما قلنا لا يصح العلم بأمر ما فيما سوى الله إلا بالتقليد؛ لأن الإنسان لا يعلم شيئًا إلا بقوة من قواه التي أعطاه الله وهي الحواس والعقل فالإنسان لا بدّ أن يقلد حسه فيما يعطيه، وقد يغلط وقد يوافق الأمر على ما هو عليه في نفسه، أو يقلد عقله فيما يعطيه من ضرورة أو نظر، والعقل يقلد الفكر ومنه صحيح وفاسد فيكون علمه بالأمور بالاتفاق فما ثم تقليد وإذا كان الأمر على ما قدمناه فينبغي للعاقل إذا طلب معرفة الله أن يقلده فيما أخبر به عن نفسه في كتبه وعلى ألسنة رسله ولا يقلد ما تعطيه قواه وليس بكثرة الطاعات حتى يكون الحق سمعه وبصره وجميع قواه فيعرف الأمور كلها بالله، ويعرف الله بالله، إذ ولا بدّ من التقليد، وإذا عرف الأمور كلها بالله وعرف =

قال جابر قال النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: 43] «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته وانتهى عن معصيته»، وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه: العلم أن تعرف ربك، ولا تعرف قدرك قيل جمع في هذه العبارة مقصور على علوم الصوفية، وهو معرفة الله تعالى، وحسن الأدب بين يديه والمعرفة على طريق القوم تحقيق العلم بإثبات الوحدانية، ويقال حياة القلب مع الله، ويقال نسيان غير الله، ويقال غير ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: 91]، ﴿وَمَا

الله بالله لم يدخل عليه في ذلك جهل ولا شبهة ولا شك ولا ريب، فقد نبهتك يا أخي على أمر ما طرق سمعك أبدًا، وذلك أن العقلاء من أهل النظر يتخيلون أنهم على علم بما أعطاهم النظر والحس والعقل، وهم في مقام التقليد لهم وما من قوة إلا ولها غلط قد علموه، ومع هذا غالطوا أنفسهم وفرقوا بين ما يغلط فيه الحس والعقل والفكر وبين ما لا يغلط فيه وما يدريهم لعل الذي جعلوه غلطًا يكون صحيحًا، فلا مزيل لهذا الداء العضال إلا أخذ العلم بكل معلوم عن الله لا عن غيره، وهو سبحانه عالم بذاته لا بأمر زائد، فلا بدّ أن تكون أنت عالمًا بما يعلمه سبحانه وتعالى لأنك قلدت من يعلم ولا يجهل ولا يقلد في علمه، وكل من قلد دون الله فهو مقلد لمن يدخله الغلط وتكون إصابته بالاتفاق، وأطال في ذلك.

ثم قال: وإذا تقرر هذا فامتثل بامتثال ما أمرك الله به من العمل بطاعته، ومراقبة قلبك فيما يخطر فيه والحياء من الله، والوقوف عند حدوده والانفراد به وإيثار جنابه حتى يكون الحق تعالى جميع قواك فتكون على بصيرة من أمرك، وقد نصحتك! فإنا قد رأينا أن الحق تعالى أخبر عن نفسه بأمور تردها الأدلة العقلية والأفكار الصحيحة مع إقامة أدلتها على تصديق المخبر ولزوم الإيمان بها فقلد ربك إذ ولا بدّ من التقليد، ولا تقلد عقلك في تأويل فإن عقلك قد أجمع معك على التقليد بصحة هذا القول أنه عن الله فمالك منازع منكر يقدح فيما عندك فلا تقلد عقلك في التأويل، واصرف علمه إلى الله قائله ، ثم اعمل حتى تنزل بالعلم به كـ«هو»؛ فحينئذ تكون عارفًا وتلك المعرفة المطلوبة والعلم الصحيح الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأطال في ذلك.

وقال: ذكر الحارث المحاسبي-رحمه الله- أن المعرفة هي العلم بأربعة أشياء:

الله، والنفس، والدنيا، والشيطان.

والذي نقول به أن المعرفة بالله ما لها طريق إلا المعرفة بالنفس «فمن عرف نفسه عرف ربه» كما في الحديث الوارد، فجعل معرفتك بك دليلاً على معرفتك به، فإما بطريق ما وصفك بما وصف به نفسه من ذات وصفات وجعله إياك خليفة نائبًا عنه في أرضه، وإما بما أنت عليه من الافتقار إليه في وجودك، وإما للأمرين معًا، لا بدّ من ذلك، [مختصر الفتوحات].

قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر:67]، قيل ما عرفوه حق معرفته، قال في «الرسالة»: صفة من عرف الحق سبحانه بأسمائه وصفاته، ثم صدق الله في معاملاته، ثم تنقى من أخلاقه الرديئة وأقامه، ثم طال بالباب وقوفه، ودام بالقلب اعتكافه فحظي من الله تعالى بجميل أفعاله، وصدق الله في جميع أحواله، وانقطع هواجس نفسه، ولم يصغ بقلبه إلى حاضر يدعوه إلى غيره، فإذا صار من الخلق أنسيا ومن آفات نفسه بريئا، ومن المساكنات والملاحظات معيا، ودام في السر مع الله مناجاته، وحتى في كل لحظة إليه رجوعه، وصار محدثا من قبل الحق بتعريف أسراره فيما يجزيه عليه من تصاريف أقداره، يسمى عند ذلك عارفًا، ويسمى حاله معرفة، وقال في «الإحياء»: بحر المعرفة لا ساحل له، ولا إحاطة بكنه جلال الله بحال، وكلما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وأسرار حكمته، قويت كثرة النعيم في الآخرة وعظم كما أنه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن، قال: ويكون سعة ملك العبد في الجنة حسب سعة معرفته بالله تعالى، وبحسب ما يتجلى له من عظمة الله سبحانه وصفاته وأفعاله، وقال ابن عباد: معرفة العارفين هي معرفتهم أنفسهم، وما هي عليها من الفاقة والافتقار إلى العزيز الجبار، وبقدر ما يتحققون ذلك من أنفسهم تكون معرفتهم بالله ﷻ كما جاء في الحديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1] انتهى. وقال بعضهم: في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش، قيل: وما هي؟ قال: معرفة الله تعالى، وقيل لذي النون عند موته: ما تشتهي؟ قال: أني أعرفه، قيل: موتي، قال الشيخ: رأى نفسه مقصرا عند القيام بحق معرفته، وطلب أن يستغرق في جلاله تعالى وكماله، وقال صاحب «الحكم الفارقية»: يغرق يعني قلبه في بحار غيب ربه فيلتقط جواهر الحكم ودرر الدراية قلوب العارفين، كالمحار تنعقد في أصداف ضمائرهم جواهر المعادن والأسرار، وكل علم معرفة وكل معرفة علم، وكل عالم بالله عارف وكل عارف عالم، وروى الطبراني: «لكل شيء معدن ومعدن التقوى قلوب العارفين».

[والولاية] وهي قسمان: عامة وخاصة، فالعامة: ولاية المؤمنين ثم ولاية القيام

(1) رواه أبو نعيم (208/10).

بالمأمورات قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 68].

والخاصة: محبة الله للعبد وحفظه له، وهي المرادة هنا، وقيل هي سر من أسراره تعالى يودعه من يشاء من عباده، ونور يقذفه في قلوب أوليائه والولي عند المتكلمين هو العارف بالله تعالى حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب المعاصي المفر من على الانهماك في اللذات والشهوات، وقول القشيري في «التحبير»: الولي من يواظب على طاعة ربه تعالى مراده مع اتصافه ببقية هذه الصفات لم يستلزمها وعند الفقهاء من لا يعرف بالسوء كما قال ابن الوردي.

قلت ومن مستحسن الفوائد للشيخ عز الدين في «القواعد»: أن ولي الله لا يعزر إن رفعوا عليه ذنبا يصغر، فإذا زل زلة غفرت له لقوله ﷺ: «أقيلوا الكرام عثراتهم»[1] .

وروى ابن المبارك عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ: «أقبل على الناس، فقال: يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ﷻ، فقال أعرابي: انعتهم لنا من يا رسول الله، فقال: هم ناس من أفناء الناس لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيحاسبهم عليها فيجعل وجوههم نورا، وثيابهم نورا، يفزع الناس وهم لا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[2] .

وقوله ﷺ: «قال الله تعالى إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم»[3] وسئل ﷺ عن الأولياء فقال: «الذين إذا رأوا ذُكر الله»[4].

[والخصوصية] وهو ما اختص الحق تعالى به بعض عباده في علم نافع أو عمل صالح. [والاصطفائية] بالأسرار الروحانية وهي الاختيار للطاعة فهم أهل المعرفة

---

(1) رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (62).

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (714).

(3) رواه أبو نعيم في الحلية (1/2).

(4) رواه أحمد في المسند (4/227).

أيضًا. [بحسن الأدب] أي: مصحوبا ذلك الجميع بالأدب فيقال أدبته أدبًا علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، والأدب اجتماع مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، ومنه سميت المائدة مأدبة لاجتماع الناس فيها، وقال الشيخ في شرح «الرسالة»: هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره، ويقال وضع الأشياء موضعها، ويقال مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «أدبني ربي فأحسن أدبي وأثنى عليّ بحسن الأدب حيث قال: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: 17]»[1] أي: لم يمل بحره من مرتبة المقصود له فلم يلتفت عنه، قيل حفظ بذلك آداب الحضرة، وقسم بعضهم الآداب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أدب أهل الدنيا وأكثره في الفصاحة والبلاغة، وحفظ العلوم، وأسماء الملوك، وأشعار العرب، وحسن العشرة، والانبساط في الخلطة والأطعمة، وغير ذلك مما هو أدب عندهم.

الثاني: أدب أهل الدين وأكثره في رياضة النفوس، وتأدب الجوارح، وحفظ الحدود التي حددها الله تعالى وترك الشهوات، وغير ذلك مما يحمل على أعمال الآخرة.

الثالث: أدب أهل الخصوصية وأكثره في طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب منهم يكون في مواقف الطلب وأوقات الحضور مع الله ومقامات القرب منه تعالى، فأدبهم لازم لهم في كل وقت وحال، قال أبو حنفي الحداد: حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن، وقال: ممشاة أدب المريد مع الخلق من التزام حرمات المشايخ وحرمة الإخوان، ومع الحق في الجوارح عن الأسباب، وحفظ أدب الشرع على نفسه.

[والإخلاص] هو تصفية القلب من ملاحظة المخلوقين ويقال غير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].

وفي «الرسالة» بسنده إلى النبي ﷺ قال: «سأل جبريل رب العزة عن

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (1/225).

الإخلاص ما هو؟ قال: سر استودعته قلب من أحببت من عبادي»[1]. [في القصد] أي النية أو المقصود. [والتوفيق] أو خلق قدرة الطاعة في العبد وفي «بستان العارفين» عن الجنيد ﷺ: من زرع زرعا سقاه، ومن صنع معروفا أبقاه، وذلك أن الله جل جلاله زرع الإيمان في قلب المؤمن وهو قادر على أن يسقيه بالتوفيق حتى ينبت نبات الصديق، ثم أن القصد من الاجتماع بالولي إنما هو معرفته وهي مطلب شريف لا يناله إلا أمثاله رضي الله تعالى عنه؛ لأن الله تعالى أغير على أوليائه من أن يظهرهم إلى من لا يعرفهم، ويوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه.

قال في «لطائف المنن»: وسمعته يعني شيخه أبا العباس المرسي ﷺ يقول: معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى، فإن الله تعالى معروف بكماله وجلاله، وحتى من يعرف مخلوقاً مثله يأكل كما يأكل ويشرب كما يشرب، قال: وإذا أراد الله تعالى أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته.

وقال «صاحب أنوار القلوب»: لله سبحانه عباد ظعن بهم عن العامة وأظهرهم للخاصة، فلا يعرفهم إلا شكل أو محب، ولله عباد ظعن بهم عن الخاصة والعامة، وعباد أظهرهم للخاصة والعامة، ولله عباد يظهرهم في البداية ويسترهم في النهاية، ولله عباد يسترهم في البداية ويظهرهم في النهاية، ولله عباد لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلا لحفظه من سواهم في المطالب العلية والمراتب السنية، من كمال التوحيد والحفظ في التجريد، والتجلي عن كل خلق مذموم، والتحلي بكل خلق محمود ولا يبعد أن يكون- رضي الله تعالى عنه- أشار بها إلى الاستقامة؛ لأن من وقف في مطالبه نال درجة الاستقامة، وهي في اللغة ضد الاعوجاج وفي اصطلاحهم الاعتدال في السلوك عن الميل إلى جهة من الجهات، وسببها كمال العلم بالأحكام، ومجاهدة النفس في كثير الهوى، والتحرز من الآثام، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [الأحقاف:13]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:30]، وقال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»[2] وهي درجة لأنها الخروج عن المألوفات ومفارقة الرسوم

(1) رواه الديلمي (3/187).

(2) رواه ابن ماجه (1/101)، وأحمد (5/276).

والعادات وبها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن يستبرأ في حالته ضاع سعيه وخان عهده.

[واسلك بنا طريق السنة] وهي أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وهي منازل سير السالكين، وأنوار مصابيح العارفين، ودلائل ملة الموحدين، وسبيل نجاة الواصلين، قال السيد الجليل أبو القاسم الجنيد ﷺ: الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ، وقال ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: الذي عليها أنا وأصحابي»[1] أورده في «الشفاء» وعن ابن مسعود ﷺ أن الله سبحانه جعل طريقا مستقيما طريقة محمد ﷺ وشرعه ونهايته الجنة، ومتشعب عنه طريق فمن سلك الجادة نجا، ومن خرج إلى تلك الطرق أفضت به إلى النار.

وقال أيضًا خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا فقال: «هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك وشماله خطوطًا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾» [الأنعام: 153] [2]، ويحتمل أنه أشار بهذا إلى الشريعة والحقيقة أيضًا، والشريعة عندهم أمر بالتزام العبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية، وكل شريعة غير موجدة بالحقيقة فهي غير مقبولة، وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة فغير محصولة، والشريعة جاءت تكلف الخلق والحقيقة أنباء عن تصريف الحق.

[وجنبنا طريق البدعة] قال في المطول هي في الأصل الحدث في الدين بعد الاستكمال، والمذموم من أقسامها هو ما خالف القوانين الشرعية والقواعد الممهدة المرضية، ومن أحسن مثله الجناس المحرف قولكم البدعة شرك الشرك.

---

(1) رواه أحمد (102/4).

(2) رواه أحمد (435/1).

وقال رسول الله ﷺ لبلال ابن الحارث: «اعلم، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال، اعلم يا بلال، قال: ما أعلم يا رسول الله؟ قال إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضى الله ورسوله بها كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا»(1) رواه الترمذي وحسنه.

ومن «الشفاء» عن الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة، ثم قال: وكان ابن مسعود ﷺ يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة، وما حكاه عن الحسن رفعه الرافعي إلى النبي ﷺ.

وقال بعضهم: من آثر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن آثر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة.

وقال سفيان بن عيينة ﷺ: كل صاحب بدعة ذليل، والمراد من هذا كله إنما هو البدعة المذمومة كما مرّ، وإلا فقد قسموها إلى الأقسام الخمسة.

قال في «الإحياء»: وإنما أمته ﷺ من اتبعه وما اتبعه إلا من أعرض عن الدنيا، وأقبل على الآخرة فإنه ما دعي إلا لله واليوم الآخر، وما صرف إلا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما تعرض عن الدنيا، وتقبل على الآخرة تسلك سبيله الذي سلكه ﷺ فبقدر ما تسلك سبيله فقد اتبعته، وبقدر ما اتبعته صرت من أمته، وبقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله، ورغبت عن متابعته، والتحقت بالذين قال الله تعالى فيهم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات:37 – 39].

[ووفقنا في الفهم عنك] ليس هذا تكرار مع قوله «وفهمنا عنك» لا نطلب التوفيق في الفهم غير طلب الفهم وتقدم معنى التوفيق، وأما الفهم ففي «القاموس»: فهمه كفرح فهما ويحرك وهي الأفصح وفهما وفهامة وفهامية علمه وعرفه بالقلب، وهو تكييف سريع الفهم، واستَفْهَمَني فأَفْهَمْتُه وفَهَّمْتُه، وانْفَهَمَ لَحْنٌ. وتَفَهَّمَهُ: فَهِمَهُ

(1) رواه الترمذي (5/45).

شيئاً بعد شيء. وَفَهْمَ: أبو حَيٍّ، وابنُ عُمَيْرِ بن قَيْسِ بنِ عَيْلانَ] [1]، وفي [حسن الاعتقاد] الصحيح المطابق [في الإيمان] بظهور أدلته ووضوح براهينه، ورفع موانعه، وإشراق نوره وضيائه في قلوبنا، وزيادة ثمراته في أعمالنا. [بأسمائك] أي بمعرفة معانيها ومعرفة معاني [صفاتك] وإنما قصر طلب التوفيق في حسن الاعتقاد في الإيمان على الأسماء والصفات بالمعنى السابق؛ لأن الباري تعالى لم يتحصل منه أهل السماوات والأرض إلا على الأسماء والصفات، وأما حقيقة الله تعالى فهي مخالفة لسائر الحقائق، وليست معلومة للناس في الدنيا لكل مآل كثير أنها معلومة لم فيها؛ لأنهم يحلفون بالوحدانية، وهو متوقف على العلم بحقيقته، وأجيب بمنع التوقف على العلم به بالحقيقة، وإنما يتوقف على العلم به بوجه وهو تعالى يعلم بصفاته كما أجاب موسى عليه الصلاة والسلام فرعون المسائل عنه تعالى كما قفي تعالى على ذلك بقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:23] إلى آخره واختلف المحققون هل يمكن علمها في الأخرة، فقال بعضهم: نعم لحصول الرؤية فيها، وبعضهم: لا والرؤية لا تفيد الحقيقة.

قال ابن العربي ﷺ في أحكامه: وإذا كان الإيمان في القلب حقًا ظهر ذلك في الأعمال بامتثال الأوامر، واجتناب المنهي عنه، وإذا كان مجازا أقصرت الأعمال إذ لم تبلغ قوته إليها.

قال المصنف ﷺ: [وهب لنا فرقانا نفرق به بين الحق والباطل وأرنا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنتجنبه وعلمنا من علم اليقين وأشهدنا بعين اليقين وحققنا بحق اليقين ربنا وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾] [آل عمران: 8].

قال الشارح ﷺ: [وهب لنا فرقانًا] مصدر كالرجحان أي فصلاً بينًا واضحًا. [نفرق به بين الحق والباطل وأرنا] أمر من رأى كمضى، أي: أبصر أو عرف أي: بصرنا أو عرفنا. [الحق] قال البيضاوي: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره يعم الأحيان الثابتة والأفعال الصائبة والأقوال الصادقة، من حق الأمر إذا ثبت وثوب محقق

(1) القاموس المحيط (269/3).

محكم النسج [حقا] أي عرفنا حقيقته حقيقة وعرفانا يقينا محصلا لعلم اليقين [فنتبعه] بالانقياد له والعمل به. [والباطل باطلاً] أي عرفنا باطليه [فنجتنبه] ورأى لرجحان المفعول الثاني ولنتيقنه أيضًا كما هنا وهذا إنما هو في محل الإشارة، وقال ﷺ: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه»[1] الحديث، وقال وهب إذا عرض لك أمران شككت في خيرهما، وانظر أبعدهما من هواك فأته. [وعلمنا من علم اليقين وأشهدنا يقين اليقين وحققنا بحق اليقين] قال في «الرسالة»: اليقين عند جماعة توالي العلم بالمعلوم حتى لا يكاد يغفل عنه فيصير كالعلم الضروري، فهو أخص من العلم وعن آخرين هو العلم وعلم اليقين، وحق اليقين نفس اليقين فالإضافة بيانية هذا في اللغة، وأما في اصطلاح القوم فعلم اليقين ما كان بشرط البرهان، وعين اليقين ما كان بحكم البيان، وحق اليقين ما كان بنعت العيان، قال شارحها شيخ الإسلام الأكبر زكريا: وعبر بعضهم عن ذلك بأن علم اليقين هو العلم الذي لا يقبل الاحتمال وإن لم يتوالى على الطلب، وعين اليقين هو العلم المتعالي على القلب ذكره بحيث تقل الغفلات عنه وإن ذكر صاحبه غيره، وحق اليقين هو الذي غلب ذكره على القلب حتى اشتغل به عن ذكر غيره.

قال الماتن: فعلم اليقين لأرباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم، وحق اليقين لأصحاب المعارف.

قال الشارح: وقيل اليقين اسم ورسم وعلم وعين وحق فالاسم والرسم للعوام، وعلم اليقين للأولياء وعين اليقين لخواص الأولياء وحق اليقين للأنبياء وحقيقة حق اليقين اختص بها نبينا ﷺ، انتهى.

نسبوا له ﷺ: علم اليقين لا محذور فيه ولكونه بطريق البرهان، قال: فيه علمنا وأما سؤاله التحقيق بحق اليقين فعلى ما في الرسالة من أنه لأصحاب المعارف أي مطلقا، وهو يعلم أنه منهم فسأل الدوام عليه لا على ما سبق ممن نقل شارحها من

(1) رواه البخاري (28/01)، ومسلم (1221/1).

تخصيصه بالأنبياء، وفي ضمن طلبه لهذا المقام طلبه للمقام الثاني الذي هو عين اليقين؛ لأن هذا أكمل وذاك متوسط بين مطلوبيه والمقامات الثلاث واردة في القرآن العزيز، قال تعالى: ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:5] وقال: ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:7] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة:95].

[ربنا] منادى قريب، وذا للمتكلم ومعه غيره وأدخله معه في هذا المطلب الشريف موافقة للكتاب العزيز. [وأرنا] علمنا. [مناسكنا] شرائع عباداتنا، والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج. [وتب علينا] ووفقنا للتوبة حتى نتوب فتقبل توبتنا، وفي القاموس تاب الله عليه وفقه للتوبة، ورجع به من التشديد إلى التخفيف، أو رجع إليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده، انتهى. [إنك أنت التواب] المبالغ في توقف عبيده، وتوبة الرب عودها إلى الإحسان اللائق بالربوبية، وذلك بأن يوفق عباده بعد الخذلان، ويعطيهم بعد الحرمان، ويخفف عنهم بعد الشدائد، ويعفو عنهم بعد الوعيد، ويكشف عنهم أنواع البلاء، ويفيض عليهم أقسام الآلاء.

وقال المشايخ: التواب الذي قابل الدعاء بالعطاء، والاعتذار بالاعتقاد، والإنابة بالرجوع، والتوبة بغفران الحوبة. [الرحيم] لمن تاب قيل الرحمن لأهل الافتقار، والرحيم لأهل الافتخار فإذا شهدوا جلاله طاشوا وافتقروا، وإذا شهدوا جماله عاشوا وافتخروا، وقيل الرحمن الذي إذا سئل أعطى، والرحيم الذي إذا لم يسأل غضب، قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يسأل الله يغضب عليه»[1] ونظمه الشاعر فقال:

الله يغضب إن تركت سؤاله   وبني آدم حين يسأل يغضب

[ربنا لا تزغ] لا تمل. [قلوبنا] عن الهدى ونهج الحق. [بعد إذ هديتنا] إليه وقيل لا تبلنا ببلايا تزغ فيه قلوبنا قال ﷺ: «قلوب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه على الحق وإن شاء أزاغه عنه»[2] [وهب لنا] تفضلاً. [من لدنك] من عندك لا بسبب من الأسباب، ولا بعمل من الأعمال، فلا يجب عليك

---

(1) رواه الترمذي (5/546).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (2/317).

شيء، ولا تفعل إلا ما تريد، ولا تسأل عما تفعل. [رحمة] تزلفنا إليك ونفوز بها عندك، أو توفقنا للثبات على الحق، أو مغفرة للذنوب، وقال البغوي: الرحمة هي النعمة على المحتاج، فإنه لو أهدى ملك إلى ملك شيئًا فإنه لا يقال قد رحمه وإن كان ذلك نعمة؛ لأنه لم يضعها في محتاج.

[إنك أنت الوهاب] لكل مسئول ممكن، قال المشايخ: الوهاب من يكون جزيل العطاء، والنوال كثير المن والأفضال كثير اللطف والإقبال، يعطي من غير سؤال ولا يقطع نواله عن العبد بحال، وقيل الوهاب: الذي يعطيك بلا وسيلة، وينعم عليك بلا سبب وحيلة، وقيل الذي يعطي لا لعوض ويهب لا لغرض [1].

قال المصنف ﷺ: [يا عليّ يا عظيم يا حليم يا عليم يا مريد يا قدير، يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن يا من هو هو يا هو يا من هو الأول قبل كل شيء بلا بداية، والآخر بعد كل شيء بلا نهاية، والظاهر فوق كل شيء بأمره وقهره

(1) قال سيدنا الشعراني: قال الشيخ الأكبر: اعلم أن الوهب هو العطاء من الواهب على جهة الإنعام من غير أن يخطر له خاطر الجزاء عليه من شكر أو غيره، فإن اقترن معه طلب شكر جزاء، فليس هو بوهب وإنما هو عطاء تجارة تطلب الربح والخسران، فصاحب هذا المقام يتجرد عن جميع أغراضه كلها في إحسانه لهيئاته البدنية والمالية، ومعنى البدنية أن يعرف بدنه بسقم أو غيره من الحركات البدنية في حق من كان من عباد الله من إنسان أو حيوان لا يبتغي بذلك أجرًا، ولا يطلب عليه شكرًا إلا بمجرد الإنعام على هذا الذي يتحرك من أجله مما له فيه منفعة أو دفع مضرة، وكون الله يؤجره على ذلك، ذلك إلى الله لا إليه، فليس مراد صاحب هذا المقام إلا الإنعام على تلك الصورة العملية المشروعة بالظهور المتصف بالوجود، فيكون من المسبحين بحمد الله، فينعم عليها وعلى حضرة التسبيح، فيخلق الله تعالى في عباداته ألسنة مسبحة لله بحمده لم يكن لها عين في الوجود كما خلق عيسى ﷺ كهيئة الطير من الطين، فنفخ فيها فكان طائرا بإذن الله، فإن كان عيسى قد نوى بخلقه الطائر الإنعام على تلك الصورة لتلحق بالوجود وينعم على حضرة التسبيح بزيادة المسبحين فيها، التحق بهذه الحضرة وإن كان نوى غير ذلك فهو لما نوى، فإنما الأعمال بالنيات، وهذا الذي ذكرناه من قصد الإنعام على تلك الصورة هو عين ما قصده الحق في إيجاده العالم، فكما قصد الحق بالخلق أن يعبدوه في نحو قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] فكذلك قصد صاحب هذا المقام، وأطال في ذلك. ثم قال: وهذا عمل لم ينسج على منواله أحد انفردنا بالتنبيه عليه، فاعلم ذلك.

وسلطانه، والباطن دون كل شيء بإرادته وقدرته وأفعاله].

قال الشارح ﷺ: [يا عليّ] أي عالي القدر والمنزلة والشأن، كما يقال لفلان درجة عالية في العلم والزهد، والخليفة أعلى درجة من السلطان، ولا يراد العلو في الجهة والله تعالى منزه عن العلو في المكان؛ لأنه من صفات الأجسام، والحق تعالى مقدس عن الجسمية، قال المشايخ: العلي الذي علا عن الدرك ذاته وليس المتصور صفاته، وقيل: هو الذي تاهت الألباب في جلاله وعجزت العقول عن وصف كماله.

[يا عظيم] هو الذي لا يكون عظمته بتعظيم الأخبار وجل قدره عن الحد والمقدار، فهو عظيم القدر والخطر لا على معنى عظم الأجرام، وقيل: هو الذي يصغر عن ذكر وصفه كل شيء سواه ولا تصل العقول إلى كنه صمديته ولا الأبصار إلى عزته.

[يا حليم] قال الفخر الرازي: حاصل كلامهم أنه هو الذي لا يعجل بالانتقام، إن كان على عزم أن ينتقم بعد ذلك فهو يسمى الحلم، وإن كان على عزم أن لا ينتقم البتة فهذا هو العفو والغفران، ويمكن أن يقال أنه إنما يكون حليما إذا كان على عزم أن لا ينتقم البتة، ولكن بشرط أن لا يظهر ذلك فإن أظهره كان عفوًا.

وقال المشايخ: الحليم من كان صَفُاحًا عن ذنوب وستارا للعيوب، وقيل: الذي غفر بعد ما ستر وهو معنى، قول بعضهم: هو من يسامح الجاني ويمهله مع استحقاقه العقوبة وإلى أخذه، وقول آخر من الحكم: وهو رفع العقوبة مع استحقاقها، وقيل: الذي يحفظ الود ويحسن العهد وينجز الوعد، وقيل: هو السيد.

[يا عليم] بمعنى العالم مع زيادة المبالغة، والعالم من قام بالعلم وهو صفة معنوية مبلغها المعلومات واجبة وجائزة ومستحيلة، فهو الذي لا يخفى عليه خافية، ولا يغرب عن علمه قاصية ولا دانية، وقيل: من علم أنه عليم بحالته صبر على بليته وشكر على خطيئته، واعتذر عن قبح خطيئته.

[يا مريد] ليس من التسعة والتسعين لكنه وارد في القرآن ما يؤخذ منه، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ [النساء: 28]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: 185]، وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ [القصص: 5]، وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: 16].

[يا قدير] لم يرد هذا أيضًا في التسعة والتسعين ولكنه ورد في القرآن، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: 1]، مبالغة من القادر كالعليم من العالم.

[يا أول] قال المفسرون هو القديم الذي لا يسبقه عدم.

[يا آخر] الذي يفني الخلائق والأمم ويبقى وجهه الكريم.

[يا ظاهر] قيل بمعنى القاهر الغالب بخلقه، يقال ظهر عليه إذا غلبه وقهره وقيل بكثرة البراهين القاطعة، والأدلة الساطعة على ثبوت وجوده ووجوب وجوده[1].

[يا باطن] قيل من حيث أن كنه حقيقته غير معلوم لأحد، وقيل من حيث أن الأبصار لا تدركه، وسيأتي معنى هذه الأربعة في كلامه على طريق القوم، وطريق رجوع هذه الأسماء إلى ما تقدم بعد الأسماء السابقة أن يقال على حسب الظن أن قوله: (يا علي يا عظيم يا حليم) راجعة إلى قوله: (اجمعنا على أهل العلم الذين رفعت درجاتهم، وأعليت مقامهم، وعظمت شأنهم بقولك في كتابك: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، يا علي يا عظيم وأنت السيد المالك تفعل بهم ما تريد يا حليم)، وأما قوله يا عليم راجع إلى ذلك أيضًا وإلى قوله وعلمنا من علمك يا عليم وفق له يا مريد يا قدير راجع إلى جميع ما تقدم أي إنما تفعل ذلك بإرادتك يا مريد وبقدرتك يا قدير: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: 29] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: 13].

(يا أول يا أزلي) فلا بداية قبل خلق جميع الأفعال هذه وغيرها الثبوتية يا آخر يا أبدي بعد انقضائها، وفناء جميع المخلوقات فالأزلية الأبدية بأسمائك وصفاتك يا ظاهر لكل شيء بالدلائل اليقينية يا باطن يا عالم بحقيقة كل شيء.

---

(1) يقال: الظاهر معطي النعم الظاهرة، الباطن معطي النعم الباطنة.
ويقال: الظاهر معطي السؤال، الباطن معطي ما لا يخطر ببال.
ويقال: الظاهر مدبر الملك الظاهر، الباطن مدبر الملكوت الباطن.
ويقال: الظاهر القادر القاهر الباطن العالم بالسرائر.
ويقال: الظاهر للمؤمنين حتى عرفوه، والباطن عن الكفار حتى جحدوه.
ويقال: الظاهر معطي النعم، الباطن دافع النقم.

[علمنا من علم الباطن يا من هو هو] أي: باق فلا يزال على مكان عليه في الأزل من صفات الكمال ونعوت الجلال لم يحدث في ذاته تغير ولا تبدل ولا زوال. [يا هو] لما أردناه ببعض أسمائه وجميع الأسماء مشتقة قاصرة عن الإنباء عن كنه ذاته سبحانه وتعالى، ناداه بما ينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المنزهة عن جميع جهات كثرة الواجبات إلى كنه الصمدية وحقيقة الأحدية.

قال الفخر الرازي: فهي اللحظة لوصولها إلى كنه الصمدية بحيث أن تكون أشرف الألفاظ، وهو لفظ هو، وحقيقة الشيء ما به الشيء هو هو، وهو إشارة، والإشارة تفيد تعيين المشار إليه بشرط أن لا يحضر هناك شيء سوى ذلك الواحد؛ أي أيا من ليس إلا هو فلا يلتجأ إلا إليه، ولا يعول في الملمات إلا عليه، قال ابن عطاء الله في كتاب «الذكر الخامس»: أعني من أنواع الذكر هو اعلم أن هو اسم موضوع للإشارة عند أهل الظاهر لا يتم الكلام إلا بخبر نحو قائم وقاعد، فيقول هو قائم هو قاعد وعند هذه الطائفة هو إخبار عن نهاية التحقيق، ويكتفون به عن كل بيان يتلوه؛ لاستهلاكهم في حقائق القرب واستيلاء ذكر الحق على أسرارهم فمن سواه حتى تقع الإشارة إليه، انتهى. من أشار إلى معنى الأول والآخر والظاهر والباطن عند المشايخ فقال: [يا من هو الأول قبل كل شيء] وقيل بالأزلية وأشار إليه بقوله [بلا بداية والآخر بعد كل شيء] وقيل بالأبدية والسرمدية وأشار إليه بقوله [بلا نهاية] وقيل الأول بالإيجاد والتخليق، والآخر بالهداية والتوفيق [والظاهر فوق كل شيء] قيل بالقدرة على كل شيء وإليه أشار بقوله [بأمره وقهره وسلطانه] وقيل بالأدلة ونظر العقول في نظر المعقول، وقيل الذي يعلم ما ظهر ومقيد الفوقية أيضًا في وصفه تعالى لمعنى علو القدر والشأن، كما يقال الياقوت فوق الحديد والأحرار فوق العبيد.

[والباطن دون كل شيء] قيل العالم بحقيقة كل شيء وإليه أشار بقوله [بإرادته] وهي صفة تخصص أحد طرفي الشيء من الفعل أو الترك بالوقوع في أحد الأوقات. [وقدرته] وهي صفة تؤثر في الشيء عند تعلقها به [وأفعاله] الناشئة عن القدرة والإرادة، والقدرة تؤثر في الإيجاد، والإرادة تخصص كما علم والله تعالى خالق لجميع أفعال عباده من الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، والعبد كاسب لا خالق، وقيل الباطن الذي يعلم ما بطن وقيل الباطن بلطفه وغوامض حكمته وباهر صفاته، التي لا تصل إلى معرفتها على ما هي عليه الأوهام، وقد ورد بعض هذه الألفاظ في

حديث خرجه أبو يعلى ولفظه: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1] وأورده في «الحصن الحصين» من رواية الترمذي، ثم أنه لما كانت العادة جارية بتقديم مدحه المسئول على السؤال ليكون أنجح للمطلوب جرى عليّ- رضي الله تعالى عنه- على مقتضاها تقدم مدحته تعالى والثناء عليه بما هو أهله بقوله يا من هو إلى آخره وجرت بالاستشفاع بالعظماء وذوي الفدى والمكانة عند المسئول واستشفع وتوسل بأعظم الوسائل.

قال المصنف ﷺ: [اللهم إنا نسألك بمحمد السيد الكامل الفاتح الخاتم نور أنوار المعارف وسر أسرار العوارف صفوة خلقك وبسر علمك ونسألك بنور وجهك وبساط رحمتك وبالسبعة والثمانية وبأسرارها المتصلة منك ونسألك باسمك المكنون].

قال الشارح ﷺ: فقال: [نسألك بمحمد] ثم قال [وبالسبعة والثمانية] ثم ترقى إلى أعلى المراتب وهو سأل به، فقال: [بنور وجهك وباسمك المكنون]، [اللهم إنا نسألك بمحمد] هو ﷺ المنبئ عن ذاته الذي سائر أوصافه راجعة إليه وهو واحد وله في الاشتقاق صيغتان الاسم المبني على صيغة الفعل المبنية على التضعيف والتكثير إلى حد لا ينتهي له الإحصار وهو اسمه مُحَمَّد، والاسم المبني على صيغة أفعل المبني على غاية ليس وراءها منتهى وهو اسمه أحْمَد السيد.

قال في «الشفاء»: هو الذي يلجأ الناس إليه في حوائجهم قال ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة»[2].

قال في «الشفاء»: هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة؛ ولكن أشار عليه الصلاة والسلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره، إذا لجأ الناس إليه في ذلك فلم يجدوا سواه، فكان حينئذ سيدا منفردًا من بين البشر لم يزاحمه أحد في ذلك ولا ادعاه.

قال الإمام النووي في «الأذكار»: لا بأس بقول الولي.

[والسيد] بالألف واللام. [الكامل] في جميع أمور [الفاتح الخاتم] قال في

---

(1) رواه مسلم (2084/4)، والترمذي (472/5).

(2) رواه البخاري (1445/4)، ومسلم (184/1).

«المواهب»: وأما الفاتح الخاتم ففي حديث الإسراء عن أبي هريرة ﷺ من طريق الربيع بن أنس قول الله تعالى له: «وجعلتك فاتحًا وخاتمًا»[1].

وفي حديث أبي هريرة أيضًا في الإسراء قوله ﷺ: «وجعلني فاتحًا وخاتمًا»[2] فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجًا، وفتح به أعينا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، وفتح أبصار الكفر، وفتح به أبواب الجنة، وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، والقلوب والأسماع والأبصار والأمصار، وقد يكون المراد المبدأ المقدم في الأنبياء والخاتم بهم[3]، قال ﷺ: «كنت أول النبيين في الخلق

---

(1) ذكره الهيثمي في المجمع (72/1)، ورواه عبد الرزاق في المصنف (113/6).

(2) ذكره الهيثمي (89/1).

(3) الفاتح: اسم من أسمائه ﷺ، سمّاه به مولاه جلّ جلالُه في حديث الإسراء من روايات مختلفة تنتهي إلى أبي هريرة ﷺ وأنّ فيها من قول الله تعالى، وثنائه على نبيّه، وتحليته لحبيبه. وقال له ﷺ ربُّ العزّة ذو الجلال والإكرام: «وجعلتك فاتحًا وخاتمًا». وفي رواية أخرى أنه ﷺ لما أثنى على ربّه ﷻ، وعدّد نعمَه عليه، ومراتبه لديه. فقال: «ورفع لي ذكري، وجعلني فاتحًا وخاتمًا». ومن أسماء مولانا: الفاتح، ومعناه في حقّه سبحانه: الحاكم بين عباده وخلقه يوم القيامة. وقيل: فاتح باب الرِّزق والرَّحمة على خليقته؛ أو فاتح ما انغلق عليهم من أمورهم في الشّدائد ومُفرِّج الكربات عنهم، وقاضي حوائجهم وجالب الفوائد لهم. ويُحتمل أن يكون معناه: فاتح قلوب الخلق وبصائرهم بمعرفة الواحد الحق. وقيل: معناه: ناصرهم، ومانح النّصر والفتح لهم، وشقّ لنبيِّنا، ﷺ من هذا الاسم العظيم ما سمّاه ليُجلّه به، ويُعظّمه في عين خَلْقه. ومعنى الفاتح في حقّ نبينا ﷺ: الحاكم بين الخلق بما أراه الله، والفاتح أبواب الرحمة على خَلْق الله سبحانه رحمة للعالمين، والفاتح لبصائر الخلق أجمعين. ويُحتمل أن يكون الفاتح في حقّه بمعنى: أنه ناصر للحق، مبذل جهده في ظهوره، جادٌّ في طاعة ربه في جميع أموره. ويُحتمل أن يكون قوله: فاتحًا، معناه: مهتديًا لهداية الأمّة، ومبيّنًا لها الحقائق وهاديها إلى الطّريق. ويحتمل أن يكون قوله: فاتحًا خاتمًا راجعًا لقوله ﷺ: «وكنت أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث»، ويُحتمل أن يكون معنى قوله ﷺ: «فاتحًا خاتمًا»: إنّ أصل البركات والخيرات التي أظهرها الله تعالى في العالم العلويّ والعالم السُّفليّ، وعالم الدُّنيا والآخرة؛ مبدأها ومنتهاها، إنّما أعطاها الله سبحانه لخلقه من أنوار نبيّه، وأسرار صفيّه. فكان لكلّ موجود سوى الله تعالى وصفاته؛ فاتحًا لخيراته، خاتمًا لبركاته ﷺ؛ فيكون معنى كونه فاتحًا: إنّه مبيّن لما صعُب فهمُه، وبَعُد علمه. وإلى ذلك أشار علي بن أبي طالب ﷺ في صلاته؛ فلنذكرها لبركاتها. قال ﷺ: اللّهم داحي المدحوّات، وبارئ المسموكات؛ اجعل شرائف

-

وآخرهم في البعث»[1] .

[نور أنوار المعارف] قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ﴾ [المائدة:15] قيل هو محمد ﷺ وقيل القرآن فهو نورًا من الذي لا يطفئ والمعارف جمع معرفة بمعنى المعروف.

[وسر أسرار العوارف] الأسرار عندهم هي المعاملات بين العبد وربه، فهو ﷺ محل سر الأسرار وسر الله الأعظم الذي لا تدرك حقيقته الأفكار والأقطار، والعوارف جمع عارفة بمعنى معرفة [الحقيقة][2]. [صفوة خلقك] أي خلاصتهم أو خيرتك منهم، وصفوة الشيء خالصه قال ﷺ: «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشًا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[3] رواه الترمذي وصححه.

[وبسر علمك القديم ونسألك بنور وجهك] أي: ذاتك الكريمة أي نسألك بنور ذاتك. [وبساط رحمتك] أي: رحمتك المبسوطة التي تسع كل شيء. [ونسألك بالسبعة والثمانية وبأسرارها المتصلة منك] يحتمل والله أعلم أنه أراد بالسبعة خزنة السماوات السبع، والثمانية حملة العرش يوم القيامة.

وقد اختلف الناس فيهم، فقال ابن عباس: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم، وقال: غيره أنهم ثمانية أملاك، قال جماعة: هم على هيئة الناس أرجلهم تحت الأرض السابعة ورءوسهم وكواهلهم فوق السماء السابعة.

قال الغزالي: في الدرة قدم الملك منهم مسيرة عشرين ألف سنة، وقال بعضهم: أنهم على هيئة الوعول، وسألت شيخنا النجم الغيطي- رحمه الله تعالى-: عن المراد بالسبعة والثمانية فكتب لي بخطهما صورته من فوائد الشيخ العارف سيدي محمد

صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لِمَا أُغلق، والخاتم لِما سَبق، والمُعلن الحق بالحق، [تذكرة المحبين ص 285].

(1) رواه الديلمي في الفردوس (3/282).

(2).[...] بياض في الأصل.

(3) رواه مسلم (4/1782).

المغربي - رحمه الله تعالى- ونفعنا ببركاته مما وجد بخطه على حزب السادة الوفائية نفع الله تعالى بهم عند قوله فيه وبالسبعة والثمانية وأسرارها المتصلة منك، السبعة حروف الله رحمن بإسقاط المكرر، والثمانية بزيادة الياء من رحيم، والله سبحانه أعلم، وقيل: السبعة الصفات السبعة الثبوتية للحق، والثامن صفة البقاء عدها قوم وقوم لم يعددها صفة ثامنة والله أعلم بالمراد، انتهى.

وبلغني عن الشيخ العارف بالله سيدي أبو المكارم إبراهيم بن أبي الوفا- رحمه الله تعالى -: أنه كان يقول أن المراد بالسبعة آيات الفاتحة وبالثمانية آيات آية الكرسي.

[ونسألك باسمك المكنون] أي المصون المكتوم، وهو الاسم الأعظم؛ أي أعظم أسماء الله سبحانه، وقد اختلف الناس فيه، فقال قائلون: ليس الاسم الأعظم اسما معينا بل كل اسم يذكر العبد ربه حال ما يكون مستغرقًا في معرفة الله تعالى منقطع الفكر والفعل عن كل ما سوى الله تعالى، فذلك الاسم هو الاسم الأعظم.

وقال قائلون: الاسم الأعظم لله سبحانه اسم معين، والقائلون بهذا القول فريقان منهم: من قال أنه معلوم للخلق، ومنهم من قال أنه غير معلوم لهم، أما القائلون بأنه معلوم لهم فقد اختلفوا فيه على أقوال:

الأول: إذا أرادوا المبالغة في الدعاء قالوا يا هو يا من لا هو إلا هو يا من به وهو به كل هو.

الثاني: أن أعظم الأسماء هو قول الله.

الثالث: أعظم الأسماء هو قولنا الحي القيوم.

الرابع: هو قولنا ذو الجلال والإكرام.

الخامس: الحروف المذكورة في أوائل السور.

السادس: مروي عن زين العابدين أنه، قال: سألت الله أن يعلمني الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، فقيل لي: في النوم قل اللهم إني أسألك الله الله الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم، قال: فما دعوت به إلا رأيت النجح.

السابع: دعاء التاجر وهو يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما يريد، أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك ورحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني ثلاث مرات، وهذا كله تفصيل مذاهب من يقول الاسم الأعظم معلوم للخلق، والقول

الأخر قول من يقول أنه غير معلوم لهم، وقد وردت الروايات الكثيرة بهذا المعنى، ويقال: إن لله تعالى أربعة آلاف اسم ألف لا يعلمها إلا الله وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة، وألف لا يعلمها إلا الله والملائكة والأنبياء، وأما الألف الرابع فأي المؤمنين يعلمون فثلاثمائة منها في التوراة، وثلاثمائة في الإنجيل، وثلاثمائة في الزبور، ومائة في القرآن تسعة وتسعون منها ظاهرة وواحد مكتوم من أحصاها دخل الجنة، قالوا: وإنما جعل الاسم الأعظم مكتومًا ليصير ذلك سببا لمواظبته على ذكر جميع الأسماء، وجاء أنه ربما يمر على لسانه ذلك الاسم أيضًا، ولهذا السبب أخفى ليلة القدر في الليالي والصلاة الوسطى في الصلوات ذكر هذه الأمور، الفخر الرازي في «شرح الأسماء» بأدلتها، والقول الخامس منها منقول عن علي وابن عباس قالا: إلا أنا لا نعرف بالثقة منها.

وفيها أقوال أخر منها: بسم الله الرحمن الرحيم أطع الله يعطه ومنها اللهم، واستدل له الزركشي: بأن الله دال على الذات والميم دالة على الصفات التسعة والتسعين، ذكره ابن ظفر: ولهذا قال الحسن البصري اللهم مجمع الدعاء.

وقال النضر بن شميل: من قال اللهم فقد دعا الله بجميع أسمائه ويحتمل أنه أراد بالاسم الجنس إذ كل أسمائه يقال بمضمونه.

وفي الحديث «وأسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[1] الحديث.

قال بعضهم: وينبغي للداعي أن يقول في دعائه اللهم إيمانًا بكل أسمائك الحسنى وصفاتك العلا؛ فإنه يشمل الاسم الأعظم وغيره، ثم إنه ذكر المسئول المتوسل به في حصوله بمن ذكر.

قال المصنف ﷺ: [أن تنزع من أنفسنا حب الدنيا والكبر والحسد والهوى والشهوة والطمع والقنوط والهم على الرزق والمخالفة والرياء والشك والشرك الخفي وهب لنا الإخلاص الذي لا يطلع عليه أحد غيرك وأطلعنا على دسائس أنفسنا ووفقنا في مخالفتها باتباع الحق].

(1) رواه أحمد (391/1).

قال الشارح ﷺ: قوله [أن تنزع من أنفسنا حب الدنيا] قال ﷺ: «حبك الشيء يعمي ويصم»[1] رواه الإمام أحمد وغيره ولا شيء كحب الدنيا فإنه رأس كل خطيئة كما روي عنه ﷺ مرسلا، لكن قال العراقي: أنه من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبي الدنيا، أو من كلام عيسى بن مريم ﷺ كما رواه البيهقي، ولا أصل له من حديث النبي ﷺ إلا من مراسيل الحسن البصري وهي عندهم شبه الريح.

قال الجلال السيوطي: قد عد الحديث في الموضوعات وتعقبه الحافظ بن حجر بأن ابن المديني أثنى على مراسيل الحسن والإسناد إليه حسن.

واعلم أن رضا الله سبحانه وتعالى إنما يحصل بالإعراض عن الدنيا والإقبال على جنابه المقدس قال ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله»[2] .

وقال الإمام الغزالي في «الإحياء»: واعلم أن رأس الخطايا المهلكة هو حب الدنيا، ورأس أسباب النجاة هو التجافي بالقلب عن دار الغرور.

وقال الفضيل بن عياض كما في «الرسالة»: جعل الله الشر كله في بيت رجل مضاجعه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت رجل مضاجعه الزهد.

وقال عبد الحق الإشبيلي في «العاقبة»: اعلم رحمك الله أن حب الدنيا هو سبب طول الأمل، والإنكباب عليها يمنع من الفكرة في الخروج عنها، والجهل بغوائلها يحمل على الإرادة لها، والازدياد منها لأن من أحب شيئًا أحب الكون معه والازدياد منه، ومن كان مشغولا بالدنيا محبا لها قد خدعته بزخرفها، وأمالته برونقها، كيف يحب مفارقتها ويحب مزايلتها؟ هذا أمر لم تجر العادة به ولا لأحد شفاء منه بل نجد من كان على هذه الصفة أعمى عن طريق الخير، أصم عن داعي الرشد آفل الرأي سيء النظر ضعيف الإيمان، لم تترك له الدنيا ما يسمع به، ولا ما يرى إنما دينه وشغله وحديثه دنياه لها ينظر، ولها يسمع قد ملأت عينه وقلبه، وقال: أيضًا واعلم رحمك الله أن لسوء الخاتمة أعاذنا الله منها أسبابا فلها طرق وأبواب، وأعظمها الانكباب على الدنيا، والإعراض عن الآخرة وقد سمعت قصة بلعام بن باعوراء وما كان أتاه الله تعالى

---

(1) رواه أبو داود (334/4)، وأحمد (194/5)..

(2) رواه ابن ماجه (1337/2).

من آياته وأطلعه عليه من بيناته، وما رآه من عجائب ملكوته أخلد إلى الأرض واتبع هواه فسلبه الله تعالى جميع ما كان أعطاه وتركه مع اشتماله وأغراه. [والكبر] هو الارتفاع على الناس واحتقارهم، ودفع الحق وأفكاره ترفعا، وتجبرا كذا في «شرح مسلم» وقاله في «الإحياء»: التكبر على العباد وأن تستعظم نفسه وتستحضر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيرد رأيهم ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم، انتهى.

وقد ذم المتكبرون في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف:146]، وورد في حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمض الناس»[1] أي استصغارهم، وقوله: «بطر الحق» كقوله تعالى: ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص:58].

وروي عنه ﷺ أنه قال: «ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة، فإن تعاظم وارتفع ضرب الملك في رأسه ،وقال له: اتضع وضعك الله، وإن تواضع رفعه الملك، وقال له: ارتفع رفعك الله»[2] .

[والحسد] تمني زوال نعمة المحسود بخلاف الاغتباط وقد يحصى باسم المنافسة فإنه تمني مثل النعمة من غير أن تزول عن صاحبها وقد تسمى المنافسة حسدا كما في قوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها»[3] رواه البخاري، والحسد منافسة ويوضع أحد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني، ثم اعلم أن الحسد من نتائج الحقد، والحقد من نتائج الغضب، فهو فرع فرع الغضب، والغضب أصل أصله، وذلك أن الغضب شعلة نار ابتسمت من نار الله الموقدة إلا أنها لا تطلع

---

(1) رواه مسلم (83/1).

(2) ذكره ابن الحاج في المدخل (227/1)، بتحقيقنا.

(3) رواه البخاري (39/1)، ومسلم (558/1).

على الأفئدة، فإنها المسكنة في طي الفؤاد استكان الجمر تحت الرماد، ويستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد، كما يستخرج الحجر النار من الحديد، ثم إن الغضب إذا كظمه يعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن، واحتقن فيه فصار حقدا، ومعنى الحقد أن يلزم له قبله اشتغاله والبغض له، والنفار منه وأن يدوم ذلك ويبقى، قال ﷺ: «المؤمن ليس بحقود»[1] والحقد غير الغضب، ومن شمل من الحقد والحسد كذا في «الإحياء» مغرقا وله سبعة أسباب:

الأول: العداوة ولو لأعلى منه لإساءته عليه وعلى من يحبه.

الثاني: النفر وبأن لا يطيق الحاسد لعزة نفسه احتمال كبر المحسود وتفاخره بالنعمة.

الثالث: التكبر بأن يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته.

الرابع: التعجب بأن يكون النعمة عظيمة المنصب كبيرا فيتعجب بعوز مثله لمثل تلك النعمة.

الخامس: الخوف من فوت المقاصد المحبوبة بأن توصل المحسود بالنعمة إلى مزاحمة الحاسد وأغراضه.

السادس: حب الرئاسة التي تبنى على الاختصاص بنعم لا يساويه غيره فيها.

السابع: حب النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى وما عدا السابع عارض يتصور زواله السابع جبلي يستحيل زواله في العادة، وقد تجتمع بعض هذه الأشياء ومنشأها الجميع حب الدنيا، وأما الآخرة فلا ضيق فيها، وعلاج هذا المرض بأمرين أحدهما العلم بأن تعلم أنه ضرر عليك في الدين لأنك سخطت قضاء الله، وكرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته، وفي الدنيا بتألمك وتغلبك به فلا يزال في كمد وغم إذا لا يزال أعداؤك لا يخليهم الله من نعم يفيضها عليهم، أو بلية يصرفها عنهم، فلا يزال مغمومًا محزونًا ضيق الصدر كما يشتهي أعداؤك، ولا تزول النعمة عنهم بحسدك، فلو كنت تؤمن بالبعث والحساب لكان

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (387/2).

مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر منه لما فيه من ألم القلب مع عدم النفع في الدنيا، ومع العذاب الشديد في الآخرة، الثاني: العمل وهو أن تخالف مقتضاه فإن بعثك على القدح في المحسود كلفت نفسك المدح والثناء، أو حملك على التكبر عليه ألزمت نفسك التواضع، أو على ترك الإنعام كلفت نفسك الزيادة في الإنعام، وهكذا فإذا عرف ذلك طابت نفسه وتولدت الموافقة، ولا يصدنك الشيطان عن ذلك بقوله: إنك إن فعلت ذلك حمله العدو على العجز أو على النفاق والخوف، وأن ذلك مذلة ومهانة، وأن هذا من خدعه ومكائده بل المحاملة طبعا، أو تكلفا تكسير سورة العداوة من الجانبين، وتعود القلوب إلى التآلف والتحاب، وقد ورد في ذم الحسد أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: **«إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**[1] وقد ذمه الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:54] وروى بسنده عن عمرو بن ميمون، قال: لما رفع الله موسى نجيا رأى رجلاً متعلقًا بالعرش، فقال: يا رب من هذا؟ فقال: هذا عبد من عبادي صالح إن شئت أخبرتك بعمله، قال: يا رب أخبرني، قال: كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله.

[والهوى] مقصور مصدر هويت وسمي هوى لأنه يهوي بصاحبه، قال: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية:23]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [القصص:50].

وقال ﷺ: **«ما تحت ظل السماء من إله يعبد من دون الله أعظم عند الله من هوى متبع»**[2] رواه الطبراني، وفُسر هوى النفس بشهواتها وإرادتها الملذة لها واتباعه مورد مهلك، وإنما تجد هوى النفس أبدا في ترك الأفضل؛ لأنها مجبولة على حب الملذ، وإنما يردعها ويسوقها إلى حسن العاقبة العقل والقنوع قال رسول الله ﷺ: **«الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»**[3] رواه الإمام أحمد وغيره، وقال سهل التستري: هو أول داؤك فإن خالفته

---

(1) رواه أبو داود (4/276).

(2) رواه الطبراني في الكبير (8/103).

(3) رواه الترمذي (4/638)..

فهو دواء، وقال القائل:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى إلى كل ما فيه عليك يقال

وقيل: كان على خاتم بعض الحكماء من غلب هواه على عقله افتضح وقال ابن دريد:

وآفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا

وحكي في «الرسالة» عن عمر أن الواسطي قال: انكسرت بنا السفينة فبقيت أنا وامرأتي على لوح، وقد ولدت في تلك الحال صبية فصاحت بي، وقالت: يقتلني العطش، فقلت: هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسي، فإذا رجل في الهواء جالس بين يديه سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت أحمر، فقال: هاك اشربا، قال: فأخذت الكوز فشربنا منه، فإذا هو أطيب من المسك، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، فقلت: من أنت يرحمك الله، فقال: عبد لمولاي، قلت له: بم وصلت إلى هذا؟ فقال: تركت هواي لمرضاته فأجلسني في الهوى ثم غاب عني ولم أره. [والشهوة] هي طلب النفس اللذة وتوقانها إلى الشيء، وقد توعد على اتباعها، قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:59].

[والشهوة] في «القاموس» شهية كرضية ودعاه واشتهاه، وتشهاه أحبه ورغب فيه، ورجل شهي وشهوات وشهواني وهي شهوي شهاوي، وأشهاه أعطاه مشهاه وأصابه بعين، وتشتهي القترح بعد شهوة ورجل متشاهي البصر حديدة وموسى، شهوات شاهر وشاهاه أشبهه والطمع يقال طمع فيه وفيه كفرح طمعا وطماعًا وطمعه حرص عليه قال ﷺ: «الطمع مذهب الحكمة من قلوب الحكماء»[1].

وقال ﷺ: «الغنى اليأس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر»[2].

وحكى في «التنوير» عن عليّ ﷺ أنه قال: قدم البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى جاء إلى الحسن البصري ﷺ فقال: يا فتى إني أسألك

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه الحاكم في المستدرك (362/4).

عن أمر فإن أجبتني عنه أبقيتك وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك، وكان قد رأى عليه سمتا وهديا، فقال الحسن سل عما شئت، فقال: ما ملاك الدين؟ قال: الورع، قال: فما فساد الدين؟ قال: الطمع، قال: اجلس فمثلك من يتكلم على الناس.

[والقنوط] هو أعظم اليأس، قال فقال: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ﴾ [الزمر:53]، المائة وفي كتب الحنفية أن اليأس كفر، وعند الشافعية أنه من الكبائر. [والهم على الرزق] لأن الهم عليه صارف عن الهم على الآخرة، وأعقل العقلاء هو من يقبل على آخرته قد جعل الموت نصب عينيه، ولم يغتر بزخارف الدنيا كما اغتر بها الحمقاء؛ بل جعل همه واحدا هم الآخرة وما هو صائر إليه.

وروى البزار عن النبي ﷺ أنه قال: «من جعل الهموم همًا واحدًا هم المعاد كفاه الله هم الدنيا، ومن تشبثت به الهموم هموم الدنيا لم يسأل الله تعالى في أي أوديتها هلك»[1] ويقال أن هموم الدنيا تورث ظلمة القلب، وهموم الآخرة تنور القلب، ولا شك أن الهم على الرزق من أعظم همومها.

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ: أكثر ما يحجب الخلق عن الله شيئان هم الرزق وخوف الخلق، وهم الرزق أشد الحاجبين.

[والرياء] مشتق من الرؤية وهو إظهار الجميل ليرى وإبطان القبيح.

وقال في« بداية الهداية»: هو طلب المنزلة في قلوب الخلق لينال الجاه والحشمة.

وقال في «الإحياء»: أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بأعماله سوى العبادات، وطلب المنزلة في القلوب بالعبادات، وإظهارها قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ﴾ [الماعون:4-6].

وقال ﷺ: «يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو للذي أشرك أنا منه بريء»[2] .

وقال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله،

(1) رواه البزار (68/5)، وابن ماجه (38/1).

(2) رواه مسلم (2289/4).

وما الشرك الأصغر قال الرياء»[1] .

ومن ادعيته ﷺ: «اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء»[2] .

وقــال ﷺ: «إن الله تعــالى حــرم الجنة على كل مرائي» رواه الديلمي وأبو نعيم.

وقال ابن عطاء الله: ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك.

قال ابن عباد: رياء العبد بالعمل حيث يكون بمرأى من الناس ظاهر لا يحتاج إلى أمارة عليه، ورياءه فعمله حيث لا يراه أحد أمر خفي لا يعرف إلا بالأمارات والعلامات؛ بل هو أنفى من دبيب النمل، ومن أماراته أن يلتمس بقلبه توقير الناس له وتعظيمه، وتقديمه في المحافل والمجالس، ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه، وإذا قصر أحد في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستنكره، ويجد تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره وإهانته، وإهانة غيره حتى وبما يظهر بعض سخفاء العقول ذلك على ألسنتهم فيتوعدون من قصر في حقهم بمعاملة الله بالعقوبة، وأن الله تعالى لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ بشأنهم، وإذا وجد العبد هذه الأمارات في نفسه فليعلم أنه يرائي بعمله، وإن أخفاه عن أعين الناس، انتهى.

يظهر بتقسيمه إلى هذين القسمين؛ لأنه مخالفة بين الفريقين السابقين.

وقال ابن عباد: وأيضًا لا يسلم من الرياء الجلي والخفي إلا العارفون الموحدون؛ لأن الله تعالى طهرهم من حقائق الشرك، وغيب عن نظرهم رؤية الحق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة، فلم يرجو منهم حصول معرفة، ولم يخافوا من قبلهم وجود حضرة فأعمالهم لا خالصة، وإن عملوها بين أظهر الناس وبمرأى منهم، ومن لم يحط بهذا وشاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مرائي بعمله، وإن عبد الله تعالى في قمة جبل لا يراه أحد ولا يسمع به، قال: وسمع مالك بن دينار - رضي الله تعالى عنه - امرأة وهي تقول له يا مرائي، فقال لها: يا هذه وجدت اسمي الذي أصله أهل البصرة، ثم رأيت في «الإحياء» ما ملخصه أن: الرياء الذي يتعلق

---

(1) رواه أحمد (428/5).

(2) رواه ابن أبي شيبة (67/6).

بالعبادة هو التدليس، وأما المتعلق به تعالى فهو أنه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله.

قال قتادة: إذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا إليه كيف يستهزئ بي.

ومثاله أن يقف بين يدي ملك وكان وقوفه لملاحظة جارية من جواريه، أو غلام من غلمانه فإن هذا استهزاء بالملك لهذا سماه رسول الله ﷺ الشرك الأصغر، ولو لم يكن في الرياء إلا أن يسجد ويركع لغير الله لكان فيه كفاية، ولو عظم غير الله بالسجود لكان كفرًا جليًا، إلا أن الرياء هو الكفر الخفي، قال: ولو وكله إليهم لكان ذلك أقل مكافأته له فإنهم عاجزون عن أنفسهم فكيف لغيرهم هذا في الدنيا؟ فكيف في يوم لا يجزي والد عن ولده؟ ثم قال: وهذا إذا لم يقصد الأجر فإن قصد الأجر والجميل جميعًا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي لا يناقض الإخلاص.

وقال ابن المسيب وابن الصامت: لا أجر فيه أصلاً، انتهى ملخصًا.

وهذا كله في الرياء الحقيقي، وهو رياء المريدين، وأما رياء العارفين الذي مطلوبهم الحفظ منه فهو الفعلة الحاصلة بروية، واستحسانه بشهوة بالرياء الحقيقي، ثم رأيت في شرح «الرسالة» ما يحسن إيراده أيضًا، وهو أن حقيقة الرياء التفات القلب في الطاعات إلى ثواب غير الله تعالى فمن الناس من يفعله ويدخل في عمله عليه فهذا غاية الفساد.

ومنهم من يدخل في عمله لله ويعرض له في أثنائه ما بين يديه فيبطل عمله، ومنهم من يبقي ما خطر له من التريد ويبقى مسرورًا باطلاع الناس عليه في أعماله، فهذا مختلف فيه، ومنهم من يسكن لعمله وإن كان صحيحًا تامًا ويستحسنه وينسى منة ربه عليه، ومنهم من يلتفت في وقت عبادته لربه تحسن عمله وإن رآه منة من ربه وسلم من العجب فهذان لا يبطلان عمله، ولهذا الاعتبار قيل رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، فإن إخلاص المريدين سلامتهم من أول مراتب الرياء المحرم، ورياء العارفين التفاتهم إلى عملهم ونظرهم إلى حسنه في حال عبادتهم، والمخالفة لأوامر الشرع، وارتكاب نواهيه.

[والشك] في الوحدانية أو غيرها مما يجب إثباته له تعالى أو نفيه عنه والمراد مطلق التردد، وفي الخبر أن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح أو الراحة والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط.

[والشرك الخفي]، وفي الحقيقة الرياء قال ﷺ: «والشهوة الخفية والرياء شرك»[1] رواه الطبراني، فأما على طريق القوم فالشرك عندهم جلي وخفي، فإذا وصل إلى العبد إحسان أحد من المخلوقين، فإن اعتقد أن ذلك منه ومن قبله كان ذلك شركًا جليًا يخرج معتقده عن دائرة الإسلام، وإن اعتقد أن ذلك منة استنادًا واعتمادًا على غير الله وسكونًا إلى سواه مع سلامة عقده كان ذلك شركًا خفيًا يخرج صاحبه عن حقيقة الإيمان ويدخله في أبواب النفاق، ويفسرون الشك والشرك أيضًا بنفاق القلب بالأسباب عند الغفلة عن السبب فيضيق الصدر عند الإحساس بالمكروه، ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء ظلمة الشك على القلب، والطهارة منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقذفه الحق تعالى في القلب فتطمئن بذلك النفس، وتسكن عند الشهوة والشدة والطيش.

وفي أخبار داود- عليه الصلاة والسلام: أن الله تعالى أوحى إليه يا داوود هل تدري متى أتولاهم؟ إذا طهروا قلوبهم من الشرك، ونزعوا من قلوبهم الشك.

[وهب لنا الإخلاص الذي لا يطلع عليه أحد غيرك] وذلك بأن تخفيه عن جميع خلقك من ملك وجن وإنس حتى عن أنفسنا بأن لا تشهد لنا خلاصًا، وهذا أخص من مطلق الإخلاص وهو إخلاص الخواص.

قال أبو يعقوب السوسي: من شهدوا في إخلاصهم الإخلاص آكام إخلاصهم إلى إخلاص.

وقال الجنيد ﷺ: الإخلاص سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميل.

قال الشيخ في شرح «الرسالة»: وهذه الحالة إنما يخص الله بها خواصه من أوليائه، انتهى.

وظاهر كلام الجنيد ﷺ: أنه لا يؤثر في إخلاص العبد شهوده له فيخالف ما سبق، عن أبي يعقوب: إلا أن يقال أن مراده بشهوده هو الوقوف معه واستحسانه والركون إليه بأن ذلك عندهم رياء! ولذا قال بعضهم: رياء العارفين أي بسكون

---

(1) رواه الحكيم في نوادر الأصول (4/151).

أنفسهم إلى أعمالهم أفضل من إخلاص المريدين أي خلوص أعمالهم من الرياء المحرم، وقد سبقت الإشارة إلى هذا في الكلام على الرياء، وأما مطلق الإخلاص فهي جميع الخواطر، وتجريد النية عن عوارضها وبعدها عن عوائقها، ويقال: هو سلامة العمل من الرياء والشوائب النفسية بحيث يكون لله وحده، ويقال: هو تصفية من ملاحظة المخلوقين، وسببه علم العبد باحتياجه إليه في العمل النافع له في دنياه وأخراه، وثمرته السلامة من العقاب والعذاب، ونيل علو الدرجات وحسن المآب، ودرجات ثلاث عليا ووسطى ودنيا.

العليا: أن يعمل العبد لله وحده امتثالا لأمره وقياما بحق عبوديته.

والوسطى: أن يعمل لثواب الآخرة.

والدنيا: أن يعمل للإكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها وهو شرط للقبول في كل عمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: 5].

وقال ﷺ: «اخلصوا أعمالكم، فإن الله لا يقبل إلا ما خلص له»[1] رواه الدارقطني، وإذا تجردت الطاعات عن العجب والرياء كانت خالصة له تعالى وكل منهما مفسد لهما قال ﷺ: يقول الله تعالى: «إن من عبادي المؤمنين من يسألني الباب من العبادة وأكفه ألا يدخله عجب فيفسده ذلك»[2].

وقال يوسف بن الحسين الرازي ﷺ: أغرس في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي، فكأنه ينبت فيه على كون آخر، يعني بعد كونه فيه على كون ينبت.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد والحكيم والترمذي وابن أبي حاتم عن أبي ثمامة قال: قال الحواريون لعيسى- عليه الصلاة والسلام- يا روح الله من المخلص منا؟ قال: الذي يعمل لله لا يحب أن يحمده الناس[3].

وأخرج ابن عساكر عن أبي إدريس قال: ما يبلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا

(1) رواه هناد في الزهد (844)، بتحقيقنا.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (6/4) .

(3) رواه ابن المبارك (ص34).

يحب أن يحمده الخلق بشيء من عمل الله ﷻ.

[واطلعنا على دسائس أنفسنا] جمع دسيسة فعيلة بمعنى مفعولة، وذلك لأن خفايا باطنة، وعللا كامنة لاتنبين إلا للعارفين، ولذلك قيل أنها المكروه الذي يولع في خفائه.

[ووفقنا في مخالفتها باتباع الحق]؛ لأنها قد تزين للعبد بعض الطاعات وترغبه في فعلها، لما لها فيه من الحظ الخفي الذي لا يطلع عليه أحد حتى لا يمكن مخالفة مرادها باتباع الحق الذي لا حظ لها فيه، إلا بمزيد عناية من الله سبحانه وتعالى تنبه العبد على دسيستها.

قال الشيخ أبو بكر الخفاف- رضي الله تعالى: سمعت بعض مشايخنا يقول عن أحمد بن أرقم البلخي قال: حدثتني نفسي بالخروج إلى استحباب الغزو، فقلت: سبحان الله إن الله تعالى يقول إن النفس لأمارة بالسوء، وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبدًا، ولكنها استوحشت فتريد لقاء الناس، وتتروح إليهم وتتسامع الناس بها فيتقبلونها بالتعظيم والبر والإكرام، فقلت لها: ألا أسألك العمران ولا أنزل على معرفة؟ فأجابت فأسأت الظن بها، فقلت: الله أصدق قولا، فقلت لها: أقاتل العدو حاسرًا فتكوني أول قتيل، فأجابت: وعدها مما أرادها به فأجابت إلى كل ذلك، قال: فقلت يا ربي نبهني لها، فإني متهم ولقولك نصدق، قالت: كأنها تقول لي إنك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك إياي، ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد، فإن قابلت فقلت: كانت قتلة واحدة فنجوت منك، ويتسامع الناس، فيقال: استشهد أحمد فيكون شرف لي، وذكر في الناس، قال: فقعدت ولم أخرج ذلك العام، انتهى.

وقال سهل بن عبد الله ﷺ: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى، وقال أبو عثمان: لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن لنفسه شيئًا، وإنما يرى عيوب نفسه من فهمها في جميع الأحوال.

واعلم أن ما يرد على الضمير إن كان من الملك فإلهام، أو من النفس فهاجس، أو من الشيطان فوسواس، أو من الحق تعالى فخاطر حق، وكل خاطر لا يشهد له ظاهر من الشرع فهو باطل، وإذا خطر لكل أمر مر به بالشرع فإن كان مأمورًا فبادر فإنه من الرحمن، وإن كان شهيا فاحذره، فإنه من الشيطان، وإن شككت فيه وأمسكت عنه حذرًا من الوقوع في المنهي.

قال عبد الله بن سهل ﷺ: ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى.

قال المصنف ﷺ: [وأخرج الشيطان من أنفسنا، واطرده عن قلوبنا كما أخرجته من حظيرة قدسك وطردته عن باب قربك، وآيسه منا كما آيسته من رحمتك، واقطع بيننا وبين كل قاطع يقطع بيننا وبينك، وقدسنا (أي طهرنا) من أوصاف بشرياتنا، وعافنا من كل علة، وطهرنا من كل دنس].

قال الشارح ﷺ: [وأخرج الشيطان من أنفسنا] بدوام ذكرك ولزوم مراقبتك قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1].

[واطرده عن قلوبنا] روى صاحب «الحصن الحصين» أنه ﷺ قال: «ما من آدمي إلا لقلبه بيتان في أحدهما الملك وفي الآخر الشيطان، فإن ذكر الله تعالى خنس، وإن لم يذكر الله تعالى وضع الشيطان منقاره في قلبه ووسوس له»[2] .

وروى الحكيم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «الشيطان ملتقم قلب ابن آدم فإذا ذكر الله خنس عنده، وإذا نسي الله التقم قلبه»[3] .

قوله: خنس أي تأخر أي خنس واستتر.

وقال الشمس الشامي في «المعراج» رحمه الله تعالى: قلت روى أبو عمرو بن عبد البر بسنده قولاً عن عمر بن عبد العزيز: أن رجلاً سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأري جسدًا ممهي يرى داخله من خارجه، ورأى الشيطان في صورة ضفدع عند كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة، وقد أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه فإذا ذكر الله تعالى العبد خنس.

وقال في بعض مؤلفاته: قوله ممهي أي أشبه المهى، وهو هنا البلور وقيل لبعضهم: أينام إبليس؟ فقال: لو نام لوجدنا راحة[4].

---

(1) رواه البخاري (717/2)، ومسلم (1712/4).

(2) لم أقف عليه هكذا.

(3) رواه ابن أبي شيبة (216/5).

(4) انظر: سبل الهدى والرشاد للشامي (50/2).

[كما أخرجته من حظيرة قد سكن القدس الطهارة] وحظيرة القدس هي الجنة لأنها الموضع المطهر من الأدناس التي تكون في الدنيا. [وكما طردته عن باب قربك] أي: أخرجه لهذا الإخراج واطرده لهذا الطرد. [وآيسه منا كما آيسته من رحمتك].

عن ابن عباس ﷺ: أن إبليس إنما سمي إبليس؛ لأن الله تعالى أبلسه من الخير كله وآيسه منه. [واقطع بيننا وبين كل قاطع يقطع بيننا وبينك] يقال قطعه كمنعه قطعا أمانة والنهر قطعًا غيره أو شقه.

[وقدسنا (أي طهرنا) من أوصاف بشريتنا] المكدرة المذمومة كالعجب والكبر وما ذكر معهما، فيما تقدم بالتخلي منها، والتحلي بأضدادها من الأوصاف الجميلة المزكية لنفوسنا، كالتواضع والقناعة والتقوى والإخلاص.

[وعافنا من كل علة] أي: مرض ظاهر أو باطن ممرض للقلوب أو الأبدان، وهو حقيقة فيما يعرض للبدن، ومجاز في الأعراف النفسانية التي تحلى بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي؛ لأنها مانعة عن نيل الفضائل، أو مؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية. [وطهرنا من كل دنس] يدنس ظواهرنا وبواطننا ومن أدعيته ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها»[1].

وقال صاحب «الحكم الفارقية»: النفس الزكية زينتها نزاهتها، وعافيتها عفتها، وطهارتها ركوعها، وغناها ثقتها بمولاها، وعلمها بأنه لا ينساها.

قال المصنف ﷺ: [اللهم ارزقنا رزقا طيبًا من عندك ويسره لنا بغير تعب، ولا حساب عليه في الدنيا والآخرة ولا فكرة ولا مراكنة أحد من المخلوقات بسببه، وأرح أبداننا وقلوبنا من الشغل به بوسع عطائك، وأيدنا بنور اليقين والتوكل عليك، وخلصنا واستخلصنا من شوائب الأغيار، وقربنا والقرب منا، وهب لنا القناعة والصبر والرضا عند المنع والشكر والثناء والتواضع عند البسط، وأخرج حب الرئاسة من رؤوسنا].

قال الشارح ﷺ: [اللهم ارزقنا رزقًا] هو ما ساقه الله تعالى إلى الحيوان مما

(1) رواه مسلم (2088/4).

ينتفع به، ولما أن كان الحرام رزق عند أهل السنة قيد ﷺ الرزق المطلوب بقوله [طيبا] هو في الأصل المستلذ والمراد به الحلال. [من عندك] أي من علمك واصلا إلينا بعلمك فلا رازق إلا أنت وحدك، [ويسره لنا بغير تعب] في «القاموس» تعب كفرح ضد استراح وأتعبه وهو تعب ومتعب لا متعوب.

[ولا حساب عليه] قال إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

[في الدنيا والآخرة] يحتمل أن يعود الأول منهما إلى نفي التعب، والثاني إلى نفي الحساب، أي: بلا تعب عليه في الدنيا ولا حسنات عليه في الآخرة، ويحتمل أن يعود على كل منهما، ونفي الحساب على هذا يحتمل أن يريد به طلب نفي المناقشة فيه بأن يكون حسابا يسيرا، وفسره النبي ﷺ بأن ينظر في كتابه ويجاوز عنه، ويحتمل أن يريد بهذا المطلوب أن يكون من جملة من يدخل الجنة بغير حساب، لا على زرق ولا على غيره، وقد تقدم في «حديث الصحيحين»: أنهم سبعون ألفا، وفي رواية الترمذي أن: «مع كل ألف سبعين ألفا»[1] وقد قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:10] إن الصابر يؤتى أجره ولا يحاسب عن نعيم، ولا يتابع بذنوب، ويكون من جملة الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ولا شك أن العارفين بالله تعالى من أجل الصابرين.

وقال في «الإحياء»: من أراد أن يدخل الجنة بغير حساب، فيستغرق أوقاته في التلاوة والذكر والتفكر في حسن المآب.

وقال أيضًا: ما حاصله أن من تاب، وحاسب نفسه، وتدارك ما فرط من تقصير في فرائض الله، ورد المظالم حبة، حبة حتى لم يبق عليه فريضة ولا مظلمة دخل الجنة بغير حساب إن شاء الله تعالى.

وقال ابن أبي جمرة ﷺ في قوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: هو الفتوح إذا كان على وجهة، انتهى.

والفتوح واحد الفتوحات وهي عندهم ما يعطاه الإنسان من المطاعم والملابس وغير ذلك، أخذوا هذه التسمية من قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ [فاطر:2].

---

(1) تقدم تخريجه.

[ولا فكرة] تأنيث الفكر وهو ترتيب أمور أي تفكر في طريق، وحصوله وأسباب تحصيله، وتخيل في حصولها، وتدبير شأنه وأما الفكرة فمن تفاصيل أفعاله تعالى وانفراده بها عن جميع المخلوقات فإنها مطلوبة وممدوحة قال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:191] أي: لا تستعمل فكرتنا في أمر الرزق بل في مصنوعاتك وعجائب مخلوقاتك وآياتك عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «بينما رجل مستلق ينظر إلى النجوم وإلى السماء فقال والله إني لأعلم أن لك خالقًا وربًا اللهم اغفر لي فنظر الله إليه فغفر له»[1].

وعن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب ﷺ يقولون إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان بالتفكر، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة»[2] .

وقال ابن عطاء الله: الفكرة سراج القلب، وإذا ذهبت فلا إضاءة له.

وقال الإمام القشيري ﷺ: التفكر نعمة كل طالب وثمرته الوصول بشرط العلم، فإذا سلم الفكر من الشوائب ورد صاحبه مناهل التحقيق، ثم فكر الزاهدين في فناء الدنيا، وقلة وفائها لطلابها، فيزدادون نشاطًا عليه ورغبة فيه، وفكر العارفين في الآلاء والنعماء فيزدادون محبة في الحق سبحانه.

وقال الجنيد ﷺ: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد، وقد اختلف أيهما أفضل الذكر أو الفكر، فقالت طائفة: الذكر أفضل.

وقالت طائفة: الفكر أفضل.

قال الفخر الرازي في «شرح الأسماء الحسنى» بعد أن ذكر حجج كل من الطائفتين: فهذه المبالغة العظيمة واردة في كتاب الله تعالى في تعظيم حال الذكر وما رأينا مثلها في الفكر وحكمنا أن الذكر أفضل من الفكر وبالله التوفيق.

[ولا مراكنة أحد] المراكنة مفاعلة من الركون وهو السكون إلى الشيء والرضا به وهو المراد هنا من المخلوقات بسببه أي بسبب تحصيله.

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (3/334).

(2) رواه أبو الشيخ في العظمة (1/300).

قال القشيري ﷺ: سمعت الشيخ أبا عليّ يقول من علامة المعرفة أن لا تسأل حوائجك قلت أو كثرت إلا من الله مثل موسى اشتاق إلى الرؤية فقال: رب أرني أنظر إليك واحتاج مرة إلى رغيف، فقال: رب إني لما أنزلت إلى من خير فقير، ويقرب من هذا الدعاء ما حكاه أبو عبد الله القسطلاني: أنه رأى النبي ﷺ في النوم فشكى إليه الفقر، فقال له: «قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وهب لنا اللهم من رزقك الحلال الطيب المبارك ما نصون به وجوهنا عن التعرض إلى أحد من خلقك، واجعل لنا اللهم إليه طريقا سهلا من غير تعب، ولا نصب ولا منة ولا تبعة وجنبنا اللهم الحرام حيث كان وأين كان، وعند من كان، وحل بيننا وبين أهله، واقبض عنا أيديهم، واصرف عنا قلوبهم حتى لا تنقلب إلا فيما يرضيك، ولا نستعين بنعمتك إلا على ما تحب يا أرحم الراحمين» نقله عنه الحافظ السخاوي.

[وأرح أبداننا وقلوبنا من الشغل به بوسع عطائك الخارج] بسبب عطائك الواسع أبداننا من الشغل بتعاطي أسباب الرزق، وقلوبنا من الشغل بتدبير تحصيله.

[وأيدنا بنور اليقين] بما نصير به على بصيرة من الأمور بحيث يصير فيه المعلوم مشاهدا، أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية، وامتناع العلائق الطبيعية.

قال بعضهم: أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نورًا، واليقين أعلى مراتب العلم.

وقال ابن عطاء الله: نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن الغيوب، قال ابن نور اليقين: هو المستودع يستمد ويتزايد ضيائه في النور الوارد من خزائن الغيوب، وهو نور الأوصاف الأزلية، كما ذكر الشيخ أبو العباس المرسي، ثم قال والنور المستودع في القلوب يكشف لديه عن أوصافه الأزلية حتى يراها عيانا، وفي هذا غاية بغيتك، وبه شرف قدرك ومنزلته إذ بذلك يتحقق في المعرفة وترتفع في المشاهدة، ولا يحتاج إلى دليل بذلك.

[وبالتوكل عليك] وقد تقدم معناه وسئل أبو تراب عن التوكل، فقال الله الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم. [وخلصنا] من عبودية الدنيا والهوى.

[واستخلصنا من شوائب الأغيار] أي: اجعلنا خالصين لك لا شركة لأحد من خلقك فينا، ولا في أعمالنا بمراءاة، أو تصنع أو غير ذلك، وقربنا إليك بالمكانة لا المكان. [واقرب منا] بالإجابة والقبول.

قال في «لطائف المنن» قال الشيخ أبو الحسن: حقيقة القرب أن يغيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك، فلا يزال يدعو كلما دنا منها تزايد ريحها، فلما دخل البيت الذي هو فيه انقطعت رائحته عنه.

[وهب لنا القناعة] قال الشيخ في شرح «الرسالة»: هي الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرها، وثمرتها في الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب، وفي الآخرة السلامة من طول الحساب وهي أول منازل الرضا، وهل هي التعفف والاستغناء بالبلغة، وقيل في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: 97] أنها القناعة وقال ﷺ: «عليكم بالقناعة فإن القناعة مالٌ لا ينفد»[1] رواه الطبراني.

وروي عنه ﷺ أنه قال: «قد أفلح من أسلم وكان قوته حلالاً وقنعه الله»[2].

وقال ذو النون ﷺ: من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه.

[والصبر] هو حبس النفس عند الآلام والمؤذيات، ويقال: حبس النفس على كريه تتحمله، أو لذيذ تفارقه مشتق من الأبصار، وهو الغرض للسهام؛ ولذلك الصابر ينصب نفسه غرضا للسهام القضاء، فإن ثبت لها فهو صابر، وقيل: الصبر ثبات القلب بين يدي الرب، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة:24] وقيل في معناه لما أخذوا برأس الأمر جعلناهم ووفقناهم.

وقال سيدنا عليّ ﷺ: الصبر مطية لا تكبو.

[والرضا] هو لغة المراقبة أو القبول للأمر بسهولة.

واصطلاحًا: ترك الاختيار، ويقال غير ذلك، وسببه تفكر العبد في تفاصيل منن الله تعالى عليه، وما خصه به من غير عمل منه، وثمرته عدم الاعتراض على شيء من المقدور والسلامة من كراهيته، فلا يتمنى أنه لم يقع وكذا زواله بعد وقوعه وهو أعلى مقامات الصبر، ثم هو بالحاصل لا يمنع الدعاء بما لم يقع من الخيرات إذ الدعاء بالممكن لا يمنع الرضا بالحاصل، فإن زال ضمنا كان زواله ضمنا غير مقصود.

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط (7114).

(2) لم أقف عليه.

وقال الثوري: وقبل ذي القول هو سرور القلب بمر القضاء قال تعالى: ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:119].

وقال ﷺ: «من سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه ومن شقاوته سخطه بما قضاه الله»[1] وروى ابن المبارك بسنده أن النبي ﷺ قال: «إذا أراد الله بعبد خيرًا أرضاه بما قسم له وبارك له فيه، وإذا لم يرد به خيرا لم يرضه بما قسم ولم يبارك له فيه»[2].

وقال ابن أبي جمرة رضي الله عنه قال: أهل التوفيق من لم يرض باليسير فهو أسير.

وقال رضي الله عنه: فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمة، فإذا كفر عبد هذه النعمة بأن فتح على نفسه بابا من الهوى، وانجر في قياد الشهوات شوش الله عليه نعمة قلبه.

وقال في «التنوير» في قوله تعالى: ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: 28] أي: راضية عن الله في الدنيا بأحكامه ومرضية في الآخرة بجوده وأفعاله، وفي ذلك إشارة للعبد أنه لا يحصل له أن يكون مرضيا عنه الله في الآخرة حتى يكون راضيا عن الله في الدنيا، انتهى.

وقال سري السقطي رضي الله عنه: إذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تطلب منه أن يرضى عنك، واختلف في الرضا هل هو من المقامات، وهو ما يتوصل إليها بالاكتساب، أو من الأحوال وهي نازلة تحل بالقلب كالنوازل القهرية، كالرعدة بالحمى، فقال الخراسانيون: بالأول، والعراقيون: بالثاني، وجمع القشيري بينهما بأن بدايته من الأولى ونهايته من الثانية، وقوله [عند المنع] أي: التنقير بمعنى التقتير الذي هو التضييق المناقض للبسط والاتساع، وهو متعلق بكل من المقامات الثلاثة قبله. [والشكر] هو لغة فعل ينبئ عن تعظيم المنع من حيث أنه منعم على الشاكر أو غيره، سواء كان باللسان أم بالجنان أم بالأركان، واصطلاحا صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه إلى ما خلق لأجله، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:13]، وقال

(1) رواه الشاشي في مسنده (224/1)، والبيهقي في الآداب (60/3).

(2) رواه ابن المبارك في الزهد (ص36).

تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7].

وكان ﷺ يصلي حتى تورمت قدماه فقيل له: «أتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: أفلا أكون عبدا شكورًا»[1].

قال الجنيد: الشكر أن لا ترى نفسك أهلا للنعمة، ويقال: الشاكر هو الذي يشكر على الرفد والشكور الذي يشكر على الود، وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:5] نعم والله العبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر، وقال الشيخ: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصفه الآخر، واليقين الإيمان كله.

وقال أبو عثمان: شكر العامة يكون على المطعم والملبس، وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني، ويقال: الشكر ثلاثة: شكر العالمين بقول من جملة أقوالهم، وشكر هو نعت العابدين يكون نوعا من أفعالهم، وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم.

[والثناء] هو الذكر بخير [والتواضع] هو ضد الكبر وقيل هو الاستسلام للحق، وترك الاعتراض على الحكم، وقال الجنيد: هو خفض الجناح، ولين الجانب، واتصاف العبد حقيقة لا ظاهرا فقط بانتفاء الرفعة والكبر.

وقال الفضيل ﷺ وقد سئل عن التواضع فقال: هو أن يخشع للحق وينقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته منه، ولو سمعته من أجهل الناس قبلته.

وقال ابن المبارك ﷺ: التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لديه بمال عليه فضلاً، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضلاً.

وقال الجنيد: التواضع عند أهل التوحيد تكبر.

قال في «الإحياء»: ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها، والموحد لا يثبت نفسه، ولا يراها شيئًا حتى يضعها، أو يرفعها.

وقال ابن عطاء الله ﷺ: التواضع الحقيقي ما كان ناشئًا عن شهود عظمته، وتجلي حقيقته.

(1) رواه البخاري (1/380)، ومسلم (1/185).

وقال صاحب «عوارف المعارف»: واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه، فعند ذلك تذوب النفس وفي ذوبانها صفاها عن غش الكبر والعجب، فتلين وتنطبع للحق، والحق لمحو آثارها، وسكون وهجها وغبارها.

قال ﷺ: «إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد»[1] رواه مسلم.

وقال ﷺ: «من تواضع رفعه ومن تكبر وضعه الله»[2].

وقال ﷺ: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله»[3].

وقوله [عند البسط] [4] أي: للرزق متعلق بكل من الثلاثة قبله أيضًا، قال الله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الرعد:26].

وهذا المطلوب من آداب الله تعالى لأوليائه فلا يضطروا عند التضييق عليهم، ولا يعتريهم البطر عند حصول النعمة.

قال المحاسبي ﷺ: قلت لشيخنا من أين وقع الاضطراب في القلوب، وقد جاءها الضمان من الله ﷻ قال: من وجهين أحدهما قلة المعرفة بحسن الظن عن الله ﷻ، والوجه الثاني أن يعارضها خوف الفوت فيستحب النفس للداعي، ويضعف اليقين، ويعدم الصبر، فيظهر الجزع قلت شيء غير هذا، قال: نعم إن الله ﷻ وعد الأرزاق، وضمن وغيب الأوقات ليختبر أهل العقول، ولولا ذلك لكان كل المؤمنين راضين صابرين متوكلين لكن الله ﷻ أعلمهم أنه رازقهم، وحلف لهم على ذلك، وغيب عنهم أوقات العطاء فمن هاهنا عرف الخاص من العام، وتفاوت العباد في الصبر والرضا واليقين والتوكل والسكون، فمنهم كما علمت ساكن، ومنهم متحرك، ومنهم

---

(1) رواه مسلم (2198/4).

(2) رواه ابن أبي شيبة (120/7).

(3) رواه ابن شاهين في فضائل الأعمال (237).

(4) قال في الفتوحات المكية: «هو عندنا حال من يسع الأشياء ولا يسعه شيء»، وقيل: «هو حال الرجاء». وقيل: «هو وارد موجبه إشارة إلى قبول ورحمة وأنس»، والقبض ضد البسط.

راضٍ، ومنهم ساخط، ومنهم جزع فعلى قدر ما تفاوتوا في اليقين، تفاوتوا في السكون والرضا والصبر والتوكل.

وقال ابن عطاء الله ﷺ في الحكم: متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء، وإذا منعت قبضك المنع، فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك، وعدم صدقك في عبوديتك.

قال أبو عباد في شرحه لذلك: القبض[1] عند المنع والبسط عند العطاء من علامات نقاء الحظ والعمل على نيله، وهو مناقض للعبودية وأنه طفيلي بين أهل الله تعالى في ادعائه نقائهم وهو لم يؤهل له.

وقال النوري ﷺ: نعت الصوفي السكون عند العدم والإيثار عند الوجود، وفيه مع ذلك إشارة إلى القبض والبسط عنهم قال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: 245]، وهما حالتان بعد الترقي عن حالتي الخوف والرجاء، فقبض العارف بمنزلة خوف المريد وبسطه بمنزلة الرجاء للمريد، إلا أن الخوف من ضرر يخشى في الأجل، والرجاء تأميل حصول محبوب في الأجل أيضًا، والقبض والبسط لأمر يحصل في العاجل، وقد يعرف بسببها وقد يشكل، والله تعالى يقبض ويبسط في كل من الأخلاق والأرزاق والأشباح والأرواح، فإذا قبض فلا طاقة وإذا بسط فلا فاقة.

[واخرج حب الرئاسة من رؤوسنا] قال في «الإحياء»: قيل آخر ما يخرج من

(1) يطلق على معان: فمنها: أنهم عنوا بالقبض وارداً يرد على القلب، مما يوجب إشارة إلى عتاب أو تأديب، فيحصل في القلب لا محالة قبض لذلك. وقيل: القبض، أخذ وارد القلب مثل أن يكون الوارد مما يوجب الإشارة إلى تقريب أو إقبال بنوع لطف وترحيب، فإذا حصل للقلب انبساط بسبب ذلك أعقبه وارد بخلافه، فيسلب ذلك الوارد، ويبدل الإشارة إلى التقريب بضده من التبعيد والإقبال بضده من الإدبار، ويحصل القبض لا محالة، وهذا إنما يقع في الكثرة لعدم مراعاة الأدب، ولهذا قالوا: «قف على البساط وإياك والانبساط»، وقال: «فتح باب من البسط فزللت فحجبت عن مقامي». وقد استعاذ بعضهم من القبض والبسط لكونهما بالإضافة إلى ما فوقهما من استهلاك العبد واندراجه في الحقيقة نفعاً وضراً. وقيل: إن القبض حال الخوف في الوقت. وقد عرفت أن الخوف ما يحذر من المكروه في المستأنف، فالفرق بين الخوف والقبض هو إن الخوف إنما يتعلق بما يتوقع وروده من المكروه في المستأنف. والقبض: لمكروه حاصل في الوقت. وكذا الرجاء: هو ما يتوقع من السرور في المستقبل. والبسط: بحصوله في الوقت. وصاحب الخوف والرجاء: يتعلق قلبه في حالتيه بأجله.

رؤوس الصديقين حب الرئاسة.

وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح أبدًا.

قال المصنف ﷺ: [واجمعنا في مقعد صدق في حظيرة مملكة قدرتك، وغذنا بلطائف أنوارك، وذكرنا إذا نسينا، واذكرنا إذا ذكرنا، وعلمنا إذا جهلنا، وفهمنا إذا علمنا، وقربنا إذا بعدنا، واقرب منا إذا قربتنا، وهب لنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأرنا وجه نبينا محمد ﷺ حالا ومآلا ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:23]، رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين].

قال الشارح ﷺ: [واجمعنا في مقعد صدق]، قال الثعلبي: أي في مجلس حسن لا لغو فيه ولا تأثيم وهو الجنة، وعبارة البغوي: مجلس حق، قال الصادق: منع الله تعالى المكان بالصدق فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق. **[في حظيرة مملكة قدرتك]** تقدم تفسير الحظيرة، وأن المراد بها هاهنا الجنة فالمعنى هنا في جنة داخل جنة أو في جملة جنان، قال المحاسبي: وإذا أخذ أهل الجنة مجالسهم واطمأنوا في مقعد الصدق الذي وعده الله لهم فهم في القرب من مولاهم سبحانه على قدر منازلهم عنده، وقدرة الله ﷻ عبارة عن كفي العجز عنه، والقادر هو الذي إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل، والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء، ولذلك قل ما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة من القدر؛ لأن القادر يرفع العمل على مقدار قوته، أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته.

[وغذنا بلطائف أنوارك] سئل الواسطي: كيف يتغذى الولي في بدايته؟ بعبادته، وفي كهولته؟ بستره بلطافته، ثم يجذبه إلى ما سبق له من نعوته وصفاته ثم يذيقه قيامه به في أزمانه، وأشرف غذائه في الآخر أيضًا النعيم الروحاني.

قال الحسن في قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة:72]، وصل إلى قلوبهم برضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألذ عندهم، وأقر لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة.

قال الفخر الرازي: وإنما كان الرضوان أكبر لأنه عند العارفين نعيم روحاني، وهو أشرف من النعيم الجسماني، انتهى.

وقال سهل ﷺ: الغذاء هو الذكر، وقيل: إن السماع لطف غذاء الأرواح لأهل المعرفة؛ أي أن أرواحهم تقوى وتعيش بالمعاني اللطيفة التي تفهم من السماع ويقوى بها وحدها وطلبها وقدوم أنسها بمحبوبها، ويظهر عليها شرتها.

[وذكرنا إذا نسينا] قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: 19] أي: لا تنس قلوبنا ذكرك. [واذكرنا إذا ذكرنا] كما وعدتنا قال ﷺ فيما يحكيه عن ربه: «من ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»(1)

[وعلمنا إذا جهلنا] ما يطلب منا علمه والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا، قال الخواص: ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن، وإن كان قليل العلم رحيما إذا تقدم معنى الفهم لغة، ويطلق أيضًا على العلم، وقيل هو سرعة الإدراك علمتنا لننتفع بما تعلمناه قال ﷺ: «من يرد الله يهديه»(2) يفهمه.

[وقربنا بالمكانة] لا بالمكان والمسافة؛ لأن ذلك من لواحق الأجسام والله تعالى منزه عنه بل بملازمة الموافقة للأمر والنهي إذا بدأنا في ذلك، وأقرب منا بالإجابة والقبول ودوام التوفيق وتوالي النعم إذا قربتنا بما ذكر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: 186]، وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ [الواقعة: 85]، وقال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] وحظ العبد من ذلك إنما هو مشاهدته لقربه فقط فيستفيد بهذه المشاهدة شدة المراقبة، وغلبة البينة والتأدب بآداب الحضرة، ولا يليق بالعبد إلا وصف البعد وشهوده من نفسه، كما قال ابن عطاء الله: «إلهي ما أقربك مني، وما أبعدني عنك»(3).

---

(1) رواه البخاري (6/2694).

(2) لم أقف عليه هكذا، والذي في البخاري (1/37) بلفظ: «يفقه في الدين».

(3) قال الشيخ ابن عجيبة: قرب الحق من العبد قرب رحمة واجتباء، وتقريب واصطفاء، هذا في حق الخواص، وفي حق العوام هو قرب إحاطة وقدرة، وعلم ومشيئة وتصريف وقهرية، والمراد هنا هو الأول، فإن بعد العبد من ربه إنما هو بسوء أدبه، وإلا فالحق تعالى قريب من كل شيء، محيط بكل شيء، ليس شيء أقرب إليه من شيء، ولا شيء أبعد عليه من شيء، =

[وهب لنا ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر] قال ﷺ: قال الله ﷻ «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر

وما يعد العبد من ربه إلا وهمه وسوء فعله، ولذلك قال الشيخ تواضعاً وأدباً: إلهي ما أقربك مني بلطفك ورأفتك وعلمك وإحاطتك، وما أبعدني عنك بوهمي وسوء أدبي، أو ما أقربك مني بأوصاف الربوبية، وما أبعدني عنك بأوصاف العبودية، فأوصاف الربوبية رفيعة القدر عظيمة الشأن، وأوصاف العبودية خسيسة القدر دنيئة المقدار، فلا مناسبة بينهما في القدر مع تلازمهما في المحل، بتحقيق الوحدة فيهما، متلازمان في القيام، متضادان في الأحكام، والرأفة شدة الرحمة والعطف، وذلك يقتضي شدة القرب والوصال، وينفي وجود السوية والانفصال وهو الحجاب، ولذلك تعجب الشيخ من وجود الحجاب بينه وبين مولاه مع شدة رحمته له وحباه، إذ من تعطف عليك وآواك لا يمكن أن تلتفت عنه إلى سواه. وفي الحكمة مكتوب: يا عبدي قد أسجدت لك الكون بما فيه الملك وأملاكه، والملكوت وأملاكه ،فأنت أنا بما أيدتك وأنا أنت بما قلدتك، فعش للأبد، فمقامك لا يزاحمك فيه أحد. يا عبدي خرقت لك الحجاب، وفتحت لك الباب، وأظهرت لك الأمر العجاب، فأبلغ قومك اللباب، ولو قالوا ساحراً أو كذاب، فأنا قد وهبتك الأخلاق فدعهم يقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾ [ص: 7]، يا عبدي قد جعلتك تقول للشيء كن فيكون، وما عليك أن قالوا ساحر أو مجنون أنت تشرب من رحيق الكوثر، وهم يقولون: ﴿إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر:24]، عرجت بسرك إلى السماء، وعلمتك خصائص الأسماء، فأنت أمين خزائن التحقيق الدال لجميع الخلق على الطريق. يا عبدي من طعن في الوزير وسفه أمره، فقد رد أمر الأمير وجهل قدره، ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:80] انتهى.

فالله تعالى بجوده وفضله إذا اصطفى عبدًا من عباده قربه بفضله، واجتباه لحضرة قدسه، وصفاه من كثائف طبعه، وحمى شخصه من رعونات نفسه، فيصير من أهل قربه، قد ارتفع الحجاب عن عين قلبه، فزجت روحه في بحار الأحدية، وغاب سره في سبحات الألوهية، فإن كان ممن أريد الاقتداء به رد إلى شهود سر وجوده، وقد كحلت عين قلبه بسر الحقيقة، وكسيت ذاته وجودًا معارًا عليها، وهو وجود الحق المفاض على جميع الممكنات، فيرى ذاته المتوهمة: ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ [النور:39]. هنالك يصير العبد بالله ولله، أمره بأمر الله حيث لم يبق فيه شائبة لسواه، ولا شيء يحجبه عن الله، فهذا الذي أحبه مولاه، واصطفاه لحضرة قدسه، واجتباه لمناجاته وأنسه، فكان سمعه وبصره وناصره وحافظة في متقلبه ومثواه، هناك يصير عارف به في كل حال، وخصوصاً عند اختلاف الأحوال. [إيقاظ الهمم رقم 412].

على قلب بشر»[1] قال أبو هريرة واقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة:17]، وقد يعامل الله تعالى بعض أوليائه في الدنيا ببعض معاملاته في الآخرة، وعلى أن يرجع قوله فيما بعد حالا ومآلا إلى هذا أيضًا. [وأرنا وجه نبينا محمد] بمعنى محمود سماه به جده عبد المطلب بإلهام من الله ﷺ فقيل له: لم سميته بذلك ولم يكن من أسماء آبائك، فقال: رجوت أن يحمد في السماء والأرض، فحقق الله تعالى رجاه.

قال حسان رضي الله تعالى عنه:

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وذاك محمد ﷺ

[حالا] أي: في الدنيا. [ومآلا] في الآخرة، أو حالا في حال نطقه بذلك ومآلا فيما بعدها، وأشار بهذه الجملة إلى الرؤية، وحقيقتها أن يخلق الله في قلب النائم، أو في حواسه الأشياء كما يخلقها في اليقظان، قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:64]، فقيل هي الرؤية الحسنة يراها المؤمن أو ترى له.

وقال ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني حقًا فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي»[2] ورؤيته ﷺ في الدنيا جائزة وواقعة يقظة و منامًا، وقد وقع ذلك يقظةً لكثير من الأولياء- رضي الله تعالى عنهم- ومنهم سيدي علي وفا ولد المقر- رضي الله تعالى عنهما- ونفعنا الله بهما فقد حكي الجلال السيوطي عن ابن فارس أنه قال تركنا به «المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية»[3] ، قال: سمعت سيدي علي- رضي الله تعالى عنه- يقول كنت وأنا ابن خمس سنين أقرأ على رجل يقال له الشيخ يعقوب، فأتيته يومًا فرأيت النبي ﷺ يقظة لا منامًا، وعليه قميص قطن، ثم رأيت القميص عليّ فلما بلغت إحدى وعشرين سنة أحرمت لصلاة الصبح، فرأيت النبي ﷺ قبالة وجهي فعانقني، وقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11]، فأوتيت لسانه من ذلك الوقت، انتهى.

---

(1) رواه البخاري (1185/3)، ومسلم (2174/4).

(2) رواه البخاري (52/1).

(3) طبع في مقدمة المسامع لسيدي علي وفا ﷺ (بتحقيقنا).

وقال ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»[1] رواه الشيخان: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23] هذا بالنظر لما في الكتاب العزيز اعتراف من ابن آدم وحواء- عليهما الصلاة والسلام- وطلب التوبة والستر والتغمد والرحمة، فطلب آدم هذا فأجيب، وطلب إبليس النظرة ولم يطلب التوبة فوكل إلى سواريه، وقال الضحاك وغيره إن هذه الآية هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ﴿رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: 118].

قال المصنف ﷺ: [لبيك اللهم ربي وسعديك، صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ما سبح لك من شيء يا رب العالمين، على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين، الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا].

قال الشارح ﷺ: [لبيك اللهم] أي: إجابة بعد إجابة، وقيل قربا منك وطاعة لك، وقيل: أنا مقيم على طاعتك محبتي لك.

[وسعديك] ساعدت طاعتك يا رب مساعدة بعد مساعدة، والإسعاد في كل شيء هو المعونة والمساعدة الموافقة، يقال: هي مأخوذة من وضع الإنسان يده على ساعد صاحبه إذا ماشاه في حاجته، وقيل: معنى سعديك وسعادتك أي: قمة سعدك، والسعد الحظ الموافق، واللفظان مختصان بالإضافة إلى الضمير والمقصود من تثنيتهما التكبير.

[صلوات] جمع صلاة، وهي من الله تعالى رحمة مقرونة بتعظيم ومن الملائكة استغفار ومن الآدمي والجني تضرع، ودعاء الله الذات العلية الذي أطلق عليه هذا الاسم الشريف [البر] المحسن، وقيل خالق البر، وقال المشايخ: البر هو الذي من على المريدين بكشف طريقه وعلى العابدين بفضله وتوفيقه، وقيل الذي من على السائلين بحسن عطائه وعلى العابدين بجميل جزائه. [الرحيم] من كثرت منه الرحمة وهو

(1) في البخاري (2567/6)، ومسلم (1775/4).

مختص بالمؤمنين لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: 43].

[والملائكة المقربين] من كرامة الله تعلى وهم حملة العرش [والنبيين] المرسلين وغيرهم. [والصديقين] أي: المبالغين في الصدق والتصديق وهم أفاضل أصحاب الأنبياء. [والشهداء] وهو في الدنيا والآخرة من قتل في سبيل الله لإعلاء دينه سمي شهيدا؛ لأن روحه شهدت دار السلام، وقيل لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، وقيل غير ذلك. [والصالحين] غير من ذكر جمع صالح وهو القائم بحدود الله وحقوق العباد. [ما سبح لك من شيء] ما مصدرية ظرفية ومن مزيدة للتأكيد. [يا رب العالمين] مالك المخلوقات. [على سيدنا محمد خاتم النبيين] قال تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب:40]. [وسيد المرسلين] قال ﷺ: «أنا سيد الناس» وقد تقدم.

[وإمام المتقين] هو المقتدى به في الخير المتقون هم الذين يتقون الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه فالتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه كما في بداية الهداية وهو قريب من قول بعضهم هي التوقي من عذاب الله بعبادته، وقول بعض آخرين: اسم جامع للطاعات، وقال آخرون: هي أن تجعل بينك وبين المعاصي حاجزا، وكلها متقاربة كما مر وهي من الوقاية، قال الغزالي: التقوى في القرآن تطلق على ثلاثة أشياء:

الأول: وهي بمعنى الخشية والهيبة، قال الله ﷻ: ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41]، وقال سبحانه: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ﴾ [البقرة: 281].

والثاني: بمعنى الطاعة والعبادة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:102].

قال ابن عباس: أطيعوا الله حق طاعته، وقال مجاهد: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

والثالث: بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى دون الأولين؛ ألا ترى أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور:52] ذكر الطاعة والخشية، ثم ذكر التقوى، فعلمت أن

حقيقة التقوى بمعنى تقوى الطاعة، والخشية وهي تنزيه القلب من الذنوب، انتهى.

وقال البيضاوي: المتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن نفى نفسه عما يضره في الآخرة، وله ثلاث مراتب:

الأولى: التقوى عن العذاب المخلد بالتنزه من الشرك وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: 26].

والثانية: التجنب عن كل ما يوهم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم، وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ﴾ [الأعراف: 96].

الثالثة: أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: 102]، وقد فسر قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2]، فهو ﷺ إمامهم في جميع مراتبهم والمقدم عليهم في سائر مناقبهم، انتهى.

[رسول رب العالمين] الرسول إنسان أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي إنسان أوحي إليه بشرع، سواء أمر بتبليغه أم لا فهو أعم من الرسول، وهذه الألفاظ الأربعة من جملة أسمائه ﷺ كما في «الشفاء» وغيره [الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير] هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ [الأحزاب: 45]، والاقتباس هو أن يتضمن الكلام شيئًا من القرآن والحديث لا على أنه منه، ومثاله من القرآن في النثر قول الجريري: فلم يكن إلا كلمح البصر أو هو أقرب حتى أنشد وأضرب.

وروى الخطيب في تاريخه عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «أنزلت علي آية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [الأحزاب: 45] قال: شاهدًا على أمتك ومبشرًا بالجنة ونذيرًا من النار، وداعيًا إلى شهادة أن لا إله إلا الله بإذنه بأمره وسراجًا منيرًا بالقرآن» انتهى.

ومن إليك إلى قوله المنير قاله في «الشفاء»: أنه يروى عن علي ﷺ ما عدا قوله النبيين والصديقين.

وقوله «سيدنا» وفيه «ابن عبد الله» بعد قوله «محمد» [وعلى آله] هم مؤمنوا بني هاشم والمطلب، دون بني عمهم عبد نوفل وشمس.

[وصحبه] جمع صاحب من الصحبة بمعنى الصحابي، وهو كل مسلم لقي النبي ﷺ ولو لحظة في عالم الملك والملكوت، ومسلم بلفظ الماضي أو الدعاء قاله في «الشفاء»: ومن معنى.

[السلام] عليه ثلاث أوجه:أحدها: السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرًا كما للناذ واللذاذة.

والثاني: السلام على حفظك ورعايتك مسئول له وكفل به ويكون معناه السلام اسم الله.

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة والانقياد، كما قال: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً﴾ [النساء:65] وقوله[تسليما] مصدر مؤكد لعامل والله تعالى أعلم.

«اللهم يا من ابتدأ الأفعال، واخترع العالم على غير مثال، وانتهت إليه المصادر، وعم العامة وفضله أنوار دواء لصادر، وهو الأول والآخر، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، وهو الآخر يا من فتح أبواب الطريقة للمريدين وأرباب الخواطر، وأبواب المعرفة لأصحاب الحقيقة ذوي البصائر، أسألك اللهم بجمال وجهك وجلال سلطانك القديم، وأتوسل إليك بخيرتك من خلقك سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأشرف تسليم أن تتم على المنة بالوفاة على الكتاب والسنة، وأن تغفر لي ما جنيته على نفسي من الجرائم، وما حملته لمهامي لا أطيق عقابه من العظائم، وأن تدخلني في جملة من لا يحزنهم الفزع الأكبر، وأن تظلني تحت ظل عرشك يوم المحشر، وأن تجعلني من الفريق الناجي يوم الامتياز، فمن زحزح عن النار، وأدخل الجنة فقد فاز، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

جمعه الفقير المنكُس الحقير المذنب المقصر محمد تاج الدين بن أحمد الوسيمي

غفر الله ذنوبه وستر في الدارين عيوبه، بقرية شهور من أعمال قوص بالصعيد الأعلى، بتاريخ يوم الأحد مستهل شعبان المعظم سنة سبع وسبعين وتسعمائة، ثم إني لم أراجعه، ولم أنظر فيه إلى أن دخلت سنة ألف، فمررت عليه وحذفت منه بعض ألفاظ، وألحقت فيه زيادة مستحسنة، وقد اشتمل هذا التعليق على جواهر نفيسة من متفرقات كلامهم، ودرر ثمينة من غرائب إشاراتهم على أن ناقلها، وإن لم يدرك شيئًا من معانيها، ولم يعد في أهل الخبرة بنفاسة مبانيها، فقد استحق أجرة نقله، ولإيصاله بأمانته إلى أهله، وأما ما وقع في ظلاله من التصرف بما هو على صورة الشرح، وجرى من القلم كما قدر، وكان اللائق به الطرح، فإن صحَّ معناه بوجه، فذلك من فضل الله سبحانه وتعالى والآن المرجو من فضل الواقف عليه أن يضرب مكانه فكلامه ﷺ في غاية المتانة والسداد، وأن نفسر الوقوف على المراد، والله رءوف بالعباد في الدنيا وفي يوم التناد وصلى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من كتابته يوم الاثنين سنة 1155 هـ على يد كاتبه الفقير الفاني صقر [...] تابع بني الوفا قدس الله أسرارهم.

خصوصية الاصطفا لأهل الوفا

لسيدي علي وفا ابن سيدي محمد وفا
المتوفى سنة ٨٠٧ هـ

تحقيقه وتعليقه
الشيخ أحمد فريد المزيدي

١٣٢

[illegible] لأهل الوفا للإمام [illegible]

[illegible]

المحققين سيدي علي بن

سيدي محمد وفا [illegible]

[illegible] الشاذلي

[illegible]

١٣١

بسم الله الرحمن الرحيم يا مولاي يا واحد

[illegible] يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم

أما بعد فإن هذه رسالة تضمنت خصوصية الاصطفا
لأهل الوفا المضنون بها عن أهلها بل المبذولة لغير أهلها
عند من ليس من أهلها فإن أهلها يرون أن الخلق كلهم
أهلها وإنه أول ما يجب على الناظر في رسالتنا هذه
أن يتصبر لأول الكلام حتى يظهر له معناه فبذلك يحصل
له التنبيه واعلم أن الخلافة الحقيقية المحمدية هي
قطب الأمداد لأن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة
في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة وإن لكل منها
صورة [illegible] مسماة بالمظاهر والموجودات العينية وإن
تلك الأسماء أرباب تلك المظاهر وهي مربوبيها واعلم
أن للحقيقة المحمدية صورة الاسم الجامع الإلهي وهو ربها
ومنه الفيض والاستمداد على جميع الأسماء واعلم أن تلك
الحقيقة هي التي ترب صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها
الذي هو رب الأرباب لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر
كما ترفع صورتها الخارجية المناسبة لصورة العالم التي
هي مظهر الاسم الجامع ترب صورة العالم وبباطنها ترب
باطن العالم لأنه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبية
المطلقة ولذلك قال الله تعالى هو الذي أرسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كذلك قال

صورة الصفحة الأولى من المخطوط ومعها صفحة العنوان

عاير لاستقلال الاول شانه الامتناع باثبات النفي
والثاني اثباته بالرحيم الرحمن والجلالة للهوية اذ اظهر
معنى عن ذات بواسطة فيذلك الواسطة حجاب ظهرا [illegible]
من ورايه مثال ذلك قوله تعالى هو الله الذي
لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم فالمرتبة
الرحمانية الرحيمية ظهرت عن الهوية الجلالة بواسطة
الوحدة الالهية ولذلك جا بالاسم الموصول فالرحيم تجلى
الرحمن من وراء حجاب امتناع اثبات النفي والرحمن تجلى الجلالة
من وراء حجاب امتناع النفي والاثبات لانه شهادة شهادة
غيب اللاهوت والرحيم شهادة شاهد غيب الرحمن الوجود
الواجب المحض المسمى بالجلالة هو بايجابه لمتعلقاته التي
لا تحقق لها الا به فلا يتدين بما سواه فلا يزيد عليه معاني
واجبة بل تمتنع الزيادة عليه الا من حيث تجبر معاني
متعلقة وما تلك المعاني الا بالحقيقة والمعنى وهذه الا[illegible]
تسمى هوية مقيدة واما المرتبة الرحمانية فهوية مرتبة غير
تمييزات اعتبارية لبشركة العقول السلبية والثالثة المرتبة
الرحيمية تميز تمييزات وجودية ونقرب هذا في المحسوسات
عرفة ما تجمعه شي واحدة يتعينها الوجود [illegible]
فاذا اوضحت في كل انا جزا منها كانت [illegible]
من واحدة بالنزغات [illegible]
وتلك الاجزاء [illegible] والله [illegible]
اعلم واعلم
وصلى الله على
سيدنا محمد
وسلم

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مولاي يا واحد، يا مولاي يا دائم، يا علي يا حكيم

أما بعد .. فإن هذه رسالة تضمنت خصوصية الاصطفاء لأهل الوفاء المضنون بها عن أهلها؛ بل المبدلة لغير أهلها عند من ليس من أهلها، فإن أهلها يرون أن الخلق كلهم أهلها، وأنه أول ما يجب على الناظر في رسالتنا هذه أن يتصبر لأول الكلام حتى يظهر له معناه، فبذلك يحصل له الفائدة.

واعلم أن الخلافة[1] الحقيقية المحمدية هي قطب الأقطاب؛ لأن لكل اسم من الأسماء الإلهية صورة في العلم مسماة بالماهية والعين الثابتة، وإن لكل منها صورة خارجية مسماة بالمظاهر والموجودات العينية، وإن تلك الأسماء أرباب تلك المظاهر وهي مربوبيتها.

واعلم أن الحقيقة المحمدية صورة الاسم الجامع الإلهي، وهو ربها، ومنه الفيض والاستمداد على جميع الأسماء.

واعلم أن تلك الحقيقة هي التي تربي صور العالم كلها بالرب الظاهر فيها، الذي هو رب الأرباب؛ لأنها هي الظاهرة في تلك المظاهر كما مرّ، فبصورتها الخارجية المناسبة لصورة العالم التي هي مظهر الاسم الجامع تربى صورة العالم، وبباطنها تربى باطن العالم؛ لأنه صاحب الاسم الأعظم وله الربوبية المطلقة؛ ولذلك قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: 33]، كذلك قال ﷺ: «خصصت بفاتحة الكتاب وخواص البقرة»[2] وهي مصدرة

---

(1) قال سيدي علي ﷺ: الخلافة وكالة لكن لما كان في لفظ الخلافة تعظيم لحلها كان من أخذت عنه، وهو المستخلف أحق بالتعظيم فأطلق على العبد أنه خليفة ربه؛ لذلك وسمي الرب خليفة لعبده، لما في الخلافة من القيام الكافي عن قيام الكل، ولما كانت الوكالة مشعرة بعجز الموكل فيما فوضه إلى وكيله، وقدرة الوكيل عليه لو بوجه ما إذ لا بدّ من مانع له من مباشرة ما وكل فيه سمي الرب وكيلاً لعبده، ولم يسم العبد وكيلاً لربه فافهم.

(2) لم أقف عليه.

بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]، فجمع عوالم الأجسام والأرواح كلها، وهذه الربوبية إنما هي من جهة حقيقتها لا من جهة بشريتها، فإنها من تلك الجهة عبد مربوب محتاج إلى ربه كما بينه سبحانه بهذه الجهة بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف:110]، وبقوله: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن:19] فسماه الله عبد الله تنبيهًا على أنه مظهر هذا الاسم دون اسم آخر، وبينه بالجهة الأولى بقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: 17]، فأسند رميه إلى الله، ولا يتصور هذه الربوبية إلا بإعطاء كل ذي حق حقه، وإفاضة جميع ما يحتاج إليه العالم وبهذه المعنى لا يمكن إلا بالقدرة التامة، والصفات الإلهية جميعًا فله كل الأسماء يتصرف بها في العالم حسب استعداداتهم، ولما كانت هذه الحقيقة مشتملة على الجهتين الإلهية والعبودية، وفيه لا يصح لها ذلك أصالة بل تبعية، وهي الخلافة في الإحياء والإماتة واللطف والقهر والرضا والسخط، وجميع الصفات ليتصرف في العالم وفي نفسها وبشريتها أيضًا بشاشته وبكاؤه ﷺ وضحكه وضيق صدره، لا ينافي ما ذكره بعض مقتضيات ذاته وصفاته لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء من حيث هيئتها وإن كان يقول ﷺ: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»[1] من حيث بشريته.

والحاصل أن ربوبيته للعالم بالصفات الإلهية التي له من حيث مرتبته وعجزه ومسكنته وجميع ما يلزمه من النقائص الإمكانية، من حيث بشريته الحاصلة من البقية والتنزل إلى العالم السفلي؛ ليحيط بظاهره خواص العالم الظاهر، وببواطنه خواص العالم الباطن، فيصير مجمع البحرين ومظهر العالمين، فنزوله أيضًا كماله، كما أن عروجه إلى مقامه الأصلي كماله، فالنقائص أيضًا كمالات باعتبار آخر يعرفها من يتنور قلبه بالنور الإلهي، ولما كانت هذه الخلافة واجبة من الله تعالى في العالم بحكم: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى:51].

وجب ظهور الخليفة في كل زمان من الأزمنة فيحصل لهما الاستئناس ويتصف بالكمال اللائق من الناس كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا

---

(1) رواه مسلم (4358).

وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:9]، وظهور تلك الحقيقة بكمالاتها أولاً ممكن، وظهرت تلك الحقيقة بصور خاصة كل منها في مرتبة لائقة بأهل ذلك الزمان والوقت حسبما يقتضيه اسم الدهر في ذلك الحين من ظهور الكمال، وهي صور الأنبياء- عليهم السلام- فإن اعتبرت تعيناتهم وتشخصاتهم بغلبة أحكام الكثرة الخلقية عليك، حكمت بالامتياز بينهم والغيرية، وبكونهم عين تلك الحقيقة المحمدية الجامعة للأشياء والصفات لظهور كل منهم ببعض الأسماء والصفات، وإن اعتبرت حقيقتهم ولو راجعين إلى الحضرة الواحدية بغلبة أحكام الوحدة عليك حكمت باتحادهم ووحدة ما جاءوا به من الدين الإلهي، كما قال تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة:285].

فالقطب الذي عليه مدار أحكام العالم هو مركز دائرة الوجود من الأزل إلى الأبد واحد باعتبار حكم الوحدة، وهي الحقيقة المحمدية ﷺ وباعتبار حكم الكثرة متعدد، وقبل انقطاع النبوة يكون القائم بالمرتبة القطبية نبيًا ظاهرًا كإبراهيم عليه السلام وقد يكون وليًا كالخضر عليه السلام في زمان موسى عليه السلام قبل تحققه بمقام القطبية، وعند انقطاع النبوة أعني نبوة التشريع بإتمام دائرتها، وظهور الولاية من الباطن انتقلت القطبية إلى الأولياء مطلقًا، فلا يزال في هذه المرتبة واحد منهم قائم في هذا المقام يتحفظ به هذا الترتيب والنظام[1].

قال سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:7]، ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا

---

(1) قال سيدي محمد وفا في النفائس: اعلم أن القطبية على قسمين: قطبية في العلوم اللدنية، وقطبية في العلوم الدينية، والفرق بينهما أن الأولى علوم تعريفية، والأخرى تكليفية، وكل واحد ينقسم إلى ثلاثة مراتب: الولاية، ثم النبوة، ثم الرسالة، وفي اللدنية بالعكس؛ لأن الأولى في الديانات: من تولى الله بأوامره ونواهيه، وفي اللدنية: الولي من تولاه الله. أما بالذات: فإذا أحببته كنت هو.

أو بالصفات: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به».

أو بالأفعال: «افعل ما شئت مغفورٌ لك»، والجمع بينهم كمالٌ لا يُدرك، والنبوة اللدنية والرسالة الدينية سارية في أعماق الروحانية بدرجة الجلالة مع الهوية السارية، والله عليمٌ بذات الصدور، وإذا فهم هذا الخطاب علم الفرق بين الموسوية والخضرية، والله ولي التوفيق.

نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]، كما قال في النبي ﷺ: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:23]، إلى أن يختم بظهور خاتم الأولياء، وهو الخاتم للولاية المطلقة، فإذا كملت هذه الدائرة أيضًا وجب قيام الساعة باقتضاء الاسم الباطن.

واعلم أن الخلافة على يد من انقضائها في الدنيا؛ لأن الدنيا متناهية وكل ما فيها متناه ومن جملتها الخلافة فوجب انتهاؤها، ولما كانت الخلافة بعد انختام النبوة الخاتمة التي هي التشريعية للكمل والأقطاب من الأولياء فانحنائها في خاتم الولاية، والولاية لما كانت منقسمة بمطلقة ومقيدة، ونعني بالمطلقة الولاية الكلية التي جميع الولايات الجزئية أفرادها، وبالمقيدة تلك الأفراد، وكل منهما أي: كل جزء منها فرد من الكلية والجزئية تطلب ظهورها والأنبياء- عليهم السلام- لم يظهروا بالولاية بل بالنبوة على ما أعطاهم الاسم الظاهر ظهر في هذه الأمة المحمدية جميع ولاياتهم على سبيل الإرث منهم، ونبينا محمد ﷺ صاحب دائرة الولاية الكلية، ومن حيث أنه صاحب دائرة النبوة الكلية بها باطن تلك النبوة إلا الولاية المطلقة الكلية، وسيأتي تفصيله عند الحديث المذكور، ولما كان لكل نبي ولاية كان للولاية كل نبي في هذه الأمة مظهر يقوم بها، لا بدّ أن يكون لولايته ﷺ أيضًا مظهر، وولايته قسمان: كلية: من حيث كليته روحه المسمى بالعقل الأول.

وجزئية: من حيث روحه الجزء المدبر لبدنه الشريف، فالظاهر بولايته الكلية الروحية هو الخاتم المشار إليه والمصرح به في محله.

واعلم أن الختم ختمان: ختم يختم الله به الولاية مطلقًا، وختم يختم به الولاية المحمدية، فأما ختم الولاية على الإطلاق فهو عيسى عليه السلام فهو ولي نبي في زمان هذه الأمة، وقد جمع بينه وبين نبوة التشريع والرسالة، فينزل في آخر الزمان وارثًا خاتمًا للحكم بعده فكان أول هنا الأمر نبي، وهو آدم وآخره نبي، وهو عيسى أعني نبوة الاختصاص، فيكون له حشران: حشرٌ معنا، وحشر مع الأنبياء عليهم السلام.

وأما ختم الولاية المحمدية فهي لرجل من العرب من أكرمها أهلاً ويدًا لا يعلمه كثير من الناس، وكما أن الله ختم بمحمد ﷺ نبوة التشريع، كذلك ختم الله بالختم المحمدي الولاية الكلية الروحية التي تحصل من سائر الأنبياء، فإن من الأولياء من يرث إبراهيم وموسى وعيسى، فهؤلاء يوجدون بعد هذا الختم المحمدي، ولا يولى على قلب محمد ﷺ والأولياء الذين يظهرون بعد هذا الختم والولايات من رقائقه، ويأتي تفصيله

في محله[1].

واعلم أن الإعطاءات والهبات إما ذاتية وإما أسمائية، فأما الذاتية فلا تكون أبدًا إلا عن تجلي إلهي، والتجلي من الذات لا يكون أبدًا إلا بصورة استعداد المتجلي له ما رأى صورته في مرآة الحق، وما رأى الحق، ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه ما رأى بسوي صورته، إلا فيه كالمرآة في الشاهد إذا رأيت الصورة فيها لا تراها مع علمك أنك ما رأيت الصورة إلا في المرآة، أو صور صورتك إلا فيها فأبرز الله ذلك مثال شبه بخاتمة الذاتي ليعلم المتجلي له ما رآه، وما ثم مثال قرب، ولا اشتبه بالرؤية والتجلي من هذا، واجتهد في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى صورة المرآة لا المرآة أبدا البتة، وإذا زفت هذا زفت الغاية التي ليس فوقها غاية في حق المخلوق، فلا تطمع ولا تتعب نفسك في أن ترقى أعلى من هذا الدرج، فما ثم غير هذا أصلاً وما بعده إلا العدم المحض، فهو في مرآتك في رؤيتك نفسك، وأنت مرآته في رؤيته أسماه وظهور أحكامها، وليست سوى عينه فاختلط الأمر وابنهم فمنا من

(1) قال الشريف ابن ناصر الكيلاني في شرح الفص الأدمي ما نصه: والختم ثلاث: ختم الولاية العامة الظاهرة في هذه الأمة، وهو المهدي. وختم الولاية المطلقة وهو عيسى عليه السلام. وختم الولاية المحمدية، فأمّا ختم الولاية المحمدية، وهو الختم الخاص، فيدخل في ضمنه الختمان السابقان، وإن كان مطلقين وعامين، فهما مختومان، وتحت الختم المحمدي، وله التحقق بالبرزخيّة الثابتة بين الذات والألوهيّة؛ لأن ختميّة النبوّة تختص بحضرة الألوهيّة، وله جمع الجمع لا جامع بعده مثله ولا حائز لكل الموارث غيره، وله كمال الآخريّة المستوعبة، فله حكم الكل دون سواه، فلهذا لا يعرفه غير مولاه، وهو أعلم الخلق بالله، لا يكون في زمانه، ولا بعد زمانه، أعلم بالله، وبمواقع الحكم منه، فهو والقرآن إخوان، كما أن المهدي والسيف إخوان.

قال الشيخ رضي الله عنه: علمت حديث هذا الختم المحمّدي بـــ «فاس» من بلاد المغرب، وهو شعرةٌ واحدةٌ من جسده ﷺ؛ ولهذا يشعر به إجمالاً، ولا يعلم تفصيلاً إلا مَنْ أعلمه الله، أو مَنْ صدّقه أن عرّفه بنفسه دعواه، ذكره رضي الله عنه في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة من «الفتوحات». فالختم دائمًا أبدًا دنيا وآخرة، فإن الختميّة ثابتة غير مزالة، فافهم الإشارة تكن من أولي الألباب فإن هذا التمثيل خلاصة الخلاصة، ولباب هذا الباب فإن توهّمت فرض الإزالة في النشأة الدنيويّة فهي ثابتة من وجه آخر لا محالة وهو النشأة الأخرويّة، فالختم دائمًا أبدًا، فافهم. [حكم الفصوص والفتوحات ص 260] بتحقيقنا.

جهل في عمله.

فقال: «العجز عن درك الإدراك إدراك»، ومنا من علم فلم يقل مثل هذا، وهذا هو أعلى علم بالله، وليس هذا المعلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الختم، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم حتى أن الرسل لم يروه، والأولياء لا يروه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة، أعني: نبوة التشريع والرسالة ينقطعان، والولاية لا تنقطع، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فيكون من دونهم من الأولياء، فإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحكم لما جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه ولا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنه من وجه يكون كما أنه من وجه يكون أعلى، وقد ظهر في ظاهر شرعنا ما يؤيد ما ذهبنا إليه من فضل عمر في أسارى بدر بالحكم فيهم.

وفي [غايات] التجلي لا يلزم الكامل أن يكون له التقدم في كل شيء، وفي كل مرتبة، وإنما نظر الرجال إلى التقدم في رتب العلم بالله هنالك مطالبهم.

وأما حوادث الأكوان فلا تعلق لخواطرهم بها فتحقق ما ذكرناه، ولما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبن، وقد كمل سوى موضع لبنة فكأنه ﷺ تلك اللبنة، غير أنه ﷺ لا يراه [...][1] كما قال لبنة واحدة، وأما خاتم الأولياء فلا بدّ له من عدد الرؤية، فيرى ما مثله به الرسول ﷺ ويرى في الحائط موضع لبنتين، واللبن من ذهب وفضة، فيرى اللبنتين اللتين ينقض الحائط عنها، ويكمل بها لبنة فضة ولبنة ذهب، فلا بدّ أن يرى نفسه ينطبع في تلك اللبنتين، فيكون خاتم الأولياء تلك اللبنتين فيكمل الحائط، والسبب الموجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وموضع اللبنة الفضة هو ظاهره، وما يتبعه فيه من الأحكام كما هو أخذ عن الله في السر ما هو بالصورة متبع فيه؛ لأنه يرى الأمر يملي ما هو عليه، فلا بدّ وأن يكون هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحي به إلى التشبه، فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع، فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي، ما منهم أحدٌ يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين ﷺ، وإن

(1) كشط في الأصل.

تأخرت وجود طينته فإنه بحقيقته موجود وهو قوله: «كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين»[1]. وغيره من الأنبياء ما كان نبيًا إلا حين بعث، وكذلك خاتم الأولياء كان وليًا وآدم بين الماء والعالمين، وغيرهم ما كان وليًا إلا بعد تحصيله شروط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف من كونه تسمى بالولي الحميد، وخاتم الرسل معه، فإنه الولي الرسول النبي، وخاتم الأولياء نسبة الأنبياء والرسل معه، فإنه الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب، وهو حسنة من حسنات خاتم المرسلين محمد ﷺ مقدم الجماعة، وسيد ولد آدم في فتح باب الشفاعة.

فمن فهم المراتب والمقامات لم يعسر عليه قبول مثل هذا الكلام، وإن فهمت الرمز الذي أشرت به من أن خاتم الأولياء بعينه خاتم الرسل الظاهر لبيان الأسرار والحقائق آخر، كما بين خاتم الرسل الأحكام والشرائع أولاً فقد حصل لك العلم النافع[2].

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (2/169).

(2) قال ابن ناصر الشريف: اعلم أن كمال العالم بالإنسان ككمال المرآة بالصقالة وكمال الجسد بالروح، فالإنسان روح منفوخ في جسم العالم، وهو العين المقصود لله تعالى وهو المحل لظهور الأسماء الإلهيَّة والكونيَّة، وهو مرآة جامعة لصور حقائق العالم كله من ملكٍ، وفلكٍ، وروحٍ، وجسمٍ، وطبيعةٍ، وجمادٍ، ونباتٍ، وحيوانٍ إلى ما خصَّ به من علم الأسماء الإلهيَّة مع صغر حجمه وجرمه، بل العالم كله تفصيل آدم، وآدم هو الكتاب الجامع، فالإنسان روح العالم، والعالم جسده، فبالمجموع يكون العالم كله، فإذا نظرت إلى العالم بلا هذا الإنسان وجدته كالجسم المستوي بغير روحٍ.

قال ﷺ: كما أن الإنسان جسمٌ صغيرٌ، كذلك ملكٌ حقيرٌ من جهة الحدوث وصحَّ له التألُّه؛ لأنه خليفته في العالم، والعالم مسخَّر له مألوه كما أن الإنسان مألوه لله تعالى، وهو روح العالم.

اعلم أن الذاتي الحق لما ظهرت أعيان الممكنات في مرآة ذاته أدركها في نفسه بنوره، فلحقه المرئي بالرأي؛ حيث أدركه في ذاته، وهو واحدٌ في الوجود؛ لأن الممكنات المرئية في هذه الحالة منعوتة بالعدم، فلا وجود لها مع ظهورها للرأي، كما ذكرناه.

فسمِّي هذا الظهور توحيد إلحاق: أي ألحق الممكن بالواجب، فأوجب للممكن ما هو عليه الواجب لنفسه من النسب الأسمائيَّة حتى الوجوب، ولا نقول بالغير؛ لأنه قلة الإيجاد على الإطلاق ما عدا نفسه تعالى، فالخيال موجد لله تعالى في حضرة الوجود والحق موجود للخيال في حضرة الانفعال الممثل، فإذا ثبت إلحاق الخيال في قوة الإيجاد بالحق ما عدا نفسه فهو
=

قال: خاتم الأولياء بعث الله محمدًا ﷺ بالوحي الملكي، وما بعثه بالوحي الإلهي الذي أوحاه الله إليه من قاب قوسين؛ ولكنه أسر ما خصه به فيما بعثه به عمومًا، فمن تخلى عن الأعم تحلى بالأخص، وذلك عند ظهوره حقيقة الخصوص الذي لا يستحق ما خصته به غيره، [وكل كلمة فإنها اسم الوجود للمتكلم بها من حيث تعرفه بها، وعين له من حيث تعينه بها وصفة له من حيث فعله بها]، فخاتم الأولياء حقيقة خاتم الرسل ومعناه[1].

على الحقيقة المعبر عنه بالإنسان الكامل الذي هو جلاء المرآة وروح تلك الصورة، فإنه ما ثَم على الصورة الحقيقية مثله فإنه يوجد في نفسه كل معلوم ما عدا نفسه، ويسمى هذا توحيد الوصلة والاتصال وتوحيد الإلحاق، فإن توحيد الخيال مع كونه من الموجودات الحادثة صعب التصور إلا هذا الاختصاص الإلهي الذي أعطته حقيقته، فما قبل شيء من المحدثات صورة الحق سوى الخيال، فإذا تحققت ما قلناه علمت أنه في غاية الوصلة. فهذه أنوار مندرجة بعضها في بعض مثل اندراج المثل في المثل، واندراج الظل في الظل، والنور في النـــور، فافهم.

(1) فائدة للمصنف مهم ذكرها: العارف عين معروفه، والمحقق حقيقة ما حققه، وعلى قدر شهود الكمال والتكميل تكون المحبة، وعلى قدر صدق المحبة يكون تحقق المحب بمحبوبه، وعلى قدر التحقق يكون ظهور المتحقق بحكم ما تحقق به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [العنكبوت:62] ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٖ مُّحِيطُۢ﴾ [فصلت:54]، وهو هو بما هو هو سيدي، وربي وهو مولاي وحسبي، ليس إلا هو. روى ابن حبان في صحيحه حديث أبي ذر الطويل، وفيه: «قلت: يا رسول الله! كم الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، قلت: يا رسول الله! كم الرسل من ذلك؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، أربعة سريانيون: آدم عليه السلام، وشيث عليه السلام، وإدريس عليه السلام هو أول من خط بالقلم ونوح عليه السلام، وأربعة من العرب: هود عليه السلام وشعيب عليه السلام، وصالح عليه السلام، ونبيك محمد ﷺ». فظن بعض الناس أن محمدًا ليس داخلاً في هذا العدد كما فهم فافهم أن اسم الجلالة ليس داخلاً في أسماء الله التسعة والتسعين، فإن الجلالة عند هذا الفاهم يكمل المائة، واسم محمد ﷺ مكمل عدة الرسل ثلاثمائة وأربعة عشر، وذلك عدد بسط أحرف محمد ﷺ فإن الحرف المشدد بحرفين فيكون هكذا: ميم 90 حاء 9 ميم 90 ميم 90 دال 35 تلك 314 فيكون عدد اسم محمد ﷺ للرسل كعدد اسم رحمان 299 للمائة اسم إلا واحدًا، والمائة رحمة، والمائة درجة تلك 299، وعدد محمد 20 بالجمل الصغير مع اعتبار الحرف المشدد حرفًا واحدًا وعشرون وفق عدد رحمان 20 بالجمل الصغير، فإذا اعتبرت

وقال: إن الأمر الشاني الصفاتي كله لله، ونظائر هذا مما لم يسبق إلى كشف وبيانه على هذا الأسلوب المحكم الذي يأخذ أهل الفرق بحسبهم، وأهل الجمع بحسبهم، وأمر التحقيق بحسبهم بحق.

قال وقوله الحق أحمد الله بمحامد لا يحمده بها غيري، ولم يحمده بها أحد قبلي لاسيما في ظهوره بالختم الولائي بالصورة الوفائية التي هي بالمعنى درجته الرفيعة درجته العظمى، وبالعين دويرة الله التي تدخل عليه فيها [بحكم] الخاصة، فيظهر منها بشفاعته العظمى الذي يحقق كل قابل عنه بإيمان بعين حق من حقوق الرحمن ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال:4].

وقال ظهر الروح الأعلى في خاتم النبيين بحكم الرحمن الرحيم كما قال: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:24]، وكل ولي على قلب نبي فالذي على القلب المحمدي قائمًا بالختم الأعظم به هو بحكم الله، وهذا هو الأخرى التي قد أحاط الله بها: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:115]، وهذه لا تدخل تحت القدر التي لم تقدروا عليها، كما أن الغيب الذي ظهر في خاتم الأنبياء لم تكن الأزمنة المتقدمة على

الحرف المشدد بحرفين كان عدد محمد 24، وذلك هو العدد الكامل، وفي رابع عشرين رمضان أنزل القرآن وأحرف الشهادتين لا إله إلا الله،12 محمد رسول الله،12، وليس في الأسماء المذكورة في القرآن من أعلام الرسل اسم: هو أربعة أحرف محققة في اللفظ والخط معًا، إلا محمد، وأحمد، وماعدا هذا ففيه ياء أو ألف ممدود غير مهموز فلا يتحقق في اللفظ، فمحمد يكمل أحرف الشهادتين أربعة وعشرين، وكلها في عدك محمد بالجمل الصغير كما تقدم فافهم. ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [محمد:22] والخاتم يحفظ المختوم من أسباب التغير والضياع، وإذا ظهر لك هذا علمت أن قوابل جميع الأمم في نظام قوابل أمته فلذلك هو، يتنزل لبعضهم بالناطق الأدمي المنظوم في نظام نطاقه المحمدي فيقبل ذلك البعض عنه ذلك؛ لأنه وسعه، ومتى يتنزل لهم بناطق سوى هنا لم يقبلوه، ولم يسعوه كالأول، وإن ألجأتهم ضرورة التصديق إلى التسليم. ويتنزل لآخرين بالناطق النوحي المنظوم في نظام ناطقه فيقبلون ذلك كذلك، وآخرون استعدادهم للناطق الإبراهيمي كذلك، وآخرون للناطق الموسوي، وآخرون للناطق العيسوي، وعلى هذا فقس.

زمانه مستعدة لظهوره، كما قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: 179] أي: الذي أطلعكم عليه الآن، وهكذا كذلك الغيب غيب لا يطلع عليه أحد إلا في زمن خاتم الأولياء، وهذه الولاية الخاتمة التمامية الوفائية هي الأخرى التي بها قال: إمداداتها إلا بالمحبة، فمحبتها هي نصر محبتها وفتحه القريب الذي به نرى الناس يدخلون في دين الله أفواجًا، لا في الدين الذين دونه، كما قال: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف:13] وبها بشر محمد ﷺ. كما بشر عيسى بأحمد ﷺ، وبشر المؤمنين، وظهور من هذا سادة حضرة حبه في هذا العالم المحسوس عام اثنين وسبعمائة من الهجرة، كما قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:1].

ويوم تمثله في ذلك الكون المقدس زلزلت الأرض زلزالها لعظم ما أوحى إليها رب محمد عن مظهره الأعلى، كما قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: 1]، وعدد «إذا» بالجمل، فزمن هذا الظهور الأقدس هو أجل الله إذا جاء، ومدة أعوام هذا الظهور عدد السبع المثاني وسور القرآن العظيم، فإذا الزمان الذي ظهر فيه روح كشف، وبيان ليوطئ ما كشفه وبينه روح الزمان الذي قبله، فذلك الزمن المتقدم دنياه والذي فيه بيان آخرته فزمن آدم، زمن دنيا نوح وزمن آخرته، وكذلك زمن نوح مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد روح آخرة الربانيين الفرقانيين كلهم، وفيهم ظهرت لوائحه، وفيه ظهرت حقائقهم، وإدراك علمهم وبلغ منتهاه وزمن خاتم الأولياء آخره هذه الآخرة، فتلك الآخرة يوم جمعة الأنام الفرقانية.

وهذه الآخرة ساعة يوم الجمعة، وتسمى «يوم المزيد»، والمزيد هو النظر إلى الله فساعدنا التحقيق بالله، وفي كل دنيا تكون النفس المدركة في عما ينكشف لهم في آخرتهم، وكل صاحب آخرة يريد أن ينقل أصحاب الدنيا التي قبله من حجابهم إلى كشفه، فمن أطاعه أفاض عليه من فضله فقبله بإيمانه، وإيمان كل محجوب إسلام بالنسبة إلى إيمان عند الخروج عن حكم حجابه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص:53]، ومما كانت الهمم في الأزمنة الماضية عن الزمن المحمدي في مسافات العوالم المحسوسة أراد

ألمتهم الهداة لهم أن ينقلوهم عنه عن العوالم الخيالية، فأقاموا لهم معجزات حسية تقهرها عن الرجوع إلى مراد الأئمة منهم إن ساعدت العناية الإلهية بالإيمان لمساعدتها بالبيان، فلما جاء الناطق المحمدي أراد أن ينقلهم عن الخيالات إلى العقليات، فجاهر بالمعجزات البيانية ليجذبهم إلى مراده، وهكذا المعجزة العقلية معجزة خاتم الأولياء أتى بها لينقل النفوس إلى الكشف الوجودي الإلهي، فالأولون نقلوا من حجاب الكثافة إلى حجاب اللطافة، والناطق المحمدي ينقل من حجاب اللطافة إلى حجاب الشفافة، والناطق الوفوي الرحماني ينقل من حجاب الشفافة إلى العين بسلب إضافة، وقال: يا من مرتبة فوقية إلا وهي نظام ما هو أعلى منها، ومحكوم بأن كمالها في التحقيق بأحكامها وأمثلة معاينها، وكذلك يتنـــزل ناطق كل مرتبة بما يتم به نظام ما تحت مرتبته من المراتب مع ما يعود به نظام مرتبته هو، ومن هنا يظهر لك أن أمر كل صاحب زمان منظوم في نظام صاحب الزمان الذي بعده في كل دائرة بحسبها؛ لأن الثاني يأتي مكملاً لأمر الأول، ومبتدأ أمرًا جديدًا زايد على الأول، ومن هنا يظهر لك سر قوله الحق المحمدي: «آدم فمن دونه تحت لوائي»[1] وأخباره في الأسر أنه دخل سماء كل منهم له، ودخل إلى مستوى لم يدخل معه أحد منهم «وقد بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2].

فبخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء بحفظ المختوم من أسباب التغير والضياع، وإذا ظهر لك هذا علمت أن قوابل جميع الأمم في نظام قوابل أمته، فلذلك هو يتولى لبعضهم بالناطق الآدمي المنظوم في نظام ناطقة المحمدي، فيقبل ذلك البعض عنه؛ لأنه وسعه، ومتى تنزل لهم بناطق نوحي لم يقبلوه ولم يسعوه كالأول، وإن ألجأتهم ضرورة التصديق إلى التسليم، ويتنزل الآخرين بالناطق الموسوي وآخرين بالناطق العيسوي وعلى هذا فقس، وله هو منهم قوابل خاصة بناطقه هو يتنزل إليهم بحكم ناطقه

---

(1) رواه الترمذي (308/5)، وأحمد (381/1)، والحاكم في المستدرك (83/1)، والبيهقي في الشعب (181/2)، وأبو يعلى في مسنده (215/4).

(2) رواه البيهقي في الكبرى (191/10)، والحكيم في النوادر (312/2)، والقضاعي في الشهاب (192/2).

الجامع المحيط بتلك النواحي كلها، فيقبلون ذلك ويسعونه دون غيرهم فالكل هم بمجموعهم عامة دعوته، وهو لا الخاصة أصحابه من حيث عموم رسالته، وهؤلاء الخاصة أصحاب حقيقته، ولذلك لما سب خالد بن الوليد عبد الرحمن بن عوف، قال السيد الكامل الخالد ﷺ: «لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنْ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»[1].

مع أن الكل داخلون في عموم الصحبة؛ لكن هذه إضافة تخصيص بذلك على الخاصة به منهم، ولما كانت المعاني الرحمانية الثبوتية ثمانية: العلم والحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام والوجود، وهي الإحاطة بهذه المعاني السبعة ووجوهها وجهاتها التي هي دائرة الصفات العرفية والوهبية والربانية كلما، وهذه الإحاطة هي المعبر عنها بالرحمانية، فتلك ثمان معاني، وانخلع عن هذه الإحاطة روح لنا الاستواء العرشي المتنزل بالأمر الإلهي الإحاطي، وبالأمر الرحماني الرحيمي انخلاع تعين، وعن بقية المعاني أرواح الأوامر السبعة الموحاة بالتعيين الكوني، والتعرف التدبيري في السموات السبع، كما قال الحق المحمدي ذلك رب العالمين: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا﴾ [فصلت:10]، إلى أن قال: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت:12]، ثم تعين لكل روح منها ناطق ظاهرة رباني فرقاني، وباطنه جمعي رحماني هو مستوى حكمه وقلم رسمه.

فأحب حيث أزيد الظهور أن تظهر هذه النواحي فيما تحت السموات على التدريج؛ أي: تدريج الترقي فظهر أولاً آدم بناطق روح اسما الدنيا، ونوح بعده بناطق روح السماء الثانية وهكذا، وجاء محمد بناطق الروح القدسي والاستواء العرشي بالحكم الرحماني الرحيمي في ختمه النبوي، وبالأمر الإحاطي الإلهي في ختمة الولاية، كما قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:52].

وقالت: واصبر حتى يأتي الله بأمره، وعند التحقيق أنه جاء في ختم النبوات بحكم روح الفلك الثاني الكوكب بأنوار الفرقان الثابت في مركز الجمع، وهذا هو فلك الكرسي مستوى التفصيل الأمري المستقري، وفي ختم الولايات التي بحكم روح

(1) رواه البخاري (3397)، ومسلم (4610).

فلك العرش الأطلسي الذي لا حياة بعده ولا يقصد لمتحرك، وهذا هو الترتيب الحقيقي، وإنما أخر وقدم في قصة المعراج لحكمة اقتضاها الوقت، ويشعر الذائق بأن كمال نوح له وعيسى ويحيى، وسر عيسى في إبراهيم، وحكم إبراهيم في يوسف، وسر موسى في إدريس، وكمال داود في هارون، وكمال سليمان في موسى.

وهذا من الكشوفات العزيزة على غير المدارك الإحاطية، وهذه المظاهر على مثل الأرضية للحقائق الروحانية السمائية التي أنبأ مما قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق:12] الآية، وهي أفلاك الخلق التي يدبرها روح الكوكب الدائر بروح الأطليس العرشي الجمعي، فلما تم هذا النظام المتنزل في النبوات بخاتمه، وكان تنزله بظاهر معاني الربوبية في حجب مراتب العبودية، عاد فتنزل بدور ثان في الولايات بسبع دورات يختمها ثانيها، وينزل بتحقيق مراتب العبودية بحقائق معاني الربوبية، فالأول أظهر اللواحق والثاني أظهر الحقائق، فكان صاحب الزمان الأول الذي أوله يوم قول الحق المحمدي أن الزمان قد استدار اليوم كهيئة يوم خلق السموات والأرض بالحق الآدمي إلى رأس مائة سنة كما قال ﷺ:« يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يحيي به هذا الأمر»[1].

كما قال بما هذا معناه قال: بعد مائة سنة من يومكم هذا لا يبقى على وجه الأرض ممن هو على ظهرها اليوم أحد، فدل بهذا على الحكم النوحي كما دل بقوله استدار الزمان على الحكم الآدمي، وبقوله كان بداية دينكم نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا دل على الحكم الإبراهيمي، فصاحب القرن الثامن من الزمان المحمدي هو الخاتم المحمدي صاحب السر الذاتي الرحماني المنظوم في نظامه الأسرار الذاتية من جميع نواطق أرواح المعاني الرحمانية، فهو المتكلم بكل ناطق والمحقق بجميع الحقائق، وظهوره في هذا الكون المحسوس للجمهور بصورته الآدمية في عام اثنين وسبعمائة كما هو عدد قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾ [النصر:1].

وجاء أجل الله، وأتى أمر الله عالم الغيب، كما هو عدد ليأتينكم عالم، وجاء الرب المحمدي ومراتبه الملكية جميعًا كما هو عدد قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا

(1) رواه أبو داو (3740).

صَفًّا﴾ [الفجر:22]، فزلزلت الأرض لعظمة ذلك الظهور فيها زلزالها، وهذا هو المتنزل بكل حقيقة كشف وبيان.

وإذا ظهر لقوم بناطق أمامهم الذي فيهم قبول فعاليته وعرفوا زلزالهم وقعوا له ساجدين، واعترفوا بأن هذا هو العين المشهود من الغيب المقصود فإذا ظهر لهم بناطق آخر، وآتاهم بغير الصورة التي يعرفونه بها أنكروه واستعاذوا به منه، وقالوا: إنما أنت شيطان حتى إذا عاد فتنزل لهم بناطق أمامهم، قالوا: أنت مقصودنا وإن كنا لخاطئين هكذا حالة مع الفرق المتفرقة كُلها، إلا أن له خاصة فهم قوابل فعاليته الخاصة به يعرفونه في كل صورة، ويقبلون عنه كل تنزل، ويشهدونه في كل مشهد أولئك الذين يقول فيهم ﷺ: «اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي»[1] لا يلتبس عليهم بغيره في صورة من صور تحولاته، وهؤلاء الختاميون الولائيون الوفويون هم الذين اشتاق إليهم صاحب الختم في دائرة ختمه النبوي، فقال: «واشوقاه إلى إخواني»[2].

ومن تحقيق هذا الكشف يظهر لك تكون بعض المريدين على أستاذهم فتارة يقربه وتارة ينكره، يرى أنه قد سلب؛ لأنه جاء بما ليس فيه استعداد له على خلاف ما اعتاد منه، ولم يشعر أن ذلك لفقده هو لاستعداد ما تنزل به أستاذه المتنزل في أي مرتبة اقتضى حاكمه الحكيم أن يتنزل بحكمها من المراتب المنظومة في نظامه، وبعض المريدين متمكن مع أستاذه لا يتكون عن إرادته، وإن تكونت تنزلات أستاذه في مراتب إفادته وسيادته، والسر في ذلك أن المتكون مريد بعض المراتب المنظومة في نظام مرتبة ذلك الأستاذ، فإذا تحول له في صورتها عرفه وإلا أنكره، وأما ذلك المتمكن فإنه مريد حقيقة ذلك الأستاذ فهو يعرفه في كل صورة ولا ينكره في مرتبة من المراتب، كما تقدم، فإذا وجدت أمام هدى فاعرف كيف تكون بين يديه والزم تغنم، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال ما من حضرة ربانية فتحت بالكشف والبيان ليدخل الله في رحمته من يشاء إلا ولسان حقها المبين، فتنزل في وسع قوابل الزمان فعين تلك الحضرة تجعل ما عنده مما عنده مما يسعه أمر هام جمهور أتباعه

---

(1) رواه الترمذي (3797).

(2) رواه الترمذي (5/696)، وأحمد (5/54).

أحكامًا ظاهرة، وتجعل ما لا يسعوه حقائق باطنة في تلك الأحكام فإذا انقض ذلك الزمان عاد الأمر في الإظهار على هذا الشأن.

فلا يزال الأمر في السبع دورات التي هي حضرات السبع حقائق الذات، وهي معاني الكمال البصر أولاً وهو حقيقة هي المبصرات وهي التجليات المفصلات الباطنيات، والقدرة وهي حقيقة التقديرات والإيجادات.

والإرادة وهي حقيقة الترتيبات والتخصيصات.

والكلام وهو حقيقة الكلمات وهي التجليات المحملات.

والحياة وهي حقيقة التعينات.

والعلم وهو حقيقة التحققات وإحاطتهم وعين جمعهم ووجودهم وذاتهم في مرتبة الظهور، والبيان هو الرحيم الرحمن بالستر والعيان، وعلى هذا الأسلوب فتحت حضرات الغيوب إلى خاتمها العزيز الرحيم، وجامعها الرحمن الواسع العليم جاء بختم الظواهر، وفتح الحقائق البواطن، وأبطن فيما فتح فيما ختم لحضرات غيوب عيانه أقطاب زمانه وأحبابه، فبعث الله على رأس كل مائة سنة رجلاً حتى إلى الثامن مائة تظهر الإحاطة الباطنة هو الله أحد بسم الله الرحمن الرحيم، وذلك ختم الختامات، وفتح الفتوحات وسر السرائر بإحاطة الإحاطات، فماذا بعد الحق إلا الضلال، وكما وقف رئيس عالم الكماليات عند سدرة المنتهى، وسدرة المنتهى حقيقة القوة التي ينقطع منها تصور الخارجيات كيف يقف رئيس عالم الإحاطات عند قاب قوسين أو أدنى، وهذه الغاية حقيقة القوة هو التي ينقطع معها قصور الباطنيات، وكما زجّ الروح الكلي بالروح الإحاطي بالزوج الذاتي وهم، وخاتم الولايات في الظلمات الذاتيات، ومن سلم سلم، ومن تحقق فهم، ومن اعترض ندم، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: 40].

وقال: الوجودات الإلهية على قسمين: وجود علم، ووجود حياة، فالعقل الكلي فرع وجود العلم، وروح الأمر فرع وجود الحياة، وجميع تنزلاتها على ثلاثة أقسام: بالنفخ، والإلقاء، والوحي، وكل واحد منهم على ثلاثة أقسام: بالذات، والصفات، والأفعال، أظهر الرحمن مراتب الأكوان، وأحكمها في أحسن تقويم، وأعدل ميزان، واستخلص منها خلاصة كل مرتبة وسريرة كل موجود، فجمعها في آدم، فتفرغت الأكوان من الأسرار الإلهية، والتجليات الربانية، والحضرات الرحمانية، وصارت إلى

الحضرات الإنسانية، واستقرت في البنية الآدمية، ولذلك سجد لها الساجدون، وسخر لها ما في الأفلاك من الخلق أجمعين، ثم تنزلت في النبويات، وأعلنت في الرسالات حتى إلى النفخة العيسوية والتميمية الختامية ظهر الجامع الأعظم، فالوجه الكريم الأكرم اجتمعت إليه الأرواح النبوية، بما فيها من أسرار إلهية وحضرات رحمانية، ومظاهر ربانية، فتفرقت الملل والنحل ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه، ثم بطنت الألسن النبوية في كلامه، وانتظمت جواهر محارمها في سلك نظامه فكل يدعو إليه بلسانه، ويخضع ويخشع لعظمة جلال رحمانيته فلما أسري به إلى قاب قوسين، ورجي إليه الوجود العلمي اندرج الأزل في أبده، وبطن واحدة في أحده.

وأعلنت الأحاد عن الواحد بالأحد، وتلا لسان الولاية الكبرى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1- 4]، وأينع الفرع العلوي، وزهي وأورق وأزهر وأبرز من العقول الإلهية والمعارف الربانية ما بطن من بطانات القلوب الإيمانية، وأظهر ما خفي عن العقول الفكرية عندما اشتهر، وبرز الفرع البكري، وقد اخضر وأورق وزهي وأثمر وتنمق بما وقر في صدره من المعارف النبوية، والإطلاعات المحمدية، والمشاهدات الرحمانية، وما تخلق به من الأخلاق الرضوانية، وأخذ كل منهم على طريقه، وافترق كل منهم مع فريقه، وكانت السريرة الإنسانية، والحقيقة السلوبية تظهر في كل سر مكتم، وتندرج في كل علم يعلم، ولا يعلم حتى إلى خاتم الولايات، ومستقر جميع الإنبات أديت إليه الأمانات، وتوجهت إليه الوجوه من كل الجهات.

فكان عين جمع الجمع من الأسماء والصفات والذات، ثم تفرغت جميع الكائنات، وأقفرت جميع الطرقات قبل ما ليس على الله بستكثره في أن يجمع العالم في واحد، وذلك بما خص به من الخصوصية العظمى، وأبدل مكان النفخة بالوحي فأوحاه وحيًا ذاتيًا فهو الذي لا عين رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولم تزل هذه السريرة تظهر فيمن يعلم ولا يعلم، ولا ينطق ولا يتكلم كما جرت السنة عند انقسام النور من إبراهيم الخليل إلى إسحاق وإسماعيل، ثم تفرغت الإسرائيلية إلى النبوية والولاية الحضرية، وبقيت السريرة الإسماعيلية، فتظهر في البهم، وتنذرت في الإعمار الحق حتى أطلع الله شيئًا من طلعتها عن جمارها وبرقعها، وهذه السنة لم تزل

في السوابق واللواحق، والله ولي التوفيق وهو معلم الحقائق.

فسبحان من أوحى وجودي بذاته وسخر روح الأمر بالآية الكبرى

يمثلني الرحمن عينا لغيبه فما صورتي كالنجم في سورة الإسرا

وفي صورتي يأتي الإله كما حكى خبير روى الأخبار فاستعلنت خبرا

جمعنا نظام الكل في عين جمعنا وأصبح كف الدهر من مثلنا صفرا

واعلم أنه إذا كان القرن الثامن من الزمن المحمدي والوقت الأحمدي، وارتفع باطن القرآن من ظاهره، وغاب سر الأسرار في غيب غيبة حاضره، وبقي ظاهر الأحكام لإمساك ما بقي من النظام، وخرج المهدي الإمام بعد هذا القرن الثامن، والدجال بجمع الكفر والعناد، ونزل عيسى بن مريم عليه السلام وصح الخبر التمام يكون قيام هذه لا رام بلطيف صورة الأجسام، ورقة تصور نفوس الأنام، وتنكشف صورة الجان الذي هو معنا في هذه الأكوان، وتنجلي كائنة الأكوان فيكون ما يكون من ظهور أشراط وآيات وعجائب واقعات، كحديث الدجال وسنينه العوال، وجنته وناره، وإماتته وإحيائه، وخروج يأجوج ومأجوج، ونزل عيسى عليه السلام ثم يرتفع ظاهر القرآن كما ارتفع باطنه.

قيل: فتبقى الخلق حثالة كحثالة التمر يتهارجون هرج البهائم لا يفرقون كفرا ولا إيمانا ولا ديانا، وهذه الأشراط وأمثالها، وما فيها كلها واقعة عند تلطف الأجسام والأبدان، وتعيين هذا البرزخ الجان وفي هذا البرزخ تقع الواقعة، وهذا كله ملتمس في الصورة التاسعة، ولأن هذه الأحوال من أشراط إتيانها ومبادئ زمانها، وتجلي أحكام أوانها وآياتها وكيف لا وهو عليه السلام يقول وهو نبي الساعة: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ»[1] .

وقال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ۝ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: 57، 58].

واعلم أن هذا السبع المثاني والقرآن العظيم هي الختمة التمامية، وهو جامع أجماعهم ومرآة كشف أعيانهم، وهي الحيطة التي فيها يتعين أعيانهم في عين واحدة

(1) رواه البخاري (4555)، ومسلم (1435).

وهو جمع الجامع وجامع الإجماع: «لن تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1].

«وينزل ربنا إلى سماء الدنيا في كل ليلة فمعه شيء قلبي رحماني»[2]، ولأن القلب بيت الرب، وعقلي كرسي رباني فرقاني: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود:1].

وثامن الأيام المحمدية وهو ثامن مائة هو منارة الأنوار، ومنارة شهرة الأسرار، وحضرة حضرات إليها والوقار إليه تنتهي الحضرات المحمدية والإحاطات الأحمدية بما فيها من إحاطات ربانية وحضرات رحموتية بتجليات رحمانية بأسماء ومسميات وصفات وموصوفات في صور قائمات: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ۝ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم:93،95]، ومن ذلك أنه لما انقضت القضية الدنيوية، وانختمت الدورة الإسرائيلية في الآدمية بالعيسوية، وتجلت الجلالة المحمدية بالأحكام الأخروية، وشق الصدر وظهر القلب الذي هو بيت الرب، وهي طهارة بطهور ومما قال تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾ [النور:35].

وكان الإسراء إلى قاب قوسين أو أدنى، واتصل بحضرة هذا الوجود الإلهي والمقام العلي الأعلى، والنور الأظهر الأضوى مالك الآخرة والأولى، وأوحى إليه ما أوحى، وهي سريرة سورة الذرة والهوية السارية في كلمة كلمات عالم القدرة، وهي التي استردت من آدم بعد السجود أول مرة ليحكم الحاكم أمره، ويقدر القدير قدره بالقدرة، فلما استسرَّ هذه السريرة، وادخر فيه هذه الذخيرة خلق خلعت عليه الخلقة الربانية، وتجلت فيه التجليات الرحمانية تعزيزًا وتعظيمًا ووقارًا وإجلالاً وتكريمًا وتمجيدًا وتوحيدًا وجلالاً، وتواصلت عليه الصلات بتجليات الأسماء والصفات، وهو يسير بسريرة الهوية السارية في السبع المثاني، وأنوار أسرار الأعيان والمعاني، وفي كل

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (2/496)، والعجلوني في كشف الخفا (2/431).

(2) روى الجزء الأول منه البخاري (1/384)، ومسلم (1/521).

مقام تحدد خلع التهاني حتى استقر إلى ثامن المثاني، وتم نظم النظام، وانحل من عقد الطباع وذلك الأحكام، ونفخ إسرافيل نفخ القيام، وانتهى الأمر إلى ما تقدم من الإعلان، واستقر القرار في كل دان ومقام، وتأكد التأبيد في الأبدية، واستمر الدوام في الديمومية، وبرزت الدرة بكلمة عالم القدرة، وتكررت كأول مرة ثم كذلك لا نهاية لذلك، ويكون البروز بخلاصة الثامن الكامن، ويخلص أخلاص خصوصية اختصاص الشامل.

وقال صاحب الحضرة: «كل من تقدم فهو مني ومن تأخر يأخذ عني» هذه الحضرة الختامية التمامية هي التي وعد بها روح كل حضرة كمال رباني، وتمنى كل جلال وجمال رحماني أن يدخل فيها عند الترقي والانتهاء، وأن يكون في ربوبيته المنتهي وأن كلاً لما ليوفينهم ربك: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:42] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة:1]، فإن الذي عقد العقود يحلها فافهم.

ولما كان خاتم الأولياء وفاتح كنوز الآلاء والنعماء، معلومًا ظهوره بالأمر العظيم والسلطان العزيز الكريم مبلغًا كل قاصد أحسن قصده، ويختصها كل متعلق به إلى غاية حده من محتده نهضت همم الأولياء، والأزمان المتقدمة عند المسرة بزمانه؛ لتدوين أحسن أقوالهم وأحوالهم وأعمالهم بأيديهم وأيدي المؤمنين بهم، رجاء دخول حضرته بوجودهم الآلي بدلاً عن كونهم الجسمي المتحلل قبل إتيانه؛ لعلمهم بأن هذا المولى لا ينظر لأحد إلا بعين الرضا والرحمة، ولا يذكر بلسان العناية شأنه أو اسمه إلا بلغه غاية قصده، ووصله حيث لا يصل بحده وجده يخلصه ويخصصه ويمحصه مما ينقصه فلذلك يذكر أخبارهم ليحقق أسرارهم، وينظر أسطارهم ليكمل أنوارهم ويقول بالآية قصصهم، فيثبت كمالهم بمحو ما نقصهم، ويبلغون فوق غاية آمالهم ما به خصصهم.

فالجاهل بهذا النور الذاتي يظن أن هذا السيد يتعاطى أخبار العباد ليستفيد، والعارف بفضله يعلم أنه يذكر ويبصر ويخبر، فيعطي ويمنح ويفيد فربما خاطب من هو مؤهل لدخول حضرته ومملكته ليسمع عقولاً طارت من أقفاص أشباحها إلى رياض اختصاص أرواحها جيعانة عطشانة هيمانة حلفت بصدق هواها وذلها العز مناها، أو لا تشرب إلا من يمين خطابه شفاها عطف عليها فأطعمها وسقاها ولا

تغتذي إلا برؤية وجهه وجاهًا، فلما حضرت إلى مولاها وشكت إليه ما بها أشكاها أوصلها إلى حضرة قربه، وتولاها وكشف حجاب السمع لخطابه، وفهم ما فاه به:

في نشر طي الرسل والألسن الأول في دولتي بلغت غاياتها الدول

فتحت ختمًا لنور طال ما قفلت ونال رفدي ملوكًا عزمًا بدلو

فالعارفون بما حققتهم ملكوا والأولياء بما كملتهم كملوا

والعالمون بما أوليتهم وصلوا والعاملون بما أنزلتهم نزلوا

والطالبون على مطلوبهم حصلوا والكل [....] بالواحد اتصفوا

وباستوائهم به في الغاية اعتدلوا فبي رقوا حضرات الله واكتملوا

فبادر والحبيب لا مثيل له وقد ظفرت بما لم تدر [....]

ومتى انجلت عن البصر غشاوة ما كتبه ذو العرش المحيط في صحيفة التمثيل بقلم التمثل الاستوائي برز ما في القلب على ظواهر المشاعر:

ناظري قد شاهد الحق وجاها وكليمي خاطب الأرواح شفاها

أنا وجه الله والعين التي أحرق الأغيار أنوار هداها

شاهدوني إن أردتم تنظروا طلعة الغيب ففي عيني جلاها

وأحبوني تحبوا ربكم وأطيعوني تطيعون الإلها

صورتي فيكم مثال لكم قد أتى الرحمن فيها واجتلاها

فبها يسمعكم يبصركم ويناجيكم بأمر قد تناها

بوجودي أطلق الحق نهيًا عن عقال الوهم أنجاها ولاها

وعليكم بيناتي نشرت رحمة الله التي قدما طواها

يا هناء أفئدة مخصوصة عرفت محبوبها لما أتاها

سجدت لما بدا واقتربت فوفاها بمناها وكفاها

واعلم أن من الأولياء المتقدمين المحققين هو السيد الجليل محي الدين[1] يشير

(1) قال ابن ناصر: والختم المحمَّدي عبارة عن خاتم يكون على حرف قدم محمد ﷺ، وأما المحمَّديون بعد هذا الختم يكون على قلوب الأنبياء عليهم السلام، فلا بعده مَنْ يكون على

به كما هو مذكور في أول هذه الرسالة بطريق الرمز والإشارة على حده عبارته أن خاتم الأنبياء ﷺ أخذ كتاب الفصوص من يده ﷺ فقال في كتابه المسمى «عنقاء مغرب»[1]:

فعــذرًا فلــو جــاء الزمان وجيمه علــى فــاء مدلــول الكرور يقوم

قدمه يطأ أثره، كما لا يكون أحد على قلبه: أي على قلب محمد ﷺ أبدًا، هذا معنى ختم الولاية المحمَّديَّة، وهو أعلم الخلق بالله، ولا يكون في زمانه، ولا بعد زمانه أعلم بالله، وبمواقع الحكم منه، فهو والقرآن إخوان، كما أن المهدي والسيف إخوان، وكما أن لا نبي بعد محمد ﷺ، كذلك لا ولي بعد هذا الختم سلام الله عليه، فإنه خاتم أولياء الذات، وروح الكلمات التَّامات، ولا بدّ أن يرى في كشفيه ما ينبئك عن وصفه إن سلكت هذه الطريقة، وبلغت إلى هذه الحقيقة فافهم.

قال ﷺ في «الفتوحات» في أصل أسئلة الترمذي: أمَّا ختم الولاية المحمَّديَّة فهي لرجلٍ من العرب مِنْ أكرمها أصلاً ونسبًا، وهو في زماننا اليوم موجود، عرفت به سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ورأيت العلامة التي قد أخفاها الحق سبحانه فيه في عيون عباده، وكشفها لي بمدينة «فاس» حتى رأيت خاتم الولاية النبوَّة المطلقة لا يعلمه كثير من الناس، وقد ابتلاه الله بأهل الإنكار عليه فيما يتحقق به من الحق تعالى في سرِّه من العلم به، انتهى كلامه ﷺ.

وما رأيت بتصريحه بهذا المعنى لنفسه أصلاً إلا في مواضع قليلة منها في بيتٍ في الباب الثالث والأربعين من «الفتوحات» فإنه ﷺ قال:

أنــا خِــتم الــولاية دُونَ شــك كــورث الهاشــي مــع المســيح

وفي محلٍ من «الفتوحات» قال ﷺ يشير إلى مقام الخاتمي: خصَّني الله بخاتمة أمرٍ لم يخطر لي ببال، فشكرت الله بالعجز عن شكره مع توفيقي في الشكر حقه، فافهم، انتهى كلامه.

فإن قيل: بأي صفة استحقَّ بها أن يكون خاتمًا للولاية المحمدية، قلنا: بتمام مكارم الأخلاق مع الله، إنما قلنا: مع الله؛ لأن أغراض الخلق مختلفة، ولم يمكن تعميم موافقة العالم بالجميل فنظر نظر الحكيم، فلم يجد صاحبًا مثل الحق، ولا صحبة أحسن من صحبته.

ورأى أن السعادة في معاملته، فنظر إليه فرأى أنه شرع أحكامًا، وحدَّ حدودًا فوقف عندها، فما صرف الأخلاق إلا مع سيده، فلما كان بهذه المثابة قيل فيه ما قيل في خاتم النبوة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، وانظر: مجمع البحرين شرح الفصين، ومرآة الأصفياء للبسنوي، بتحقيقنا، وكتابنا: النور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر.

(1) انظر: عنقاء مغرب (ص36).

وقال صاحب الحضرة الوفوية: ربما وقف رب الحق على رأس طريق حيه يهدي بنا السبيل إلى داره لزمًا فإذا طُلابه يسألون منه عنه، وعن منزله فيدلهم على منزله، فمنهم من يدله بعلامات يرشده بها ولا يعرفه بنفسه، ومنهم من يوصله هو إلى منزله ولا يعرفه بنفسه، حتى إذا دخل الفريقان منزله عرفه بأمره من في حيه أو بتعريفه إياهم بنفسه، ومنهم من يعرفه بنفسه على رأس الطريق من أول لقياه فلا يصل إلى منزله إلا عارفًا به، وذلك لكرامته عن رب الحي وخصوصيته لديه، فهكذا يتحول الوجود المجرد في صور الهادين إليه الدالين عليه المرشدين لما يقرب لديه، ويتحوله ذلك بتعرف، وفي عين تعرفه بتنزيهه نفسه عن ذلك الصور يتنكر من كان من أهل الاستدلال دله بعلامات، ومن كان من أهل الترقي في المقامات صاحبه يوصله إلى حضرته وكلاهما لا يعرفه حتى يصل، ومن خصصه واصطفاه لنفسه أظهر فيه نور توحيده، وأصدق عليه نور تجريده، وعرفه بنفسه وكان دليله وصاحبه ومقصوده إلى أن يكمله، فيجده وجوده ويشهد شاهده ومشهوده، وليس ذلك إلا في الحضرة الوفائية الإحاطية، فافهم واعرف والزم تغنم كل مغنم، ولا تقصد إلا أهل الوفا فحسبك الله، وكفى خاتم الأولياء على قلب خاتم الأنبياء، فعلامته أن يحقق مواجيد الأولياء كلهم، ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد الأنبياء كلهم، واختص عنهم بخصوص وجده، فقال:

طالعت وجد الواجدين بأسرهم ... من كان منهم أو يكون إلى الأبد

فوجدت وجدي قد أحاط بوجدهم ... حقًا ووجدي ما أحاط به أحد

وقال هذا أراد بمرتبة يتقيد ... فأبى عليه وجوده المتجرد

وخلافه مهما أراد تجردا ... يأبى عليه وجوده المتقيد

فكلاهما من تحت حجْر وجوده ... ووجوده في قيده يتجرد

لكن وجودي مطلق ومقيد ... وكلاهما في الوجود السرمد

لحد تجرد ذاته منه له ... حكما لما عنه به يتجرد

هو كل موجود له ووجوده ... يا حسن كلٍّ كل ما هو موحد

فله التماثل والتقابل كله ... متعدد في حال ما هو واجد

وله المراتب بالمراتب كلها ... سيان فيه مؤزلٌ ومؤبد

وهـــو الذي من حيث هؤلاء هو ولا لا هـــو ولا هـــذا ولا مـــا يقـــصد

فاشـــهد إذن واشـــهده فيما يشتهي فلـــذلك أنـــت تذمـــه أو تحمـــد

الحجر الياقوت في الحجرية كالأحجار هكذا بشرية المخصوص لا كالإبشار.

وأما بخصوصيته الخارقة للحجب والأستار فهو نور لا كالأنوار، لما يظهر ختم الدائرة لم يبق لشيء منها ظهور إلا بحكمه، وإلا فمتى ظهر بعده غيره لم يكن هو خاتم، ومن ثم قال: خاتم الدائرة الفرقانية لو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، وإنما يأتون إن أتوا به، أو بما فيه، وهكذا قال القائل له:

اقـــبل البدر علينا من ثنيات الوداع

يعني من مشارق الختم.

وجـــب الشكر علينا ما دعا لله داع

بمعنى أن كل داعي لله بعد هذا الخاتم في دائرته إنما هو، هو أو منه: ﴿قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:108].

قال الحق المبين في ناطقه المحمدي بكليمه الواجب بسميعه المتمكن: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى:24]، أي: إن يشأ وجودك الإلهي يظهر متعينًا بحكم ختم الأولياء المستوى برحمانية جمعه على قلبك الدائم بختم بياني رحيمي فرقاني فرقه في دائرة بعث كل ولي على قلب نبي: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾[البقرة:210] أي: إلى الله من حيث يعرفون أنه الله عينًا: ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:210] أي: يظهر لهم من حيث يعرفون في ظلل من الغمام لهي كون صاحب الختم الإلهي القائم بالحجة البيانية المقبولة بقبول السلام المؤمن من أهله، والملائكة هي صور أحكامه الربانية الحكمية: ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود:44]، أي: انتهى وإلى الله ترجع الأمور في هذا الختم الوفائي الإحاطي.

قال صاحب هذه الحضرة:

أزلـــت بمعـــنى الـــلام صورة عقله

وأطلقـــت عملـــي مـــن عوائق نقله

وابـــديت ســـر الله ســـرًا لفعلـــه

وغيبت في غيب الغيوب بفضله بتأصيل تفصيل لتفضيل وصله:

بايـــنًا بيانـــيًا فـــبالحكم محكـــم

ولي علـــم فـــوق المعـــالم يعلـــم

وصـــرت إلى مـــا عنه نطقي أبكم

وقمـــت مقـــام قـــم فـــيه قـــيم

ومـــا قـــام قبلـــي قائم مثل قومتي

أراني في عـــين الـــبرية في عمـــا

وإيـــضاح فهمـــي فهيمي ظلْ متهما

ففـــيهم كـــتمت السر عنهم تكتمًا

ويوســـف مفهومي عزيزًا وإنما غيابه

هجـــر المهجـــر في زهـــد إخـــوتي

ولي ولي الله في الموئلـــــــــــــي

وكـــل ولي عـــن ولائـــي بمعـــزل

تجلـــى جمـــالي في جمالـــه مجمـــل

وفي حـــضرتي غابت شواهد حاملي

فعـــن عـــين عـــيني كل عين عمية

فؤادي عن السر الغريب قد انطوى

وعلمـــي على كل العلوم قد احتوى

وعقلي على العرش المحيط قد استوى

فـــيا ليت لا أتلو سوى آية السوى

ولا آتي إلى بـــــــابي [.......]

تحققـــت بـــالعلم القـــديم ولم أزل

بـــه قائمًـــا مـــن قبل بالله في الأزل

وجـــنت بأفعـــال الحدوث ولم أزل

وذلــــك أن الله كـــان ولم يـــزل
كمـــا كـــان في إثـــبات نفي المعية

وأيضًا ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ ﴾ [البقرة:210] أي: ينتظرون رؤية غير الله ﴿ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ ﴾ [البقرة:210] وهي حجب كياناته أو بياناته لنا الفرقانية، وأما إذا أتاهم في عيونه الجمعية فإنهم ينظرونه ولو فتح نور الوحدة بصائر المنتظرين لنظروا ما هم ينتظرونه حاصلٌ عيانًا.

قال هو سيدي ومولاي:

فإنْ غـــمَّ عنكَ البدرُ دونَ غمامـــةٍ   فكـــيفَ إذَا مَا ظلَّ فِي ظلِّ ظُلمـــةِ

الدائرة الختامية التمامية الوفائية الروحانية هي الفلك المحيط الأعظم ليس له مرتبة تقصد، ولا خصوصية وجودية توجد، فهو محدد الكمالات، ونقطة كل دائرة، وسائر الدوائر في إحاطته إذ ليس وراءه ما يتحول إليه.

واعلم أن لكل مائة عام قطبًا ينزل بحكم مناسب لا يتعد أهل زمانه، فعُلم بذلك أن الأقطاب في وزان أولي العزم، فأولهم في وزان آدم وكذلك نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وهكذا بعد كل مائة إلى ثامن مائة يكون القطب المحمدي خاتم الأولياء، ومع كل واحد من الأقطاب أولياء على عدد ما كان مورثه من النقباء والعرفاء والأنبياء والحكماء[1].

وكان الأستاذ أبو الحسن الشاذلي قطب الزمان السابع، وينزل الناطق الأعظم الوفائي بختم الولايات في الزمن الثامن، فالكل في نظامه، وحملة أعلامه، ومعاني كلماتهم في ضمن كلامه، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور:64] فافهم والزم تغنم.

(1) قال المصنف في الوصايا: الدائرة، الختامية، النهائية، الوفائية، المحمدية، الرحمانية هي: الفلك المحيط الأعظم الحاوي لجميع الحقائق الولائية التي هي الأفلاك، الربانية، الإلهية، النورانية، والروحانية، الاختصاصية فليس وراء ذلك الفلك الأعظم مرتبة تقصد، ولا خصوصية وجودية توجد فهو محدد جهات الكمالات، وكل نقطة من نقطة قطب كل دائرة، وسائر الدوائر في إحاطته إذ ليس وراءه ما يتحرك إليه شيء. [الوصايا ص 364/2] بتحقيقنا.

والمرء مع من أحب وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله «أصحابي كالنجوم»[1] وكان ظهوره يومئذ كظهور القمر، وكان نقباؤه وعرفاؤه كعدد الكواكب، لكن ظهورهم معه لنا كظهورها مع البدر في زمن خاتم الأولياء يكون بعدد أولياء الأزمنة كلها، لكن ظهور أمره كالشمس فظهورهم معه لنا كظهور الكواكب مع الشمس؛ فلذلك لا يوجدون ولا يدركون متميزون عنه، ولكن في ضمن حضرته يوجدون كما يوجد نور الكواكب في ضمن نور الشمس إذا ظهرت، ولا يوجد الكواكب متميزة مستقلة، فلما انقضى زمن بظهور زمن نوح أتى باستعداد مناسب في الطفل الأول بالتمييز، وكان معه من النقباء والعرفاء بقدر ما يحتمل ذلك لاستعداد ظهوره تشريفًا وتعريفًا، واستمر ذلك إلى أن انتهى زمانه بظهور زمن إبراهيم، وصار أهل زمانه لما يترك به ناطقه الزماني كاستعداد الصبي المراهق بالتمييز.

وكان معه من النقباء والعرفاء بقدر ما يحتمله ذلك الاستعداد تشريفًا وتعريفًا، وقس على هذا عيسى فإن زمنه يكون سن ثلاث وثلاثين للثبوت والتحقيق التمييزي بحكم، مسما كل منهم بأحكام السموات التي هي متحيزة، وكذلك كان شأن مدركاتها، وغلب حكم الفلك الثامن من الكوكب فلك الكرسي في دائرته التعدادية، وأنت تعلم أن استعداد سن الطفل لا يحتمل استعداد سن التمييز منه، وسن التمييز يحتمل ما يحتمله الصغير وزيادة خاصية، وهكذا نهاية كل فرد من أفراد العالم فما فوقه إلى نهاية الإنسان الكامل، فهكذا يكون تنزل نوح جامعًا لما يتنزل آدم وزيادة خاصية، ولذلك إبراهيم عليه السلام مع نوح، وموسى عليه السلام مع إبراهيم عليه السلام، وداود عليه السلام مع سليمان عليه السلام، وسليمان عليه السلام مع عيسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام مع سليمان عليه السلام فهو جامع من تقدمه وزيادة خاصية، وجاء محمد ﷺ وعليهم أجمعين بختم النبوات بما

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (62/3). وعقبه سيدي علي رضي الله عنه بقوله: يعني بأصحابه أئمة الهدى الفرقاني الروحاني الرباني، ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: 16]، أنت ما سمعت أن تغيرات النفوس الفلكية توجب تغيرات ما تحتها إنما حقيقته أن تغيرات نفوس الأئمة الخواص توجب تغيرات العموم، فاسأل الله من فضله دوام بسط حضرلتهم الشريفة؛ ليدوم بذلك بسط العالم آمين، ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]؛ لأنك صورتنا فيهم، وشهيد الشيء ما ظهر بظهوره.

يناسب الاستعدادات المستفادة من الفلك الثامن المكوكب فلك الكرسي.

فجاء بكل ما جاء به من تقدمه وزيادة خاصية، كما في ختم الأولياء بما يناسب الاستعدادات المستفادة من الفلك التاسع الأطلسي العرشي ولأنه أتى بحكم تلك الثوابت وأولئك أتوا بما ناسب أحكام المتحيزات، فلذلك قبلت شرائعهم النسخ ولم تقبله شريعته، ولما كان الفلك الثامن دائرة بنفس دوران الفلك الأطلسي فلك العرش من غير واسطة وما دونه فإنه بواسطة واسطته، فلا يصل ذلك الفلك من فلك إلى فلك ومن واسطة إلى واسطة إلا بذلك المتوسط، وهكذا ما يصل المدد من الأمر الرباني الإحاطي إلى كل ناطق بينه وبين الخاتم المتنزل بحكم الاستعدادت الحاصلة عند فلك العرش إلا بواسطة فلك الكرسي الذي الفلك الثامن متوسط بينه وبينه، ولما كان حكم الفلك التاسع ملازمًا باطن حكم الثامن فجاء محمد ﷺ خاتم النبوات فاتح الولايات بواطن التحقيق الثابت في التشريع الثابت، وكان زمانه محتو على ما احتوت عليه الأزمنة المتقدمة كلها، وكان علمًا لأمته كأنبياء سائر الأزمة.

انظر في القول المحمدي: «الله هو السيد»[1]، ثم قوله: «أنا سيد الناس يوم القيامة، يوم يجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد»[2] يعني: نظام الحكم الأعظم تعرف أن العارف المحب لمرتبة كان كونه الظاهر في سواها إنما يتحقق بعد تجرده عنها عيان المرتبة التي كان متحفظًا بها حبًا وعرفانًا، فيكون أوله تنزيل آخره، من هنا يظهر أن صاحب كل وقت ظاهره باطن صاحب الوقت الذي قبله؛ لأن الكل حقيقة واحدة ظهرت في كل وقت بالمعنى الذي في نظامه كمالات استعدادات ذلك الوقت من معاينتها، وكل حاصل معد لواصل ذلك الحاصل في ضمنه فالحق المبين يتعين في كل وقت تعين متنزل بما فيه كمالات ذلك الوقت، ولي الذي بعده بما فيه كمالات الذي بعده، وتكون تلك الكمالات الأولى بدايات في الثانية، فصاحب كل وقت يتحقق بالحق المتعين به من حيث المعنى المحيط النظام بنظام ذلك المعنى الأول، كما أن نظام الكلام أوسع من نظام القدرة، ونظام الإرادة أوسع من نظام الكلام، ونظام العلم

---

(1) رواه النسائي (70/6)، وأحمد (24/4)، فالمراد السيادة المطلقة.

(2) رواه البخاري (1745/4)، ومسلم (184/1) جزء منه.

أوسع من نظام الإرادة، ونظام الرحمانية أوسع من نظام العلم؛ لأنه عين جمع المعاني فلا يزال الأمر كما تقدم إلى أن يحصل التجلي في العين الخاتم الأعظم بالذات، والمتنزل بحكم ذلك فيظهر عين جمع الجمع مجملاً ومفصلاً فهذا العين الوفوي هو بظاهره باطن كل البواطن من الكل، وهو غيب هوية.

وكما قال:

رأيـــت من يرى ولا يُرى فلا تسل عـــن حـــديث الدمـــع كيف جرى

فقلت: علمني علم كل شيء من وجه ما هو فما هو العلم الذي استأثرت به عن خلقك؟

قال: أنت قلت: فمن أنا؟ قال: سبحان الله أنا أنت، قلت فمن أنت؟ قال: لا إله إلا أنا أنت أنت وأنا أنا، قلت: فمن إنك وإني.

قال: الله الله لا أنت ولا أنا خرس اللسان عن البيان انقطع الكلام والسلام، وكلما ظهرت حقائق الأعيان والمعاني كلها في عين الختم المحمدي بالختم الرحيمي، وصرفهم هو بحكم الرحمن كذلك تظهر الحقيقة المحمدية في العين الوفوي بالختم الرحماني ويصرفها بالحكم الذاتي فافهم.

العالم كله آيات الحق لكن كل عين آية لما يظهر به من الحق، وما هم عين يظهر بهما جميع معاني الحق إلا الكامل من نوع الإنسان الآدمي، فأولئك هم عيون الله وآيات جمعه التي تقول عنها آياتنا، وآيات الله فيضيفها للاسم الجامع لنظام الأسماء كلها بنون الجمع العظيم فإنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا﴾ [الأنعام: 68] أي: في مظاهرنا الكمل الدالين علينا الهادين إلينا على الكمال: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: 68] أي: لأن أولئك هم ذكرنا ومن خاض فيهم بما لا يليق بحقهم فقد أعرض عنهم، فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ألا ترى تفسير ذكر الله في قوله تعالى: ﴿بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: 28] بأنه محمد وأصحابه، ولقد قال في طيب؛ أي: خالص من المغايرة كل طيب بطيبه عند طيب طينتي لأن كمال حقيقته المحمدية جامع لهذا النظام المحيط الرحماني المشهود بهذا المشهد الذي شاهد حقيقته الحقائق المحمدية.

قال خاتم النبيين لأبي بكر الصديق ﷺ: «إني رسول الله»[1] فوجد اليقين بذلك فأقرَّ به وسمع عمر قول الحق تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ [طه:6]، فوجد ذلك يقينًا فأقرَّ به فهذا تصديق التحقيق الآني لا التصديق الاستدلالي، وهذا لم يكن لأحد من أتباع الأنبياء كلهم واختص عنهم بوجده، وفي ذلك قلت:

متى طالعت وجد الواجدين بأسرهم من كان منهم إلا لخاصة خاتم النبيين

وهكذا لا يكون لأتباع أحد من الأولياء إلا لأتباع خاتم الأولياء؛ لأنه على قلب خاتم الأنبياء، وخاصته على قلب خاصته، فأصحاب الأنبياء المختومين كلهم للتصديق، وأصحاب خاتم الأنبياء لتحقيق التصديق، وأصحاب خاتم الأولياء للتحقيق ولقد قيل لي في عام خمس وأربعين وسبعمائة أصحاب الأولياء كلهم للتصديق وأصحابك أنت للتحقيق، فخاتم الأولياء على قلب خاتم الأنبياء فعلامته أن يحقق مواجيد الأولياء كلهم، ويختص عنهم بوجده كما حقق خاتم الأنبياء مواجيد الأنبياء كلهم واختص عنهم بوجده، وفي ذلك:

طالعت وجد الواجدين بأسرهم من كان منهم أو يكون إلى الأبد

إلى آخر الأبيات المذكورة.

قال قائل: أنتم يا وفائية شاذلية أفلا تقرون حزب الأستاذ أبي الحسن الشاذلي وظيفة؟ قلت: لأن الألفاظ وسائل ومعانيها مقاصد، وإذا حصلت المقاصد فلا حاجة إلى الوسائل، ولما وجدنا جميع معاني أحزاب الشاذلية مجموعة في حزب الفتح الذي شرفنا به وظيفة نتلوها في الأوقات المعروفة أغنانا الله بذلك عن قراءة ألفاظ أحزاب أُخر، وجعلنا تلاوتنا لهذا الحزب الشريف تالين لجميع الأحزاب المعتبرة، فنحن كلما قرأنا القرآن العزيز فقد قرأنا كل كتاب هدى كذلك، إذا تلونا هذا الحزب الشريف فقد تلونا كل حزب هدى فافهم.

قال: فلو قرأتم تلك الأحزاب أغنتكم عن هذا الحزب.

قلت: لا لأنه جمعهم واختص عنهم بخصوصية كما اختص القرآن بما ليس في

(1) رواه البخاري (2945).

كتاب هدى سواه والحكم للوقت، ولا تصح صلاة واحدة أئتم المصلي فيها بإمامين يتبع كل منهما، ولو اتفقا واستويا، وفي الحقيقة صاحب الختم الأعظم جميع الأولياء من جنود مملكته ومؤمني إمامته، وليس هو في زمن ذي حكم لأنه يحكم ولا يحكم عليه في سائر الدوائر لأنه سر خاتم النبيين ﷺ ووارث كماله فكان كل الأنبياء الخاتم لخاتمهم تابع ومأموم، وإن عمل بطريقة أحدهم حينًا ويكفيك قوله تعالى: ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران:95]، مع قوله سأقوم مقامًا يرغب إلي الخلق كلهم حتى ابراهيم يقول: اجعلني من أمتك والعلماء ورثة أنبيائهم، فخاتمهم وارث فخاتمهم والحكم واحد فافهم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ﴾ [الجمعة:10]؛ أي: وفيت فهو إشارة إلى الحضرة الوفائية الختامية التمامية فافهم.

قال قائل: ما بال كلام العارفين المتقدمي الزمان على زمن الختام الوفوي الأعظم ملتبس، قلت: وما توفيق العبد إلا بالله سيده ومولاه لأنهم مظاهر المعاني فهم أمنًا على ما بأيدهم فلا يظهروه للتمليك ولكن للتنفيس خاصة كما قال قبلي ناطق بنوري بين يدي خاتم الأنبياء ﷺ: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء:17] والخاتم الوفوي ظهر بالحكم الذاتي فهو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء، فلذلك صرح وبين بحيث ملك قوابل ما خلع عليها من خلعه فلا سالب له؛ لأنه حققها به حق اليقين، والحمد لله رب العالمين.

وقلت:

سابق لنا الحق بنا تجد المنا عند الوفا يا طالب الغايات

ما ثم وهاب يؤمن عبده من سلب نعمته سوى سادات

ولما كان الزمن المحمدي زمن الختم النبوي في أوله، قال: عيسى أن يخرج من أصلابهم من يوحده، يعني: ذريتهم الذين زمن ختم الولاية فوقته هو صورة إحاطة وجود موجوداته فمن نفسه يعلم مراتب الكل وأحوالهم، فانظر ماذا ترى اسمع زمن ختم الدور كآخر وقت الصلاة؛ لأنه أخر وقت إمكان صلة أهل ذلك الدور بربهم الحق، فهو وقت اضطراري لا اختياري، ودعوة أهل الصلاة فيهم مجابة لا محالة: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ [النمل:62]، الرب الحق المبين

رب المشارق له في كل دائرة مشرق لا يعرفه أهل تلك الدائرة إلا من ذلك المشرق، ولا يسجد له إلا من تلك الجهة، فالفقهاء مشارق الربوبية المحجوبين له، والصوفية مشارق الربوبية للفقهاء، وأهل الذوق مشارق الربوبية للصوفية، وهكذا إلى أعلى المشارق وهي نواطق التحقيق، فلا تحاور من عبد سجود الكون الا أن أتاه من مشرق دائرته وهو الصورة التي أتاه فيما فوقاه، قال له: أعوذ بالله منك ما أنت ربي فإذا تحول له فيها، قال: أنت ربي وخر له ساجدًا؛ لأنه تحول له في الصورة التي يعرفه بها وفيها فافهم، ما من كامل في مرتبة وكمالات ما دونها مجموعة في نظام كماله، وهو مع ذلك فقير إلى كمالات ما فوق مرتبته من الكمال حتى ينتهي الى مرتبة من إليه المنتهي، وليس وراء مرتبته مرمي لمن رمي فافهم واعرف تغنم كل مغنم.

أدنى الجنات التي قيل في وصفها ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [سورة الصافات آية: 62]. واطلع ساكنها فرأى خصمه في سواء الجحيم، وهي الجنة الجرمانية التي فيها مثل ما في الدنيا، ويتعاطى كتعاطيه غير أن نفعه صاف من الضر، ولذته صافية من الكدر، وسلامته من العيوب المخوفة على ما ها هنا لا تغيرها الغير، وهي لا مقطوعة ولا ممنوعة مع ذلك، والموت الذي هو فساد المزاج لا يحدث هنالك، وهذه جنته المستقيمة على الشرائع الظاهرة، فيمتنع أحدهم عن شرب خمر الدنيا حذر أن يشرب من عصارة أهل جهنم، وهذه جنة المستقيمين على الشرائع الظاهرة فيمتنع أحدهم من شرب خمر الدنيا حذرًا أن يشرب من عصارة أهل جهنم وليشرب من ﴿خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [محمد: 15] ﴿لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات: 47]، مع أنه خمر من نسبة هذا الخمر، ويشرب كما يشرب هذا إلا أن له كيفيات جرمانية ليست لهذا وقس على هذا باقي ملاذها ومقاصدها.

وهؤلاء هم أهل هذه الجنة لا يهدون إلا أهل شجرة الزقوم، فيخوف شارب الخمر مثلاً بشرب طينة الخبال، ويرجيه في شرب الخمر كله لذة بلا اغتيال.

فإن أطاعه فيما أمره ونهاه وصل معه إلى الجنة التي هي منتهاه، وإن سقط عن ذلك سقط في دركه، وأما الذين في الفردوس التي سقفها عرش الرحمن فهي دار العرش الداعي إلى المستوي عليه، فهو يدعو أهل التحقيق بالحقائق الرحمانية الاستوائية، وادع إلى ربك أهل الفردوس أرباب أصحاب الجنة التي تحتها، وأهل كل جنة أرباب أهل

الجنة التي تحتهم، وكل جنة سقف التي تحتها، ولكل جنة أصحاب إلا الفردوس فهي دار العرش الرحماني ليس لها صاحب سواه وهي أعلى درجة في الكون لا تكون إلا لعبد واحد، قال المستوى الرحماني: وأنا هو، فافهم[1].

جاء في «الصحيح»: **«أكون أول من يحرك حلق الجنة، فيقال: من؟ أقول: محمد، فيقول الخازن: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك»**[2] فانظر كيف لا يفتح الباب الجناني فتاحه من أحد قبل مائة عام الأمر الرباني وهو إمام هدايته الذي بيد حكمته ما يتحقق له جنته، ويعطيه من هدايته ما يفتح دائرتها فافهم واعرف والزم.

الجنان درجات أعلاها الفردوس التي سقفها عرش الرب إلا على رب الأرباب الذي يطعم ولا يطعم، ومنه أنه يأتي لأهل كل جنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من أولئك.

فالعرض عنده ما لا يعمله إلا رحمانية الحق المجرد، والفردوس عنده من الرحمن ما جاء بواسطة العرش، فلا يطلع عليه إلا العرش وأصله والجنة التي سقفها الفردوس عند أصلها من الرحمن بواسطة الفردوسين ما لا علمه ولا أدركه إلا أهل العرش وأهل الفردوس، وهكذا إلى آخر الجنان فأدناها عطاءً، وأعلاها إعلاءً وأهل كل جنة يرون سقفها عرش الرحمن؛ لأنهم لا يرون ربهم الرحمن إلا في مظاهره، وهم أهل الجنة التي هي سقف جهنم فأهل الفردوس عبيد من حيث يشهدون أرباب من حيث يمدون، وهكذا من دونهم إلى آخر الجنان وهي التي نعيمها النعيم النفساني البشري أعني نعيم النفس البشرية الجرمانية بملاذها الجسمانية، وأهل هذه الجنة ليس لهم جهة إمداد لجناني فليس لهم ربوبية على أهل جنة إنما ربوبيتهم على من يفيض عليهم من أهل الدرك الأعلى من الجهنميات ما يخلصونه به من دركه حتى يتحقق بمرتبتهم ويدخل جنتهم.

واعلم أن حقائق هذه الجنان ملكات حكمية جنانية إذا تم خروجها في النفس المدركة من القوة إلى الفعل اقتضت لها إدراك، كلما ورد عليها أو صدر عنها حسنًا جميلاً مطابقًا لمرادها مرضيًا لها من جميع جهاته وحقيقة الإدراكات الجهنمية ملكات

---

(1) انظر: [الوصايا ص 225/2].

(2) رواه مسلم (292).

بهيمية وهمية بالنسبة إلى الملكات إذا تم خروجها في نفس مدركة من القوة إلى الفعل اقتضت لها عكس ما تقتضيه حقيقة الجنة بأهلها قائمة الهدف بيد كشفهم العليم، وبيانهم الحكيم يستخرجون حقائق الجنان إلى النفوس المؤمنة بهم المسلمة لهم الصادقة في مسالكهم الظلال بيد الوهم البهيم تحمكًا وتلبيًا يستخرجون حقائق الدركات الجهنمية في النفوس المنفعلة لغلباتها محبة لهم من وإيثار لطرقهم والدرجات مرفوعة يتنزل الأمر الحكيم بينهن من أعلاها إلى أدناها، والدركات معكوسة موضوعة يشيع الأمر البهيم من أسفل سافلها إلى آخرها، فأكثفها حاجبا، وآلمها عذابًا أسفلها، ثم يندرج ذلك فيما فوقها، حتى يكون أخفها حجابًا وعذابًا إلى آخرها الذي ما فوقها حجابها إلى أدنى الدرجات الجنانية التي أهلها هداة أحق الجهنميين حجابًا وعذابًا وجاء في الحديث: **«إن في الجنة مائة درجة فبين كل درجة ودرجة مسيرة خمسمائة عام»**[1] وجاء أن بين السماء والأرض خمسمائة عام، وكذلك بكل سماء وسماء فكان كل درجة سماء لما تحتها وأرض لما فوقها ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:22].

«ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[2]، وفضل أهل كل درجة على أهل التي تحتها كفضل أهل السماء وسكانها على أهل الأرض والعرش سقف الفردوس؛ أي: سماؤها وحجاب السماء سقفًا محفوظًا، والطريق الموصل لسالكه إذا تم سلوكه من مرتبة إلى مرتبة هو الصراط المنصوب على متن السلوك منها، ومتن السلوك إليها فإن أحسن السالك سلوكه حين تم سالمًا من المفسدات وصل إلى منتهى ذلك المسلك، وهو المرتبة التي ذلك المسلك على متنها وإذا زل سقط في المسلوك عنها، وهي التي ذلك المسلك المنصوب على متنها ظاهر الجنة الثانية يرون الجنة الأولى بالنسبة إليهم كما يرون أهل الجنة الأولى أول دركات الجهنمية بالنسبة إليهم، فلذلك يزهدون القابلين الذين يطلبون الوصول إلى أدنى الجنان عن التعليق بذلك المقاصد الجرمانية، ويدلونهم على كمالات نفسانية متى سلكوا سبيلها وأحسنوا

---

(1) رواه الترمذي (2452)، بنحوه.

(2) رواه البخاري (3/1185)، ومسلم (4/2174).

تمامها وصلوا إلى الجنة الثانية جنة أولئك الزهدون لهم في الوقوف مع حدود الجنة الأولى، وإن لم يتم لهم سلوكهم سقطوا في الجنة الأولى برجوعهم إلى ما كانوا عليه، وإخلادهم إلى ما كان رغبتهم في المال عليه.

وقس على هذا حال أهل كل درجة مع التي تعلوها إلى أن يكون أعلى الأئمة من يهدي إلى التجرد حتى عن قيود الحدود العرشية، ويدعوا إلى رب الأرباب، ويجذب إلى التحقيق منه بـــ«أحببته كنت هو»[1] وهكذا كل كمال مرتبة في نظامها كمالات ما دونها، فهذا الإمام هو مظهر الرحمن وعرشه، أو مظهر الله وعرشه إن دعي دعي إلى كان الله، ولا شيء معه فهو حقيقة العرش المحيط لرب الأرباب المستوي عليه بالدعاء إلى نفسه بلسانه، وداعيًا إلى الله بإذنه، وقال: صراطنا منصوب على متن الفردوس، والساقط من سالكينا في الفردوس، ولكل مقام مقال، ولكل مجال رجال. وأما صراط الدركات فمنكوسة من قصر في سلوكها ثبت في حدود المرتبة التي لو لم تبصر لسقط من حدودها جعل في حدود الدركة التي أسفل منها، ولا يزال السقوط بالسالك إلى أن ينتهي مع أهل المضلين إلى أن يتحقق منه بالوهم البهيم الذي هو حقيقة الشيطان الرجيم، وكل هذه الدركات والدرجات إنما هي في الدوائر الإطلاقية بل هو قرار مجيد في لوح محفوظ فافهم تغنم كل مغنم، جاء في الخبر من تشبه بقوم فهو منهم؛ أي: من تصور بصوراتهم الوصفية فهو منهم، وجاء في الحديث «فإذا احببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله وفؤاده»[2].

وفي الحديث: «فإذا أحببته كنت هو»[3].

فأهل كل مرتبة هم أرباب أهل المرتبة التي دونها، ومرتبتهم العليا عرش عند المرتبة التي دونها، فمتى صدق على أهل مرتبة صورة أهل المرتبة التي فوقها معنى تحقق لهم منهم معنى احببته كنت هو، وصاروا أهل تلك المرتبة العليا، وصاروا أربابًا لمن كانوا عبيدًا مثلهم قبل هذا التحقق فافهم.

---

(1) ذكره الشيخ المصنف في المسامع (ص 112)، وهو حديث كشفي عند ساداتنا الصوفية.

(2) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (265/1).

(3) تقدمت الإشارات إليه.

جاء في «الصحيح»: «وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[1] أي: يغتال من مرتبة دون مرتبة غلٌ بتحكيمه حتى يخرجني من نفوذ حكمي بالدخول في قيود حدود مرتبته فهذا هو الاغتيال من تحت، وهذا أيضًا هو حقيقة قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الحجر:74] فافهم المقيد بمرتبة لا يتيسر له القيام بما دونها إلا وهو متلبس بحكمها، والمطلق يقوم في كل مرتبة بحكمها، وإن كل المراتب بحكم بها ولا يحكم عليها، ولذلك يحتد أهل المراتب الذوقية لا يترقون من المراتب الجزيئة والنظرية إلا بحكم أذواقهم، وكذلك أهل المراتب الجزئية أو النظرية لا يدخلون في سواء مراتبهم إلا بحكم مراتبهم، ولذلك ينكر بعضهم على بعض إذا قابله بخير حكم مرتبته، وأما المحقق المجرد المطلق فيخاطب أهل كل مرتبة بلسانها، ويعاملهم بكيلها وميزانها وكل شيء عنده بمقدار فافهم.

واعلم أنك ليس لك من كلام المحقق الحق إلا ما فهمت منه، وليس لك إلا ما شهدته فيه، فاعمل على أن تشهده من حيث علمك بحقه لا من حيث أنسك بخلقه تتحقق بمشهودك منه، فيقوم حقًا مبينًا إنه بكل ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت:54]، وهو بكل شيء عليم، وهو وهو بما هو سيدي وربي، وهو مولاي وحسبي ليس إلا هو ما أعظم لنا قدرك إذا تعينت المظاهر الربانية والإلهية في إدراكك، وأفاضوا أنوار الحق المبين عليك فقابلتهم بالإيمان والعرفان بصدقهم والقبول الحسن بحقهم فهنيئًا لموجودك بما انجلى في شهودك من مداركك إلى وجودك من حيث تتعين متحققًا في مشهودك فافهم.

من شغله الحق كما قال في سليمان: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا﴾ [ص: 34]، به لم يشغله؛ أي: شيء كان في المملكة التي أقمناه فيها بجسده فقط، وأما قلبه فعندنا فكان في ذلك كما جاء في «الصحيح»: «نام عبدي وهو ساجد»[2] أي: لم يشغل بسجوده عن معبوده، فقال الرب لملائكته: «انظروا إلى عبدي جسمه بين يدي وروحه عندي»[3] فافهم.

---

(1) رواه أبو داود (4412)، والنسائي (5434)، وابن ماجه (3861).

(2) رواه الترمذي (72).

(3) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (307/8).

المراتب الجهوية تقابل وتخالف، فلا فوق إلا ويقابله تحت، ولا أمام إلا ويقابله وراء، ولا يمين إلا ويقابله شمال، فإذا انتهت دائرة الجهات بمحدودها لم يبق وراءه جهة ولا مقابل، ولذلك لما جاء أئمة الهدى الختاميون بالأمور الحقية السماوية الجهوية قابل كل منهم باطل مخالف لحقهم مضل مخالف لهديهم تحت مخالف لفوقهم شمال مخالف ليمينهم قلب مخالف لوجههم، كما جاء آدم لنا فقابله إبليس، وجاء نوح فقابله دجال زمانه حام، وجاء إبراهيم فقابله دجال زمانه نمرود، وجاء سليمان فقابله دجال صخر، وجاء موسى فقابله دجال فرعون، وجاء عيسى فقابله في حياته الأولى بخت نصر، وفي حياته الثانية الدجال، وجاء محمد ﷺ بالناطق النافذ من الجهات ومحدودها فلم يكن له مقابل، وإنما أتى بالإحاطة الحقية، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ [الإسراء:60]، هو الأول والآخر والظاهر والباطن، وإنما هو حق قذف به على الباطل، فإذا هو زاهق وكشفه وبيانه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكنه لما تنزل بعين جمع الأئمة ورثهم مقابلهم كما قال: عن عمر مثله في الأنبياء موسى.

وقال: «اللهم انصر هذا الدين بأحب الرجلين إليك عمرو بن هشان يعني أبا جهل، وعمر بن الخطاب»[1] فكان أحبهما إلى الله عمر، فلذلك عمر بن الخطاب وارث موسى، وكان أبو جهل مقابلاً له، فقال عنه السيد الكامل: هذا فرعون هذه الأمة، وقس على هذا خاتم الأنبياء وخاتم الأولياء، لهذا قال: الوجهين والله إني لأعلم أن محمداً صادق فافهم.

العزم عبارة عن التجلي عن الحكم والإثبات والعدم المحض عبارة عن: التجرد عن الحكم مطلقًا، والوجود عبارة عن: الذات حال الحكم عليها، والحق المبين للكل هو الوجود[2] وهو ذات العلم الذي لا يزيد على عالمه ولا معلومه فهو عالم بنفسه

(1) رواه الترمذي (3614).

(2) قال الشيخ: الوجود هو الذات المقتضي لنفسه أن يُقضى، وما ثَمَّ إلا هو، فيقضي لنفسه بنفسه، وعليها قضاءً إيجابيًا على طريقة التجريد البيالي، إلا أنه إيجابي، فهذا القضاء لازمٌ له في كل موجود، وما هو إلا هو في الحقيقة؛ لأنه المقتضي أن يُقضى، ويُسمَّى قضاؤه هنا باعتبار ما هو محقق مقضيه علم فعلي، وباعتبار ما هو كاشف له متعينًا بذلك المقضي علم
-

وبماله من صفات لا تتناهى وأفعال كذلك، وعلمه فعلي أعني تحقق معلومه وليس هو متأخر التحقق عن معلومه فهو وجود عليه، ومعلوماته فهو موجود نفسه وصفاته وأفعاله وصوره معلومة من نفسه في علمه التفصيلي الذي هو صورة عليمه في علمه الذاتي هو الوجود باعتبار ما هو ذات هذه الصورة سمي الله بصورة علمه في علمه الذاتي هو الوجود باعتبار ما هو ذات هذه الصورة سمي الله بصورة علمه بعلمه هو العقل الأول.

ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذات هذا العقل رحمن، وصورة علمه بإرادته هو

-

انفعالي، والأول حقيقة كل مرتبة فاعلية، والثاني حقيقة كل مرتبة قابلية، وقضاياه هي موجوداته، وقضاؤه التحديدي هو المسمّى بالإدراك، والإدراك أربع مراتب: مرتبة التحقيق التجريدي، بمعنى كون الماهية عرية عن لواحقها الإدراكية، وهذه المرتبة بفاعليتها عقل، وبقابليتها تعقل، وكل ما في نظامها أعيان عقلية.

ومرتبة التشخُّص التنويعي، وهذه المرتبة تُسمّى بفاعليتها خيالاً، وبقابليتها تخيلاً، وكل ما في نظام هذه المرتبة تُسمّى أعيان روحانية.

ومرتبة التحقق الإضافي، وهذه المرتبة تُسمّى بفاعليتها وهمٌ، وبقابليتها توهم، وهذه كل ما في نظامها تُسمّى أعيانًا نفسانية.

ومرتبة التشخُّص الجزئي، وهذه المرتبة تُسمّى بفاعليتها حسٌّ، وبقابليتها إحساسٌ، وكل ما في نظام هذه المرتبة يُسمّى أعيان مادية.

الأول: يُسمّى وجودًا زائدًا لما بعده، والثاني: ماهيات صورية مفارقة، والثالث: حقائق مادية بسيطة، والرابع: صور مادية مركبة، والأول يُطلب بكلمة (هل)، والثاني (ما)، والثالث بكلمة (أي)، والرابع بكلمة (مَن)، مثال ذلك قولك: هل هنا شيءٌ؟ فيُقال: نعم، فتقول: ما هو؟ فيُقال: حيوانٌ، فتقول: أيُّ حيوان؟ فيُقال: ناطق، فتقول: من هو هذا الحيوان الناطق؟ فيُقال: زيد.

وكل كون حركي بأي حركة كانت فإنه فلك، ومبدأ حفظ نظامه منه هو ملكه، فالمحسوسات أفلاك دُنى، وصورُ النفسانيات أفلاك طرائق لها طرقها بالإمداد التوليدي، وأعيانها الروحانيات أفلاك طباق لها بمطابقتها لها تقوم، وأعيانها العقلية أفلاك عُلا، ونفس حفظ الأولى يُسمّى: نفسًا جمادية، والثانية: نفسًا نباتية، والثالثة: نفسًا حيوانية، والرابعة: نفسًا ناطقة، وهذا هكذا على عمومه، وإن تفاوتت أحكامه المرتبية بتفاوت خصائصه الترتيبية فعلاً وقبولاً. [المسامع ص 333]. بتحقيقنا.

الروح الكلي، ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذاته حيًا، وصورة علمه بقدرته هو النفس الناطقة، ويسمى الوجود باعتبار ما هو ذاته قيومًا، وهذه الأصول هي التي عليها مدار الصفات كلها، وصورة علمه بفعله هو الوجود الكلي الذي باعتباره يسمى الذات الوجود بأسماء صفاته، ووجوده إلى حكم إمكانه وحدوثه، فالوهم شأنها، وقضاء الوجود من حيث ذاتها، ومنها يقع التغير الذاتي حكمًا لا ذاتًا إذ ليس بالذات إلا ذات واحد أحد فافهم، ثم العقل شأنه العلم والعرفان والروح شأنه الكشف والبيان والنفس شأنها التمييز والخيال والطبيعة شأنها الحس والحركة أعني: التشخيص والتنقل في الإصرار، وهذا النظام الوجودي في كل موجود فما من موجود إلا وهو بوجود الذي هو ذاته عاقل عالم عارف وروح كل شيء مبين، ونفس مميز متخيل وطبيعته حساسة متحركة في كل مرتبة بحسبها، والتعقل أم كتاب ذلك كله، والكشف كتاب مبين، والخيال لوح محفوظ، والحس كتاب مسطور، والهيولي رق منشور ومكتوبات كل كتاب متعلقاته التي هي تجليات وجوده في شأنه الذي هو له علم ذاتي في مرتبته، وإن كان هو علم تفصيلي للوجود من حيث هو مسمى الله تعالى فافهم[1].

---

(1) قال الأستاذ العارف الكامل سيدي علي بن وفا -نفعنا الله تعالى به، ورضي عنه- آمين:

ذواتنـــــا وجـــــودهْ وعيـــــشُنَا شـــــهودهْ

اعلم أن كل ما سوى الله تعالى من جواهر وأعراض لا تحقق له إلا بالوجود ضرورة إنه قبل وجوده عدم، والحق أن الوجود الشيء هو نفس ذاته كما هو مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري، وليس بزائد عليها كما هو مذهب الإمام الرازي، فأشار العارف بالله تعالى نفعنا الله به إلى ذلك بقوله: «ذواتنا وجوده» ولما كان لا قيام لذواتنا إلا بوجوده تعالى أطلق عليها أنها وجوده بهذا الاعتبار، فالمعنى: أنه تعالى وجود ذواتنا فهي موجودة به تعالى إذا هي عدم، والعدم لا قيام له بنفسه، ومعنى كون وجودها أنه تعالى مفيض عليها الوجود الذي لا قيام لها بدونه، فالذوات لها جهتان: جهة خلق، وجهة حق فهي من حين وجودها الخارجي الكوني الحد ثاني خلق محض، ومن حيث وجودها القائم بها حق محض، فمن كشف الله تعالى الغطاء عن بصر بصيرته، ورفع الحجب عنها بعد تطهير سريرته نظر إليها من الجهة الثانية، فكانت له عن شهود غيرها ثانية.

فعند ذلك يسمع نداء الحق من واجهته المقدسة عن التعلق بالأغيار: اخلع نعليك فها أنا معك، وبه بك فليس المقصود الدار، وما حب الديار شغفن قلبي، ولكن حب من سكن الديار ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا﴾ [طه: 14] من حيث حقك، فاعبدني من حيث خلقك

-

فما من موجود إلا وهو ينتظر أم الكتاب، وكتابه المبين، ولوحه المحفوظ، وكتابه المسطور، ورقه المنشور أبدًا، لكن الفرق بين الرجل النافذ وغيره، أن الرجل النافذ يرى ما يرى وهو لا يرى، فيكذب به أنه هو وهو يراه، فيكذب به أنه هو وهو يراه بعينه، كما إنك ترى السلطان متنكرًا فتعرفه خاصيته ولا تنكره، فيستوي شهودهم له في تعرفه وفي تنكره يقرون به له ولا ينكرونه، وأما غيرهم فإنه ينكره، وربما تجاهل عليه بالسلطان فاستكبر عليه به، وهو لا يشعر كما في الصحيح فيأتيهم الله في صورته، فيقولون: نعوذ بالله منك، ما أنت ربنا، فيتحول لهم في صورة يعرفونه بها، فيقولون: أنت ربنا أنت ربنا، فافهم، فإذا فهمت أن كل موجود متخيل ناظر يتميز في عالم خياله علمت أن كل موجود ناظر في اللوح؛ ولكن لا يعلمها إلا العالمون: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:35].

قد غلب عليه حكم الرحمن فلم يشغله شأن عن شأن، وكما كان على الملائكة أن يسجدوا لآدم بذلك على كل أمة أن تخضع طاعة وتعظيمًا وإيمانًا وتسليمًا لمن نفخ فيهم من روح ربهم ما بينهم به بحقائق أسمائهم، وقد أقيم فيهم مقام الإمامة والخلافة يحكم فيهم بالحق، فقوله فيهم هو قول الحق، وفعله هو فعل الحق، وهو الحق من ربهم حتى كان أبو بكر ﷺ إذا سمع قول: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ • ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ • مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:19-21] يقول: إني سمعت الله يقول.

وقال أبو موسى الأشعري ﷺ: «قال الله على لسان نبيه سمع الله لمن حمده»[1]، وقال الحق: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: 18].

وقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:17].

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[طه:14] قيامًا بواجب شكري، فحينئذ تستغرق في شهود الجمال المطلق ويغيب عن داره ثنوية الفرق، ويقول لسان حاله، وينشد فصيح مقاله تفرد معنى الحسن فيه فلا أرى ثنوية؛ فالأول أشهده معي وليس معي في الملك شيء سواه، والمعية لم تخطر على المعنية إذ المعية تشعرنا بالأينية [شرح القصيدة للغرس الوفائي] بتحقيقنا.

(1) رواه البخاري (253/1)، ومسلم (303/1).

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10].

وقال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 80].

وقال: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 136]، فالذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله والذين لم يفرقوا بين أحد منهم مؤمنون.

وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: 41]، ومجيئه تعالى تجليه العرفاني لعباده القائم مقام العيان وبخصوصياته الناطقة تجلى هذا التجلي، وعبر عنه بإتيانه في ظلل الغمام، فكل ظلمة في صورة إمام ينزل بالكشف والعيان ما فيه شفاء ورحمة للمؤمنين فافهم هديت إلى سواء الطريق.

واعلم أن كشف محمد ﷺ بحقائقه من تقدمه، وما كان عليه ناطق بأنه الكل وتمثله المحيط بهم فلا تكن من الممترين: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: 95، 96] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: 4]، وهو حكم صورته الرحمانية المحرمة رددناه بالتعلق أسفل سافلين وهي غلبات صورته الكائنة الفاسدة فافهم.

خلقت كل شيء من أجلك مصداقه ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: 13]، وخلقتك من أجلي فالقائم كله بذاته يطلب الله الرحمن، فإذا أردت أن ينقاد إليك العالم بلا كلفة فكن إنسانًا، وعلامة كونك إنسانًا أن لا تجد طلبًا ذاتيًا إلا الله الرحمن، وأثر هذا فيك تعلق هيئتك بأسباب تحققك به على قدر مقامك، وتجرد همتك عن التعلق بموانع ذلك، والعائق عنه وقف على ما حد لك ربك فهو أعلم، واعمل على شاكلة إدراكك الرباني فهو أحكم وأصدق في محبة من شئت، فإنك به تتحقق وفي صورته ترسم واجعل حبك للأحد الذاتي، وتحقق به على قدر صدقك من حيث أحببت حبك للأحد الذاتي، وتحقق به على قدر صدقك من حيث أحببت تغنم كل مغنم، والله بكل شيء محيط إنه بكل شيء عليم، وهو بما هو سيدي وربي وهو مولاي، وحسبي ليس إلا هو.

قلت: رأيت في المنام يوم الأحد رابع عشر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وتسعين وسبعمائة أنني بين نسوة فأرادت إحداهن أن تؤاخيني كما يفعل المتفرقون الذين يؤاخون النساء بالعهد على زعمهم فأبيت ذلك، فألحت علي وأنا شديد الاقتناع من ذلك، فقالت لها أخرى: ابنتي عاهدي فلان الرفاعي حتى تجيء يوم القيامة مع الرفاعية، وجعلت تريد أن تميل قلبها عن محبة سيدي إلى محبة الرفاعية، وهي لا تلتفت إلى كلامها فلما رأيتها ثابتة على التوجه تلوي عن نيتها أردت أن تزيد ثباتًا على الحق، أقول: لو رضيت أن أؤاخيها وأعاهدها لأتت يوم القيامة مع الذين معي، ويدي هذه في يد محمد ﷺ حتى تدخل في حضرة الله بلا حجاب ولا واسطة، وليس هذا إلا حد من الأولياء سوى أصحابي، فصارت تلك المرأة رجلاً، وأقبلت عليها أربيها بالمقال المصحوب بالحال، فقلت لها: رؤية العارف غنيمة الحياة الدنيا، وانظر لما كان عيسى عليه السلام عرشًا محمديًا جرت عليه هذه السنة بنذرتها أمها وتقبلها ربها، وجردها عن رؤية غيره، وقصر نظرها على وجهه الرحماني، فقال لها: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26].

وفي هذا ستر، وهو أن المريد الصادق إذا علم أن أستاذه حق رحماني أحدي ناطق بجرده عن حكم المغايرة إلى شهود الأحدية، فرآه أحد معرفًا للأحد موحدًا للوجه الأحدي في حجاب بشري كان من كمال إرادته أن يشهد ذلك الأستاذ من حيث وجهه لا من حيث حجابه، فإذا كلمه يعلم أنه حينئذ كليم الرحمن لا كليم البشر، وإذا عامله فليعمل على تلك الشاكلة فهذا حقيقة ما اقتربت به المقبولة المتقبلة بقبول حسن أنها لا تعامل إلا كفيلها الأحد من البشر، والروح المتمثل لها بشرًا سويًا فإنه أحد من البشر والكون المحمدي الذي هو حضرة من حضرات خدمته في مظهرية عائشة وخديجة؛ لأن ما لأحد من البشر إلا معاملة لعبد ربه، فإما ترين من البشر أحدًا فتشهدين وجه الأحدية في مظاهر الكثرة، فاعملي على شاكلة شهودك هذا فقولي: إني نذرت للرحمن هو ما حيث أحدية الجمع، وجمع أحدية الكثرة صوما إمساكًا: «والصوم لي وأنا أجزي به»[1]، فنذرت ذلك، وقالت: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا

(1) رواه البخاري (6989).

﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26] فلم يحل ذلك بنذرها لأنها لم تكلم إلا الرحمن في شهودها، ومن هنا قال بعضهم: لي ثلاثين عامًا أكلم الحق والناس يحسبون أني أكلمهم فافهم(1).

اطلب من نفسك الصدق في معرفة وجوه خصوصية لعل التخصيص، ومحبتك لهم تنل بهم ما تريد، ولا تطلب منهم أن يشغلوا قلوبهم بك، وتهمل أنت أمر نفسك، فإن ذلك تعرض لتأثير الغيرة الإلهية مع قلة الجدوى، وانظر كيف يرد أن المختصين بالعذاب يوم القيامة إذا أريد خلاصهم اليهم كل منهم أن يقول: وامحمداه، فما نادى كل منهم إلا الصورة المحمدية الإيمانية التي كتبها الله في قلوبهم، وما جاءهم الخلاص والمدد إلا من لديه فافهم ففي كل شخص أحدي محمد تكثر، وهو الفرد في العددية، يا ابن الخليفة الرباني والملك العظيم آدم وإبراهيم اعلم إني جعلت في قلعة نفسك

---

(1) قال الشيخ نحوه في الوصايا: وانظر كيف لما كانت مريم عرشًا محمديًّا جرت عليها هذه السنة بنذرها فنذرتها أمها، وتقبلها ربها، وجردها عن رؤية غيره، وقصر نظرها على وجهة الرحماني، فقال لها: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26]، وفي هذا أيضًا سر وهو أن المريد الصادق إذا علم أن أستاذه حق رحماني أحدي ناطق بجرده عن حجب المغايرة إلى شهود الأحدية، فرآه أحدًا معرفًا للأحد موجودًا الوجود الأحدي في حجاب بشري كان من كمال إرادته أن يشهد ذلك الأستاذ من حيث وجهة لا من حيث حجابه، فإذا كلمه يعلم أنه حينئذ كليم الرحمان، لا كليم البشر، وإذا عامله فليعمل على تلك الشاكلة، فهذه حقيقة الرحمان لا كليم البشر، وإذا عامله فليعمل على تلك الشاكلة، فهذه حقيقة ما أمرت به المقبولة المتقبلة بقبول حسن لنها لا تعمل كفيلها كأحد من البشر والروح المتمثل ﴿لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17] فإنه أخذ من البشر والكون المحمدي الذي حضرة من حضرة خدمته في مظهرية عائشة وخديجة؛ لأن ما لأحد من البشر إلا معاملة العبد ربه الرحمن ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا﴾، فتشهدين وجه الأحدية في مظاهر الكثرة فاعملي على شاكلة شهودك هذا وقولي: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ صاحب أحدية الجمع، وجمع أحدية الكثرة ﴿صَوْمًا﴾ إمساكًا «والصوم لي وأنا أجزي به». فنذرت ذلك ثم قالت: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: 26]، فلم يحل ذلك بنذرها؛ لأنها لم تكلم إلاَّ الرحمن في شهودها، ومن هنا قال بعض القوم: «لي ثلاثون عامًا أكلم الحق، والناس يحسبون أني أكلمهم» فافهم.

البشرية، وصورتك الجسمية قبولها لخندق الموانع عن الوصول إلى المدينة العلمية والحضرة الرحيمية ولا جسر لك تجوز هذا الخندق عليه إلا نفسك البهيمية، فإن أنت شلتها، ورفعتها على الرؤوس سدت بابك، وحرمتك من ثدي المدينة والحضرة طلابك، وإن أنت وضعتها تحت الأقدام انفتح لك الباب، ووجدت لك طريقًا إلى الأحباب ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل:19]، فافهم.

الأمور الناشئة عن الأسباب الكسبية، تلك الأسباب لها كالماء للزرع متى انقطع عنه مات، فكذلك المتفكرون متى تركوا التفكر عطلت معتقداتهم النظرية، والمتقشفون متى تركوا تقشفاتهم بطلت تأثيراتهم الكونية ومكاشفاتهم الصورية، وما كان لله فهو باق ولسان الوهب الإلهي يتلوا على نتائجه إن هذا لرزقنا ماله من نفاد: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: 2]، والله أعلى وأعلم.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: 19]، وما خلقنا هذا باطلاً وسائر الجثمانية أمثال فيه خير وشر فهو مما أظهره الحق: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:26]، كالخمر مثلاً فيه إثم كبير ومنافع ومن جملة منافعه أن ينظر المؤمن في السكر كيف هو حقيقة زوال ما كان مانعًا من ظهور الأسرار حتى أن السكران عند سكره يظهر مالا كان يظهره حال صحوه، فسكرة الموت هو رفع الحجاب عما كان مستورًا في الدنيا عن أعين الناس من أمور الآخرة.

وقلوب الرجال المؤمنين هم كرم الراح التي مددها يوجد هذه السكرة الكسبية سكرة الحق كما قرأ الصديق ﷺ وجاءت سكرة الحق، وسميت الفردوس فردوسًا لأنها حضرة المشاهدة بسقفها عرش الرحمن وهذه هي دار محمد ﷺ صاحب الرواية، فحضرته في الدنيا فردوس إيمانه، وفي الآخرة فردوس جنانه، وإنما ترى الحق في الآخرة عين العيان بالنور الذي رأيته به في الدنيا بعين الإيمان والعرفان، ومن ثم قال: اليوم أريكم وجهي كما أسمعتكم كلامي فرؤيته هناك على قدر الفهم هنا اقرأ، وارق في درجات المشاهدة، ومنزلتك عند آخر آية تقرؤها فقل على الدوام ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:114] كيلا تحجب عن عزه الذي أيضًا هي، وتجلياته التي لا تتناهى.

واعلم أن من شهد الله مولاه الحق شهده به محيطًا، فهو في حضرة لا يقابل حقها باطل، ولا هداه ضلال، ولا نعيمها عذاب، ولذلك كانت درجات الجنان السبعة في مقابلة الإدراكات السبعة، والجنة الثامنة لا مقابل لها، وجهنم لها سبعة أبواب مذكور مرة في قوله الحق زين للناس الآية، والجنة لها ثمانية أبواب فالثامن لا مقابل له وهو باب شهود الإحاطة قيومية الحق، وصراط هذه الحضرة هي التي تغشي الشيطان بالصد عنها، فإذا دخلها الداخل لم يجد فيها إلا رحمانًا رحيمًا، فافهم والله أعلى وأعلم.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:113]، ما لم تكن تعلم أي: ما لا يكتسب ولا في قوة الحادثات وهو التخيل في حصول المجتلب ولكن الله بتخصيصه وفتحه يختص به لمن يشأ ويهب وهذا العلم الموهوب هو الاطلاع على بر الحق في العالم المحجوب وبنور هذا العلم يخرج الخبأ في السموات والأرض وينكشف ما يخفون وما يعلنون وهو أيضًا علم لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهذا هو المعبر به عن الروح التي هي مبدأ كشفه وبيانه بفضل الله وبكل شيء في قول سليمان ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل:16].

مبدأ البيان ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ [النمل: 15]، وروح محمد ﷺ في أم هذه الأرواح فهي الفضل الإلهي العظيم والرحمة مبدأ الحكمة والحكمة بيان ما فيه وبه صلاح النظام للأجسام والنفوس والأحلام وهي الرحمات التي هي النفوس الناطقة بالحكم وأنها الناطقة المحمدية فهو يقول في العلم والحكمة ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس:58]، وقد سمى الله محمدًا ﷺ فضل الله في قوله ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة:2] ثم ذكر قضية العلم والحكمة، ثم قال ذلك المبعوث فيهم: ﴿فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:21]، فالناطق الختمي والروح المحمدي مضافان لله بلا واسطة فافهم.

وحيث ما جاء ذكر الفضل كفضلنا أو ذكر تفضيلاً وقوله: ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:7] إشارة ترجع أيضًا

إلى تفاوت الأذواق الروحانية، فإنه جاء مجيء المثل والله أعلى وأعلم ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام:50]، نفى أن يقول لهم إلا المسكوت عنه؛ ولأن يقوله إلا لمن هو أهله ثم قال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [الرعد:16] أي: الذي لا شهود له ولا معاينة وهو متحير في القول إن شاء صدق توهما وإن شاء كذب تحكمًا والبصير الذي هو بضد ذلك فنبه بهذا على حكمة قوله ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ ﴾ [الأنعام:50] فافهم.

انظر كيف لما كان بين من حقيقته غيب عنهم في حجاب الصورة الخلقية التي تحول لهم فيها قال لهم لا ﴿ لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى ﴾ [الأنعام:50] أي: بضمير المتكلم ولكن أقول لكم: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ ﴾ [الأنعام:59] بضمير الغيبة والكل في الحقيقة واحد فافهم.

القابل[1] كماله الوجودي في مقبوله والمقبول كماله الشهود في قابله وكل ماهية تحت كمالها حبًا ذاتيًا والحب سبب تحقق المحب بالمحبوب فافهم.

المحبة جالت بصفات الحق في الخلق لما تعلقت به فصيرت البخيل كريمًا لمحبوبه والعاصي مطيعًا لمحبوبه والعجول حليمًا لمحبوبه والضعيف قويًا لمحبوبه والجبان نصيرًا لمحبوبه وقس على هذا فافهم.

القلب سمي قلبًا لأنه في العلم الأزلي حق بطن في قوته خلقه فانقلب في العلم الأبدي، فصار خلقًا بطن فيه حقه فهذا الحق في الأزل بيت عبده، وهذا الخلق في الأبد بيت ربه، وكما ظهر الخلق بالحق أزلاً كذلك صار الحق قوي الخلق أبدًا وكما كان، وكما كان الحق بالخلق يخلق أولاً فينتقل من معاني القدم والوجوب إلى معاني الحدوث والإمكان، كذلك صار هذا الخلق بالحق يحقق أبدًا فينقل من معاني الحدوث والإمكان إلى معاني القدم والوجوب.

فالمراتب الوجوبية والمعاني القدمية إيجاد العبد بربه، والمراتب الحدوثية والمعاني الإمكانية صيغة الرب بعبده من الحق مبدأ الخلق للخلق بالخلق، ومن الخلق معًا والخلق للحق فافهم، والحقيقة والخليقة صفتان حكميتان حققهما الوجود الذات بعلمه

(1) وقال الشيخ ﷺ: القابل هو حقيقة مقبولاته بمعانيه التي هي مبادلها في كل مقامٍ بحسبه.

الفعلي، وتعين بهما في عمله الانفعالي، فكان كذلك ثم رتبهما بين ظهور وبطون كما تقدم فكان ما سمعت فافهم.

القلب مفطور على صورة الحق فهي حياته وشبابه، فإذا هرمته عوارض الحجب والغفلات صار سندل[1] نار المحبة قوي به فيها فلم تؤثر، فكيف يرجع إليه شبابه إذا كان للحق بعبده عناية جعل أسباب أشقى الأشقياء من أسباب سعادته يذنب وينكسر ويستحي ويتذلل، ويذوق طعم الحجاب والبعد، فيعرف قدر الكشف والقرب، فيزد شكرًا فيزداد فضلاً، والمعكوس منكوس فضلاً، والمنكوس معكوس عدة أن الله يحكم ما يريد فافهم، ومن أجرى الحق بجرى إرادته فذلك كامل فافهم، العقول أسماء الله الإله، والأرواح أسماء الرحمن، والنفوس أسماء الرحيم، والطبائع أسماء الكون فافهم.

جاء في الخبر المحمدي أنه قال ﷺ: «من أحبني فليعد للفقر جلبابًا»[2] أي: للتجرد عن النسبة إلى الغير فهذا هو حقيقة الفقر «ومن أحب الله فليعد للبلاء جلبابًا» أي: التخلص والتجرد عن الغير، فالبلاء بمعنى التخليص من الأغيار وبمعنى النعمة وبمعنى الاختبار وهو من الأول.

قال: «فإن الفقر أسرع إلى من احبني من الماء إلى قراره، وإن البلاء أسرع إلى من أحب الله من السيل إلى أسفل الوادي» فانظر فيه من المعارف والحكم، فإن أحببته من حيث حقيقة فأعد للبلاء وهو التمحيص ثم التخليص ثم التخصيص جلبابًا، وإن أحببته من حيث خليقته وأنت شاهد كماله الحق، فأعد للفقر جلبابًا وبكل حال، فلا تجتمع محبة الحق ومحبة ما دونه، ولا يحب الحق من اتخذه وسيلة لما دونه؛ لأن المتوسل بشيء إلى شيء محب لقصده بالذات، وللوسيلة بالغرض لأجل ذلك القصد، فمتى حصل به مقصوده تركه فهو راغب عنه في صورة راغب فيه، كما كان من الجن في صورة ملك فأبت الحقيقة المرئية إلا أن تغلب بحكمها على أحكام عوارضها فافهم.

---

(1) السَّنْدَلُ طائر إذا انقطع نَسْلُهُ وهَرِمَ ألقى نفسه في الجَمْر فيعود إلى شَبابه وقال غيره هو دابَّة يدخل النار فلا تُحْرِقه.لسان العرب (11/348).

(2) ذكره المتقي الهندي في الكنــز (6/484، 618).

الحمد لله الذي صدقنا وعده إذًا الحمد وصف الجلالة[1]، أو اسم آخر فقد خصص الموصوف بجهة الصفة، فالمراد هنا الذي وعدهم ليستخلفهم في الأرض؛ أي: ليقيمهم في الصورة الأرضية بحكم العبودية، ويحكمهم في إيجاد تلك الأحكام التي يوجدون في الجنة، ويتصرفون فيها كيف شاءوا ولو لم يجعلوا في الصورة الأرضية، وبقوا على محض وجودهم المفارق لم يتأت لهم ذلك، ولم يكن لهم هذه الجنة الجثمانية، نعم إذا النعيم تابع للذة واللذة تابعة للمناسبة، وما يناسب الجثماني إلا جثماني الجسم المطارق بالمفارقات، ولو حيل بينه وبينهما بالجثمانيات الحيوانية، وبين نعيمه فيتألم فافهم.

التراب صورة العز ألا ترى أن الوجود لا يعرف قدره سيما حيث ظهر عنه بتنزيهه عنه السر العظيم ما ظهر به فيه، وهل ظهرت الأسرار إلا في هذه الأطوار، ولذلك يقول الحريص على العزة حتى أنه تعبد للمحجوبين عن العزة الحقيقية يبتغي عندهم العزة، وقد أخطأ الصواب وطلب الضد من الضد، إنما العز في التحقيق بالمرتبة الإلهية التي ظهرت في هذه المظاهر البشرية بأعيانها الناطقة، وأرسلت هويتها للقابلين كشفًا وبيانًا، فتكبر عليهم من ليس له في حقيقة العزة الإلهية نصيب باطن، إنما حظه من ذلك عزة ظاهرة هو فيها محكوم محصور مغرور: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾ [ص:2]، فصار ترابًا بين يديهم ومن سبقت له الحسنى بذلك، فانجذبت عزتهم لما في باطن ذله لهم من العز جذب الشيء إلى حقيقته: ﴿فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾ [النساء:139] ولرسوله وللمؤمنين بتعينها لتحققهم به.

فإذا انقلبت الظواهر، فأبليت السرائر وتقلبت القلوب والأبصار هناك ما لا يدركه هنا إلا البصائر ظهر بالعزة من كان للحق ترابًا، وأصاب الذين كانوا في عزة وشقاق صغار عند الله فهناك: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:40]؛ لأنه

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: واسمه الجلالة، فالجلالة لاهوت الهو من حيث اعتباره متعينًا بها، فالجلالة هوية مرسلة للهو، وهو لها هوية سارية، فالهو والجلالة ذات في وحدة مطلقة غيبًا وشهادةً، والرحمن تعين الجلالة بمبادئ معلوماته ومدركاته وأحكامه، فهو للجلالة هوية مرسلة، والرحيم تعين الرحمن بتمايز متعلقات معانيه تمايز الاستقلال، الأول شأنه امتناع إثبات النفي والإثبات، والثاني إثباته، فالرحيم للرحمن والجلالة للهو.

عرف أن تراب صورة معناه العزة، فلما قلبت صار معناها عينها ظهرت بالعزة، فكانت أرضًا مقدسة يطوف الرحمن فيها على عرشه ملكها له بلا حجاب منازع، وقد تجلى بالواحد القهار وتلقاها بيمينه، فجعلتها نزلاً للذين كانوا فيها أترابًا.

وأما الذين ظهروا فيها بحكم باطنهم محصورون، فلم يظهروا إلا بما رسخ من باطنها على ظواهرهم حتى فرغت بواطنها من ذلك المعنى، وصارت عليهم ذلاً صرفًا، فمن كان ترابًا ذليلاً هنا كان هناك عزيزًا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم:48] وما تبدل عين الأرض إلا بأن تصير غير أرض، فهي نضير عزة سمائية فيصير من انقلبت ترابيته عزيزًا بالعز الباطن في ذله أكثر ومن لا فلا.

واعلم أن هذا حكم المنشئين من تراب، وأما مظاهر الله فهم في هذه الصورة التي دون المرتبة الإلهية كلها بطريق التحول، فعزهم لذاتهم الإلهية في كل عالم فافهم.

سمي علي ﷺ أبا التراب ليعلم أن العلوم تراب فافهم.

لولا التراب ما ظهر غيث من السحاب فافهم.

كن ترابًا تكن منشأ السحاب ومحتده وحاله فافهم[1].

مهما حققته وكشفته فعنك بدا، وإليك يعود بلا شك، فاجتهد في تحقيق معارفك النزيهة العظمى، فإنك تتحقق بها بعد الموت عيانًا وحكمًا، كما تحققت بها قبله حياة وعلمًا وذلك هو عدد ما بدا منك إليك: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران:30]، أو كل إلى بدائه عائد فافهم.

من قضى وخرج عن بشريته على طريق العبودية رجع إلى عوالم حقيقته على طريق الربوبية، ومن عكس انتكس وإلى ذلك أشير بالذهاب إلى مصلى العيد على طريق والرجوع على طريق فافهم.

الضدان متلازمان متقابلان ما ظهر أحدهما بحكمه إلا بطن الآخر بحكمه في

---

(1) قال سيدنا المصنف في الوصايا: إنما السحاب أبخرة، وأدخنة أرضية فهو من الأرض بدءًا، وإليه يعود بما بطن فيه منها فافهم.

كن ترابًا تكن منشأ السحاب، ومخدومه، ومآله فافهم

التراب صورة العز ألا ترى أن الوجود فيها لا يعرف قدره سيما حيث ظهر بتنزيهه عنه السر العظيم ما ظهر به فيه وهل ظهرت الأسرار إلا في هذه الأطوار.

ظهوره، ولا ضد إلا في مركب، وأما البسيط الحقيقي فلا ضد فيه بالنسبة، وإن كان له معنى لو حصل المركب كان هذا بالنسبة إلى المركب؛ لأن البسيط الحقيقي جهة واحدة باطنة ظاهرة وظاهرة باطنة بالنسبة إليه، فلو كان فيه ضد لاجتمع بضده، وإلا فأين كان ينفرد عن ضده فيه وليس إلا جهة واحدة فافهم، السماء ظاهرها عز رباني وباطنها ذل عبداني، والأرض عكسها وكذلك كان باطن السماء صور أنواع العبادات؛ لأن الملائكة قائمة بالتسخير والتصرف التكويني قضاء للحاجات الإنسانية الآدمية، والأرض باطنها الأقوات التي لخدمتها ينزل جوهر السماء، فيفضل ذلك المقدور المحمل في صور كونية عبدانية تناسب باطن السماء، فإذا انقلب العالم بانقلاب الإدراك الظاهر باطنًا والباطن ظاهرًا، كانت السماء أرضًا وملائكتها ملوكًا والأرض سماء والعباد الصالحون منها أربابًا فافهم.

مبدأ حقيقتك الروحانية أحق بك من مبدأ حقيقتك الجثمانية ولذلك كان أبوك أحق بك شرعًا من أمك، وأنت ومالك لأبيك؛ لأنه مركب ما هو منه لا من الأم فيلزمه إمدادك بمصالحك بلا عوض منك ولا منها بخلافها، وإنما لم يكن له انتزاعك منها بغير رضاها في السر الذي لا يظهر عليك فيه آثار ما هو مبدؤه لأنك ظاهر حينئذ ظهورًا غالبًا بحكم ما هي مبدؤه، وانضم إلى ذلك كونه سلمك لها راضيًا بوضعك من مستقرك منه في مستودعك منها، فكان كالمتصدق عليها بك فلم يبق له رجوع إلا بإسقاطها حقها منك، وقد نبه الشرع على ذلك بتعليل رد موسى على أمه ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [القصص:13] فكيف أمرك مع ربك الذي هو مبدأ أول حقيقة.

وقال تعالى عنك: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر:29]، فعليه رزق جملتك ولاحق فيك بالحقيقة إلا له، وأنت وكل تابع لك هو لربك، وأبوك منه وأمك منه؛ لأنه صورتك العقلية والطبيعية منه، فلذلك هو أحق وأرحم، وأفرح بك من أمك وأبيك ومن كل ما دونه وصاحب الشيء أحق بشيئه فافهم.

الذي هو بخليقته مرشدك ومربيك هو بحقيقته ربك وهاديك فاعرف يا مريد من هو مرادك، ويا تلميذ من هو أستاذك والزم تغنم فافهم.

كل الخيرات الربانية في نظام الروح الإيمانية، فمن تحقق بروح الإيمان إلى يوم:

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ [الحج:2] ظهر له ما في باطن إيمانه من الخيرات أعيانًا ظاهرة محسوسة له على قدر تحققه بتلك الروح محبة وعرفان وإخلاصًا فافهم.

من وضع كل ذات حملها أن يظهر من كل شيء باطنه ومعناه، ويتكون عنه ما في قوته بالفعل فافهم، صورة العارف حقيقة جمع يوم الجمع والفرقان قد تجني الرحمن على عرش عقله بعلمه، وعلى كرسي إدراكه بحكمته، وكشف بناطقهم عن ساق الأمر كله فوضعت بين يدي كشفه، وبيانه كل ذات حمل حملها فلا تخفى منهم خافية على بصيرتهم الوافية، واستقر بتمييزه كل نبأ في مستقره ، فـ ﴿ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الشورى:7]. وقوم ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: 55]، فافهم.

علماء السوء أضر على الناس من إبليس؛ لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن عرف المؤمن ﴿ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص:15]،، فإن أطاع وسواسه عرف أنه عصى، فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه، وعلماء السوء يلبسون الحق بالباطل، ويريدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجدالهم، فمن أطاعهم ضل سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعًا، واعتقد أن الفحشاء والمنكر الذي يزينوه له من أمور ربه وإن ذلك الظلم والعداون الذين يرخصون له فيه حكم ربه، وكفى بذلك هلاكًا وفسادًا فاستعذ بالله منهم، واجتنبهم ما استطعت وكن مع المتقين الصادقين، فإن علماء السوء يجعلون للحق عليك سلطانًا مبينًا والحجة البالغة، والأولياء المتقون يجعلون لك من الحق سلطانًا نصيرًا وحجة بالغة هدى للناس الناس أجسام وأرواح، فالهدى لهم ما به يصلح ويحسن نظام أجسامهم.

ونظام أرواحهم الأول علم فقهها وأحكامهما، وهو الذي تسميه الجمهور شريعة، والثاني علم عارفين البواطن وأحكامها، وهو الذي تسميه الجمهور حقيقة والعلمان في نظام ما هو الهدي للناس، وهذه النعمة الربانية المسبغة ظاهرًا على العباد وباطنًا فافهم، من المتفقهين تستفيد دعوى العلم بأحكام الدين، ومن الأتقياء العاملين تستفيد حسن العمل بأحكام الدين، فانظر أي الفائدتين أقرب قربى عند رب العالمين استمسك بها والزم.

وإذا قال لك المتفقهون ماذا استفدت من الصوفية الصادقين؟ فقل لهم: استفدت منهم حسن العمل بما استفدت منكم من أحكام الدين، والله أعلى وأعلم يقال أن الإمام الشافعي ﷺ أنشد:

رضـــينا قـــسمة الـــرحمن فيـــنا لـــنا علـــم وللجهـــال مـــال

وهذا مأخوذ من قول الحق للقائلين: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البقرة:247]، ونظائر هذا فافهم[1].

نية القربات تصير العادات عبادات، فمهما أريد به الحق من المباحات فهو بذلك القصد حسنة من الحسنات، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا، وسير هذا الحسن المعنوي ربما يظهر على ظاهر ذلك الأمر كما يظهر على قول من أراد الحق بقوله القارئ حلاوة وطلاوة يتميز بها عن أمثاله، ويظهر على ملبوس من أراد الحق به يلبسه جمالاً وضياء يتميز به عن غيره حتى أنك ترى الصوف والكتان على المخلصين أبهج وأجمل من خالص الحرير الملمع بالذهب على غيرهم، وهذا ونظائره إنما هو من سر ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنًا فافهم، وبينك وبين أن تدرك أن تولي حب الدنيا ظهرك فافهم.

من له مولى فمولاه به أولى حيث ما تولى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [محمد:11]، فلا يبرحون بين يديه أينما تولوا، والذين فسقوا عن دين الله مأواهم النار هي مولاهم فهي بهم محيطة في سائر أحوالهم: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [التوبة:49]، فكن عبدًا للحق تغنم فافهم.

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم:22]، وما بث فيهما من دابة الخلق يراد به التقدير والصنع، والتقدير تارة يراد به التصوير العلمي، وتارة يراد به إعطاء المقدار أعني جعل الشيء ذا مقدار خارجي، وعلى كل تقدير فهذا الخلق أمره

---

(1) قال المصنف في «المسامع»: إنما ذلك حين قطعه المعرضون عن ذكر الله وأساءوا إليه، فرأى بعين اليقين أنهم إنما أضروا أنفسهم حيث انقطعوا عن الله بذلك.

اعتباري يحتاج إدراكه إلى آية علية، والخلق أيضًا يراد به المخلوق إذ ليس في الخارج منه إلا المخلوق، والخارجي مدرك بنفسه فهو آية ظاهرة سيما المحسوسات الجثمانية، وهذه الآية الكريمة أتت في بيان ظهور شواهد وحدانيته تعالى، فحمل الخلق على إرادة المخلوق فيها أولى من حمله على التقدير والصنع بالنسبة إليه كما تقدم، والمراد هنا بالدابة المتحرك بالإرادة وإذا تبين هذا ظهر أن الآية ناطقة بأن سائر المتحركات بالاختيارات ولاشك أن أفضلهم أو من أفضلهم النوع الإنساني، وأفضل النوع الإنساني أهل الولاية والعرفان، فالأولياء العارفون من أكبر آيات الحق وأعظمها، فكيف بخاتم الأنبياء وخاتم الأولياء الذي على قلبه ﷺ ولقد عين الحق تعالى جماعة بأنهم آيات فقال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة:259] ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [البقرة:259] أي: كيف نحييه ونركبه، أو كيف حفظنا عليه وجوده في المدة التي بها نحيي الدواب مثلها عادة سيما من غير طعام ولا شراب يكون قوله: ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ [البقرة:259]؛ أي: عظام كانت غير عظام هذا الحمار، وهذا أبلغ وأوسع علمًا وفائدة للناس ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:259]؛ أي: بهذا النظر الإيماني الرباني الذي هو مدد من إشهاد خلق السموات والأرض وخلق النفوس الذي من منحه، وشهد ذلك أن اتخذه الحق هاديًا إليه عضدًا؛ أي: نصيرًا لأمره مؤيدًا لدينه، كما أفهمه قوله تعالى في الأباعد المحجوبين عن هذا المشهد بعين الإيمان فضلاً عن العيان: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:51].

فمفهومه أن في أشهده الحق خلق السموات والأرض وخلق نفسه بعين العيان، والإيمان رؤية يشهد شاهدها إن الأمر والحكم والخلق كله لله الرحمن الرحيم جعله الحق هاديًا، واتخذه عضدًا؛ أي: نصيرًا لأمره مؤيدًا لدينه، وقال تعالى تبيينًا وتقريرًا: ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف:9]؛ أي: كانوا من عجيب آياتنا، وقال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ [مريم: 21]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المومنون:50] ونظائر هذا يشهد

بأن الأولياء من آيات الحق تعالى، ولا ينكر ذلك إلا ذاهل جاهل فافهم.

جاء في الحديث: «طوبى لمن رآني أو يرى من يراني»[1] وهذا إذا كان قول: من لا ينطق عن الهوى كان مما هو وحي يوحى أوحي إليه ﷺ فمن سمعه بفهمه السليم فكأنما سمعه يقول بلسانه والسنة مظاهره.

ما فات ناظر وجهي حسن طلعته، ولا سميع خطابي لذة الطرب يفهم هذا أيضًا من قوله: «من لم يتغنَّ بالقرآن فليس منا»[2] ويحمل الطرب على التغني بمعنى الشوق والطيران الروحي إلى الدرجات العلى، فحقيقة السمع المعتبر هو الفهم السليم كما ذكر الجارية التذكرة، ثم قال: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة:12] فأراد بالأذن الواعية الفهم السليم؛ لأن الجارية ليست مما تسمع بالأذن الواعية، والضمير في تعيها عائد عليها لا على ذكر والحروف خلاف الأصل، والتذكرة أيضًا مصدر تذكر فهي معنى، وحملها على القول خلاف الظاهر لا لفائدة.

وحقيقة الرؤية الخلقية ارتسام رقائق معاني المدرك في جوهر المدرك في كل مقام بحسبه فرؤية أوجه أهل الكمال الحقيقي من حيث هم به كمل من أكبر مغنم، وعلامته ارتسام رقيقة الكمال المشهود في جوهر نفس الشاهد بحسبه وحسب شهوده فافهم.

ومن شهد فعلها غالبًا على أمره حكمت فيه رقيقة مشهوده، وظهرت عليه علامة ذلك بظهور مقتضياته عنه فاعرف والزم، فطوبى لمن رأى حبيبًا للحق، فصار به حبيبًا للحق ثم طوبى لمن رآه هو أيضًا فصار به حبيبًا للحق، وهكذا يتصل المدد ما قام شاهد ومشهود بذلك كما تقدم والله أعلى وأعلم.

ومجالس الأولياء العارفين محاضرات روحانية لا يعبئون فيها من الفصاحة إلا بفصاحة اللسان الروحاني، وهي تحقيق المعاني ذوقًا وحسن تلقيها حقًا وصدقًا، فإذا أصبحت لهم هذه الفصاحة فلا عليهم إن كلت ألسنتهم الجثمانية، أو فصحت أو لحنت أو أعربت فإن الله لا ينظر إلا إلى القلوب، فاللازم إصلاح حضرة مشاهدة المحبوب فافهم.

---

(1) رواه أحمد (182/45)، والطبراني في الكبير (396/15).

(2) رواه البخاري (6972).

وفي أحاديث الرؤيا أيضًا: «رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأني في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب ناولت الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة»[1] فجعل أمر الآخر ابنًا ونتيجة أمر الدنيا، وإلا لن يكون على معنى صورة أبيه، وهذا يناسب كون الدنيا منامًا والآخرة تفسيره فاجعل دنياك مثل ما تحب أن تكون أخراك فافهم.

وكم في هذه الأحاديث من هذه الفوائد جم غفير والله أعلى وأعلم.

من أول الله صورته من دائرة القبح إلى دائرة الحسن صار حين تأويلها روحًا يبدل الله به السيئات حسنات: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [الزمر: 18] فافهم.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الكهف: 28] هذا خطاب لمن يسمع بفهم رشيد أن يصبر نفسه مع أولياء الله المخصوصين بخالصة الولي الحميد، فنعم الحظ هؤلاء في الدنيا والآخرة، وهكذا قوله: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف:29]، هو خطاب لمن يسمع؛ أي: يا من يسمع قولوا الحق الذي عندكم من ربكم لا تخشوا فيه لومة لائم: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:29] لا تريد بقول الحق إلا الله فافهم.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف:18] لعدم غفلة قلوبهم من ربهم فمن هو في نومه يقظان، فكيف به في يقظته وأيضًا فهم مع كونهم أيقاظًا لأحلام إنما هم بحسب جريان الأحكام الربانية كالنيام من السكون بروح حقيقة الإسلام من نور السلام فافهم[2].

حالك في منامك كحالك في مماتك، لا تقل منامي خيال لأنا نقول دعه خيالاً فأنا أوردناه مثالاً والمثال إنما هو تخيل يتوصل به إلى تحقيق المعاني هنا على أن المنام

(1) رواه مسلم (2415).

(2) وزاد في الوصايا: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ [الكهف:64، 65] الآية، وهذا العبد من آثارهما التي ارتدا عليها هكذا لكل ولي خضر هو تمثل روح ولايته كما لكل نبي صورة جبريل عليه السلام هي تمثل روح نبوته تظهر لحسة من قوة نفسه فافهم.

والممات ونحوهما شيئان واحد في كونه برزخيًا، وإن تفاوت الإدراك في مراتبه اليسر أهل المنامات تتفاوتين في صدق رؤياهم كتفاوت أهل اليقظة في إخباريتهم ونحو هذا.

والبرزخ وسط حاجز وحجر محجور بين الدنيا والآخرة ينتهي بالحصول في آخرها، وأوله آخره في حق أهل كل مستقر إلى حصولهم في مستقرهم القدرة النفسانية لا تقوى على الإيجاد إلا مع الحياة التي لا تقبل الفساد، فإذا دخل أهل الجنة باب الجنة حيث يسمون بالحي الذي لا يموت رفع عن قدرتهم الحجر البرزخي، وجاءهم الحي الذي لا يموت بالمكون كما أحل عليهم رضوانه، فلا يقولون لمرادهم كن إلا كان إلا كان قال: ﴿قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس:78]، أي: في حال رمامتها ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:79]، فيوجد الشيء في باطن ما يرى أنه ضده ثم ضرب المثل لذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس:80]، جاء في الحديث: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلالها خمسمائة عام»[1] الجنة صور خيالية أشخاص الأنواع الكلية كلها صور خيالية وظلالها جزيئاتها المحسوسة، فصورة الشجرة الفلانية في الخيال الجناني يسير الراكب في ظلها مهما عمر وأحسن، وقس على هذا فافهم.

الأمور الروحانية واسعة بسعة الكشف الروحاني، والأمور الجسمانية ضيقة بضيق الكشف الجسماني فمهما ظهر في أحدهما ظهر بحكمه، فمن ثم ظهر الروح الملكي في حسن الكشف الخيالي له ستمائة جناح لكل جناح يسد الأفق، ونحو هذا وظهر في حسن الإحساس الجسماني بشرًا مقداره ثلاثة أذرع، وهو في نفسه على حاله كما ترى مرة السماء في الهواء على السعة المعهودة، وتراها في المرآة الصغيرة على مقدارها الصغير في نفسها على حالها وقس على هذا فافهم.

الأمور الوهمية أوسع صورة، والأمور العقلية أوسع معنى، ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال، ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:143]، مجردًا عن كون يرى بالبصر الجسماني الذي سألتني أن تراني فيه ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الأعراف:143]؛ أي:

---

(1) رواه البخاري (4502)، ومسلم (5054).

إلى الجبل كونك فإني فتحول بصورة كونية التي أتعرف إليهم بها ففيها يراني البصر الجسماني، وتدركني المدارك الجسمانية: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ [الأعراف:143]، من شهودك مكانه، وهو إنه كونك الذي تنزلت به صورتي التي تحولت فيها: ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:143]، إذا رأيت نفسك: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:143]، من حيث أنه يظهر مشهوده وصورة معبوده: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: 143]؛ أي: فني عن نفسه وعن الفناء: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الأعراف:143]، بذلك من رقدة الناس نيام؛ لأن رؤيتهم نفوسهم غير ربهم الحق أضغاث أحلام: ﴿قَالَ سُبْحَـٰنَكَ﴾ [الأعراف:143]، مما يتوهم من مغايرة مظاهرك لك أو يظن أنها مظاهر سواك: ﴿تُبْتُ﴾ [الأعراف:143]، رجعت لشهودي من رؤيتك سواك: ﴿إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143]، وهو أنت المؤمن المهيمن الحق الأول الآخر الظاهر الباطن فافهم والزم تغنم كل مغنم.

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران:96]، هو الكون الأدمي سيما في ظهوره المحمدي وهو: ﴿وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ [آل عمران:96، 97]، هذا الهدي هو كون الظهور المحمدي، وهو بيت النفوس اللاهوتية كما الأول بيت النفوس الناسوتية، والتبارك شأن الكون الأدمي والهدي، وإلا من شأن الكون المحمدي هذا حقيقة الأمر، وبنية الكعبة مثال مضروب للقاصرين وضع لذكرهم المعنى عند رؤية مثاله، وبقعة هذا البيت هو مدفن جسد آدم فافهم.

الصور المعظمة في نفسك بتعظيم مشرعها قبلة ومحجة هي روحانية هذه البنية، وهي القبلة الحقيقية من حيث تعتقد أنها بيت ربك، وما هي إلا بدلاً من قلبك فلا توجه قلبك إليها، ولكن وجهها إلى قلبك لربك، فإذا عرفت هذا عرفت أن القبلة تجاه كل مصل مستحضر ما أمر بالتوجه الجثماني إليه متمثل ذلك، فيكفيك أن تستحضر هذه القبلة عند توجهك استحضار من يرى أنه يراها؛ لأن حقيقتها الروحانية عندك، وهي التي أمرت بالتوجه إليها؛ لأنها المصاحبة لك حيث ما كنت، ولا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها، فاجتهد في أن تصحح حضورك وصلي على

وجهتك: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:115]، وكنت مستقبلاً حينئذ إلا العين فافهم.

فعلموا أن الحق لله الغذاء شبيه بالمغتدي في كل مقام بحسبه، فالجسم غذاء الجسم، والروح غذاء الروح، والنفس غذاء النفس، والعقل غذاء العقل، والعلم غذاء العلم، والحق للحق، والخلق للخلق، فافهم أستاذك علم متكون، فلا يتغذى به عالمك ولا غذاء لعالمك إلا به، ولا بقاء لحي إلا بغذائه فافهم.

كل من كان أنفذ إدراك منك فإنه يسمع مالا تسمع، ويرى ما لا ترى، وأنت وهو في مجلس واحد بلا مراء في كل مقام بحسبه فافهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:154]، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]، فمتى ظهر أمر ولاح حكم في مظهر فإنما هو مظهر الله عند أهل الله، فلذلك لا يقابلونه من حيث هو هكذا إلا بأدبهم بين يدي الله، وإن احتسبوا منه بحجابية مغايرة في نفسه شهدوها غيرة من الله، وأخلصوا معاملة كل شيء بالله متجردين عن مشاهدة غير الله، فإن ظهر منهم لشيء إعراض وإقبال، فإنما هو من الله ولله، وهذه هي الطبقة العليا، وهؤلاء هم أهل الصف الأول العلماء بالله، وما أعز وما أخلص هذا المشرب، ودون هؤلاء من يرى الأمر كله والحكم جميعه لله إلا الحجابية عن ذلك فإنها شأن الغير، فيتوجهون لله بأنوارهم، ويعاملون الغير بمغايرتهم، وهؤلاء حكمًا تفاوتت عندهم الموازين، واختلفت لديهم القوانين فعاملوا كل أحد بميزانه، وخاطبوه بلسانه فافهم.

الأدب شهود الحق في بريته والكون بين يديه بما يختار في كل مقام بحسبه فافهم، لا تخرق حرمة من يحب أن يحترم وفيك بقية من حكم مغايرتك للحق بحكم عليك بأنك قليل الأدب حكم عادل؛ لأن ما أحب ان يحترم في ذلك المظهر بالحقيقة إلا الحق، وأما إذا لم يكن فيك بقية من حكم الغير، فالأمر منك إنما هو من الحق لنفسه، فانظر ماذا ترى ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة:14، 15] فافهم.

الحق في مراتب الخلافة قائم بأن يدفع خلافه، فكذلك لا يغني عن دعوى مشاركته في تلك السيادة بقال، ولا بحال في كل مقام بحسبه.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ ﴾ [الصافات: 102] قال الآية المراتب السيادية لها كرم

ذاتي بإفادة السيادة، وغير لازمة من المشاركة فيها، فلا مخلص من هذه الشبكة، ولا نجاة من هذه الهلكة إلا بالتجرد عن مغايرة العبد سيده من حيث إدراكه، والفناء القاضي بسلب حكم الشريعة، اللهم إنَّا نسألك من فضلك يا سيدي ومولاي أنت اللطيف الخبير بهذا العبد الفقير، ما من مولى إلا وقد أثبت لنفسه مغايرة وغار من أغياره عليهم إلا مولاي، فإن حضرته مجردة عن المغايرة، وإنما يغار على أن يكون بحيث يقضي وهم يأتي غيره توحيداً مجردًا عن المغايرة من كل وجه وجهة.

قال: هو سيدي ومولاي أغار عليها من توهم غيرها، وغيري على الأغيار صاحب غيرتي فافهم.

رأيت ليلة الخميس خامس عشر شوال عام ثمانمائة وخمسة رؤيا اقتضت أني عزمت حين انتبهت على أني لا اجتمع بقوم يعظموني من حيث يتوهموني غير سيدي ومولاي وحقيقتي ومعناي في مجلس يقرر عندهم ذلك أو يستدعيه منهم، فحسب العبد مولاه فالعبد لمولاه، ما يعرف إلا هو يا أصحابنا الربانيين السلام علينا وعليكم ورحمة الله وبركاته لي مولى أنا ولده في مدارك أهل الولادة، وأنا عبده في مدارك أهل السادة، وأنا هو وهو آبائي في المدارك المجردة عن حكم الزيادة المطلقة من قيود المذاهب العادة، فمن شهدني مولاي فأنا له نور، ومن احتجب بي عن مولاي فأنا عليه ظلمة، وقد نصحت وبينت وكفى بالله شهيدًا أيها المتنصح فافهم.

تولدت حواء عن آدم أو تزوجها والزوج سيد زوجته كما قال: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف:25]، وهو هاديها ومعلمها، وتلك سيادة أخرى العلماء سادة فكان آدم والد حواء في دائرة الولادة وسيدها في دائرة السيادة، وتولد عيسى عن مريم فكان ولدها في دائرة الولادة وهداها وعلمها، فكان سيدها في دائرة السيادة، وتولدت فاطمة عن سيد الناس يوم القيامة فهي ولده في دائرة الولادة وعبدته في دائرة السيادة وقس على هذا فافهم، عند مباشرة الحاسة السليمة لجسم تدرك النفس المدركة معناه باللزوم، فما جعلت الأجسام إلا لمعرفة المعاني، ولموضع هذا اللزوم يقال على ذلك المحسوس أنه ذلك المعنى حتى تقول رأيت الإنسان ولم تر إلا الجسم الذي هو له الإنسان وحجابه، بل وتعيينه في الدائرة الجثمانية، ولذلك تسمع الصوت فتقول سمعت كذا وتذكر الغنى فقس على هذا، وإلى هذا أشار الحق ببعض ألسنته الربانية حيث

يقول: «كنت كنزًا لا أعرف» معنى مرتبة التجرد «فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا»؛ أي: قدرت أعيانًا، «وتعرفت إليهم»؛ أي: ودللت علي في كل منها، «فبي عرفوني»[1]؛ أي: لأني أنا الكل، هذا حقيقة هذا الكلام في التحقيق، وله في الفرقان معان أخرى، وكلٌّ من عند الله فافهم.

﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات:13]، انظر كيف جعل الأمر الجثماني للتعارف: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:56]، ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:32]، فانظر هذا الاسم الآخر: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف:11]، فما كان السجود إلا بعد تصوير المخاطبين بمهلة ففيه إشارة إلى العالم الروحاني ثابت، وإن تغيرت ظهوراته الزمانية، وفيه تحقيق إن هذا السجود وجب لآدم في الدائرة المحمدية، وفيه إشارة أن في كل صورة آدمية آدم، والملائكة له ساجدون، وهكذا حقائق الأئمة كل منها كلي أم بالنسبة إلى أتباعه فمن تبعني فإنه منيٌّ فهو هم مجملاً وهم هو مفصلاً: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل:120]، مجملاً؛ أي: وهو الآن أمة مفصلة: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:78]، أنا من الله والمؤمنون مني أنت مني، وأنا منك الأول بالوجود والثاني بالشهود الأمي، الذي حقيقة المرتبية أم؛ أي: أصل فهو إمام ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ [الجمعة:2]، أي: الأئمة فهو الأمي إمام الأئمة.

قال: هو سيدي ومولاي وحقيقتي:

أميــة أمــة أمــت بأمــتها فأنتمــا كــل أمــي مــن الأمــم

اليوم حضرة النور الذاتي الشمسي، والليل حضرة النور المستفاد القمري، واليوم حضرة العطاء ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [القصص:73]، والليل حضرة الدعاء: «يتنزل ربنا في كل ليلة إلى سماء

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (132/2).

الدنيا، فيقول: **هل من سائل فأعطيه**»[1]، والليل حضرة المحو والسكون واللباس والتغطية المعبرة عنهما بالجنون، والنهار حضرة الأبصار والنشور والظهور والمعاش والنور، فحقيقة الليل المعنوي الباطن قبول المريد الصادق، وحقيقة اليوم الروحاني الباطن روح أن الأستاذ الناطق، وهذا اليوم إذا جلا أنوار المريدين رقائق أنوار أستاذيهم، وأنوار الأستاذين حقائق أنوار مريديهم، وهذه الرقائق هي أقدار المريدين، وقدر كل منهم بحسب وجده.

فالرقيقة الكمالية البدرية هي القدر الكامل وقبول قابلها ليلة القدر، وبإفادتها للقابلين عنه صورة مقبولة له تكون ليلة مباركة، والتبارك عبارة عن توسع التجليات القدسية وتكثرها، واليوم اثنا عشر ساعة، والألف إذا جزئت اثنا عشر كان كل جزء ثلاثًا وثلاثين سنة وأربعة أشهر، فساعة اليوم الرباني مقدارها ثلاث وثمانون عامًا وأربعة أشهر كل سنة وتسعين شهرًا بثمان سنين، فالثمانون سنة بتسعمائة وستين شهرًا، والأربعون شهرًا بثلاث سنين وأربعة أشهر، وساعة من ساعات الغني تغني، فكما أنه ليس في مرآة البدر إلا الشمس فيضيء الليل كله كذلك ليس في المريد الكامل إلا أستاذه فيفيد المدد القبولي كله، فافهم واعرف والزم تغنم والله أعلى وأعلم.

الشمس خزانة الحياة ومبدؤها في قوابلها، والقمر خزانة أثر الشمس في محله واتساع ظهور حكمه، وإنكم لترون ربكم في حضرة الجمع كما ترون الشمس وفي حضرة الفرق كما ترون القمر، وانظر كيف حياة الإيمان بالحق ثابتة في الفطرة بالفيض الشمسي العيني الوضعي ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:30]، ولا يظهرها من القوة إلى الفعل إلا النور الناطق الهادي القمري الشرعي ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ ﴾ [المائدة: 15]، فانظر قمرية هذه المرتبة، ولو كشف غطاء الفرق بين ظاهر بنفسه وظاهر بقابله لكان الشمس والقمر اسمين لمسمى واحد: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال:17]، فنور الشمس يميز ويقدر ويؤثر، ونور القمر يشفع في الظهور فيوسع ويظهر فافهم.

أنت أيها المريد غصن ونور أستاذك شمس يحييك وقمر يريك، وانظر ما قال هو

---

(1) تقدم تخريجه.

سيدي ومولاي، يا بدر على غصن رطيب المشهد بتمامه فافهم، متى فتحت سدد مداركك، وانكشف حجبها أدركت بكل منها ما يدركه كل منها، فلا تسمع شيئًا إلا رأيته وقس على هذا في كل مقام بحسبه فافهم.

كما يظهر ختم الدائرة لم يبق لشيء منها ظهور إلا بحكمه، وإلا فمتى ظهر بعده غيره لم يكن هو خاتم، ومن ثم قال خاتم الدائرة الفرقانية ﴿لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ [الإسراء: 88]، وإنما يأتون إن أتوا به أو بما هو منه وهكذا قال القائل:

أقـبل الـبدر علينـا ... مـن ثنـيات الـوداع

يعني من مشارق الختم.

وجـب الـشكر علينـا ... مـا دعـا لله داع

لله بعد هذا الختم في دائرته فإنما هو هو أو منه ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: 18]، ومن اتبعني فإنه مني.

فياض العقول هو محقق الحقائق التي هي الأولى من حيث أنه مبدأ صورها المرتبية، وهي الأخرى من حيث رجوع تلك الصور إليه بما اكتسبته في ظهورها المادي ذهنًا وخارجًا فياض العقول هو محقق هو الأولى والأخرى، وفياض الصور هو مكون الدنيا، فالظهور أولاً لفياض العقول فحقه الحقائق التي من جملتها فياض الصور، فيتقابل حكمهما فإذا غلب ظهور أحدهما بحكمه بطن حكم الأخر فيه، فإذا ظهر فياض الصور بحكمه بطنت الحقائق في غيابات الأكوان، فتوارت الأولى والأخرة في حجاب الدنيا، ثم إذا ظهر فياض الحقائق بغالب حكمه بطنت الأكوان في أعيان الحقائق، وغابت الدنيا في شهادة الآخرة الأولى، وذلك في إدراك كل موجود من موجودات دائرة الفرق حاصل من وجوده واقع ماله من دافع، فأول من يظهر به حكم فياض العقول من الناطقين في كل دور وهو الخليفة الرباني في الأرض آدم، وأول من ينطلق فيه به هو الروح المتمثل بشرًا سويًا عيسى، وأول من يظهر به حكم فياض الحقائق هو خاتم الأولياء الوفائي، فالسيد الخاتم النبوي بني القيامة، وبعيسى يظهر بتمام أثر ذلك القيام فافهم.

قلب الناطق الهادي إلى الحق هو في شهود من لم يبلغ مقامه للحق الباطن كمرآة الهلال في يوم الثلاثين في شهوده وقت الزوال بالتوجه إليها شهد الهلال، حينئذ لا

بالتوجه إليه في مرتبته الأفقية هكذا من توجه للناطق الهادي إلى الحق ليرى الحق، فقد توجه إلى حضرة مشاهدته مادام حجاب العزة مسبل ورداء الكبرياء مرخي، ولا يفيده التوجه إلى غير ذلك في حصول هذه المشاهدة شيئًا، فمن ظن أنه يرى بعين العرفان اليقين الحق الباطن مادام غيبًا في سوى مظهره الهادي إليه، فهو كمن نظر إلى الأفق وقت الزوال من يوم الثلاثين من الشهر ليرى الهلال والشمس ضاحية فانظر هل يمكنه أن يراه إلا في مرآة فهكذا وإليه لا يرى الحق الباطن بعين اليقين إلا في مظهره الناطق المبين فافهم.

الوجود المطلق المحيط هو ذو القوة له القوة جميعًا فلا حول ولا قوة إلا به وهذه الباء التي في به هنا محمولة على جميع معاني الباء، وذلك لأنه ذات كل موجود وحقيقة كل أمر وجودي فافهم.

لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة فافهم، النفس الجمادية ذات الوهم البهيم العدل والمضل المبين هي أصل الجحيم التي تخرج شجرته فيه من قوته إلى فعله شجرة المآثم المعبر عنها بشجرة الزقوم ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِيٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:64]، والنفس المدركة ذات الروح الحكيم رب الملائكة من بأمره يتنزلون هي أصل الجنات النعيم لا يظهر فيها لغو ولا تأثيم، إنما يخرج فيها منهالها طوبى للأذكار النورانية القدسية سلامًا علميًا، فأهلها يأتيهم هذا السلام قولاً تصويريًا وتصديقيًا وبيانًا من الروح الحكيم الرب الرحيم متنزلاً من البساطة إلى التشخص مع الصور الباطنة في مداركهم، وإلا قوية القائمة بهم، والملائكة يدخلون عليهم من كل باب علمي وعملي سلام عليكم ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:58]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:28]، والنفس الناطقة ذات السر العليم رب الملائكة، والروح هي أصل حضرات الغيب القديم، وقيوم دائرتها بالذات والأسماء والصفات والأفعال هو العلي العظيم الكبير الحكيم فافهم.

﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: 17]، فتمثل لها بشرًا سويًا فهو يحكم بمثاله ولا يحكم عليه مثاله، وهو هو في العيان وحجابه في الفرقان الرحيم وجود الروح المتمثل بالبشر الوفوي خاتم الأولياء للأولياء، ومن قابل فاعلاً بقبول حسن فهو من أمته، وإنما يقابل ما عرف من خلق وحق فمن قابل خلقًا فهو

من أمة الرحيم، وإنما يكون رحيمًا بما استفاد منه، ومن قابل حقًا فهو من أمة الرحمن، فيكون رحمانيًا بما استفاد منه كما يقال في القمر من الشمس، وكما يقال في العقل من النفس ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:29]، جمع رحيم بالمؤمنين رءوف رحيم وكان بالمؤمنين رحيمًا تحيتهم يوم يلقون سلام: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:58]، هو ما ظهر به في قبولاتهم، ومن تصور أمر أتوجه إليه، ومن توجه لأمر استفاد منه ما ناسب قبوله الذي توجه إليه، فصار في الحقيقة مثالاً تمثل به مقبولة، فالمتوجه إلى التمثل من أمته والمتوجه إلى مثاله من أمته يا أمة الرحمن قوموا فاسمعوا.

لعشارتي بمسامع الإيمان من حبني أو حب من قد حبني حقًا وصدقًا فهو من أعياني من حقق حقيقة فهي نفسه بفتح الفاء في كل مقام بحسبه من حقق عندك الذات، وبعضها من عينه، فالذات نفسه بفتح الفاء فكيف تعرفه فضلاً عن أن تحيط به عملاً أو تنطق بما هو هل أنا وغيبي وشهادتي وجميع نظامي ورتبتي إلا نفس بفتح الفاء من أنفاس تصدق بها جود سيدي ومولاي، وما أنا أحقق عندك الذات وأعينها من عيني فاعرف، والزم ولا تتوهم تقيدًا بما تقدم، وهذا المنزل في حجاب نوره الفرقاني لو كشفه عن وجهه الإحاطي لا تمحي الفرق وأظلم وأحرقت سبحة أحديته مراتب التغاير، فلا من يسمع، ولا من يتكلم إلا من يسمع ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[الأعراف:144]، ولكل مقام مقال ولكل مجال رجال فافهم.

أنت غاية العالم، وأنت نسخته وشرحه يا آدم، فأنت أوله بالحقيقة وباطنه وآخره بالخليقة، وظاهره وأنت ولده الأصغر، وأبوه الأكبر لأن الغاية أول المبادئ وآخر البوادي، وإنما هو حكم حقيقته بالحقيقة وتعينت به، وتقومته أحسن تقويم بأحكامه في رتبته فهو منك، وإليك إن لكم لما تحكمون فكن فيه عبدًا بخليقتك وربا بحقيقتك، فإنك الكل بحقيقتك اعملوا ما شئتم، فلا يكون لكم إلا ما علمتم، فاعلم ما شئت فإنك كأين فيه، واعمل ما شئت فإنك لاقيه.

قال: وجود حقك لخلقك خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي، فأنت المطلوب المحبوب فلا تشتغل بما خلقت من أجلك عما خلقت من أجله، فلك

العزة عن وصف [...][1] يعتني بكمالك في وجود أو كمالي فيك شهودًا أو المتكلم والتسامح معينان لحقيقتي توحيدًا فافهم.

واحد الوقت نوره أصل أنوار أهل دائرته وبتعيين مراتبهم لا يرجعون إلا إلى محض وحدتهم، فيكونون لك كأعضاء الآدمي له، فمتى شرب شرب الكل فما شرب إلا هو وحده لكن رأى فيه مشروبه حتى رأى الري في أظفاره كما أشار إليه السيد الكامل، فمن ظفر به فهو من أظفاره، فلما شرب وحده شرب الكل بشربه.

الكامل من عمر جميع المراتب المتقومة به في كل نفس وهو الله في السموات وفي الأرض جاء في الخبر: «العرش على كاهل إسرافيل ورجلاه قد مرقتا من الأرض»[2]، فيعمر مراتبه العلوية والسفلية معًا، ألا ترى إذا مشيت أو قمت مستقيمًا كانت رأسك في العلو ورجلاك في السفل معًا لا تستطيع أن تمشي وأنت مضطجع مسطح على الأرض، وقد شددت رجليك إلى رأسك جاء في الخبر أن السيد الكامل خير بين أن يكون ملكًا نبيًا سندًا محضًا، أو عبدًا نبيًا معمر للمرتبتين، فاختار أن يكون عبدًا نبيًا، فما كان عبدًا نبيًا إلا باختياره؛ لأنه في الحقيقة فوق ذلك المرتبة الناطقة هي الحظ القويم، وصراط الله المستقيم وصورة الرحمن الرحيم في أحسن تقويم صفاتها كلها وسط لا إفراط ولا تفريط.

وذلك كله إنما هو أحوال الحظوظ المائلة عنه ألا ترى أن الآدمي متى ظهر في أمر بإفراط أو تفريط تحجبت عنه بذلك مرتبته الناطقة، فلم يظهر فيها كشفها العليم، ولا بيانها الحكيم حتى يتجرد عن ذلك ويخلص من غلبته، ومن ثم نهى الحاكم أن يحكم وهو غضبان، ولا مع تعصب وحمية، ولا هو جيعان، ولا هو تخمان ونحو هذا الإنسان الكامل موجود الوجود الحق في إحاطته هو شخص حقيقة الدائرة الرحمانية الرحيمة الظاهر ظله في مرآة كل استعداد زماني بحسبها، فيكون صاحب ذلك الزمان الحق شمس نواطق أئمة الهدى أنوارها المرسلة منها قوابلها كما قال بلسانه المحمدي: جاءهم الحق ورسول مبين، والمبين صفة الحق وهو الرسول، فالرسول صفة مرسلة وموجده ومرسله موصوفة، ووجوده فهو الحق بوجوده، ورسوله بموجوديته الظلية.

---

(1) غير واضحة.

(2) انظر: المسامع (ص176).

جاء الحق بموسى لقومه فنظروا للحق بنظرهم إليه جهده، وهم به جاهلون فلم يبصروه، فقالوا: ﴿فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ [النساء:153]، وهم ينظرون وتراهم ينظرون إليك، وهم لا يبصرون النظر للحسبان والبصر للعرفان أنكم لترون ربكم كما ترون الشمس.

انظر كيف الشمس يرسل نورها لازمًا لها بالبيان الإنعاش ومدد الحياة فيملأ الأقطار وهو قائم بها لم ينفصل، وإلا إذا أصاب شيئًا وقلت الشمس في إصابته صدقته، وكما نزل ولم ينفصل عنها كذلك هي نزلت، ولم تتغير بانتقال عن مرتبتنا العلية، ومن ثم جاء ينزل الله في كل ليلة إلى سماء الدنيا، وقد قال الحق بلسانه المحمدي قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا فهو صفة الحق المبين بما هو مبين، وهو هو بما هو موصوف المبين جاءهم الحق ورسول مبين.

انظر كيف سمى الشمس سراجًا، وسمي المرسل سراجًا منيرًا فافهم، جاء في الحديث: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»[1]؛ أي: يتجلى بأنواره المرسلة منه على قوابلها الموضوعة بالاستعداد بحكمها ربنا؛ أي: وجودنا المدرك الحكيم في كل ليلة؛ أي: صورة مادية إلى سماء الدنيا؛ أي: إلى مجمع مداركها في الثلث الأخير لأنها ثلاثة أثلاث الدائرة الرئيسة للنفس النفساني فعلاً وانفعالها، والدائرة القلبية للنفس الحيواني كذلك، والدائرة الكبدية للنفس النباتي كذلك، في أنها ابتدأت العدد وثنيت بآخر كان المبتدأ به ثلث أول من ليل الصورة، والثاني ثلث أوسط، والثالث أخير.

وقد ورد التنزل الرباني في الثلاث الثلاثة، وكذلك الدهر كله، ومن ثم قامت الأنوار الإدراكية فعلية وانفعالية بحمله الصورة بجهاتها الناطقة والحيوانية والنباتية هذا حقيقة هذا الخبر من حيث التقول الإمدادي الوجودي، وأما من حيث التنزل الزماني فلا مانع من ذلك؛ لأن هذا التجلي لا تغير له ولا زوال باعتبار نفسه، وإنما التفاوت والتغير بحسب استعدادات القوابل، فلعل هذه السموات الأثيرية الجوية يقتضي لها تغير استعداداتها بحسب أوضاعها الحركية أن يحصل لها عند ثلث من أثلاث الليل الزماني تنزلات تستمر عليها أحكامها وإشراقها إلى مثل ذلك الوقت من الليلة الزمانية.

---

(1) تقدم.

الثانية فإن الصورة المادية كلها متهيئة لذلك سموا اسميتها أفلاكًا أو بسائط أو متولدات أو نحو هذا، أو ما شئت النفس النفساني يفيض في النفس الحيواني قوى تعلقية ربانية، والحيواني يفيض في النباتي قوى إحساسية حركية وهمية اختيارية، والنباتي يفيض في النفس الجمادية التي صورتها البدن قوى هي مبادئ ما تمسك البدن على نظامه، وتظهر به مختارات القوى الحيوانية في صور بدينة، ولو أنها حركات مرتبية، وتربة وجوده الناطقة الحكيم المنقول بأنواره في الليل، وإن ترتب ظهورها فيهن بترتبها، فيكون في الناطقة بالفيض الأول الأزم ثم في الحيوانية ثم في الجمادية بالتنزل عن النباتية.

واعلم أن المدرك مفارقًا كان أو ماديًا فيه، إما مركب أو بسيط، فالمركب أصله الذي ينبغي عليه هو جوهره الفرد وهو على قسمين، **الأول:** جوهر صفة نفسه الجوهرية والفردية وقبول المتحيز، والاتصاف بأمور وجودية تحل فيه وترتفع عنه، وبسيلانه ينصبغ مقدار الجسم والإدراك المتوفق على التجسم هذا هو أصل الأجسام، **الثاني:** صفة جوهر نفسه الجوهرية والفردية، وامتناع قبول التحيز وامتناع الاتصاف بالعوارض الوجودية التي تحل في صفة موصوفها، وترفع عنه وامتناع السيلان الصابغ للجسم والإدراك المستغني عن القيام بالجسم، وهذا هو الجوهر المفارق الذي يسمى الروح الحيواني، وهو أصل القوى المسماة صورا نفسانية وقوى جسمانية حيوانية، والجوهر الأول هو حقيقة الماء، والجوهر الثاني هو حقيقة العرش الكائن عليه إذا تعلق به، وهذا هو الذي يسمى إدراكه تعقلاً وتوهمًا وتخيلاً.

والإدراك الأول يسمى الإحساس، والاستواء هو التجلي التمام ومنزلة الناطقة من هذا الجوهر الروح منزلة قواه من الجوهر الجسم فإذا نفخ الروح الحيواني استوى الرحمن على العرش، وتعلق كل منفوخ بحمله كما تقدم، ولا يتصل بذلك المنفوخ فيه أمرًا إلا اتصل بالمنفوخ، فلا يحسس الجسم محسوسًا إلا أدركه الروح الحيوان تعقلاً وتخيلاً وتوهمًا، وأدركه الروح الناطق عقلاً وخيالاً واتصل بالرحمن كشفًا وتمييزًا، وهذا عروج إلى الرحمن على الدرجة التي نزل من عنده عليها، فلا يظهر محسوس إلا عن تجلي الرحمن في الناطق وبالناطق على العرش، وظهور ذلك التجلي به في القوى، فما من جسم إلا وللرحمن به تعلق بحسبه، وللناطق بالروح تعلق مناسب لذلك، وللرحمن في الناطق ظهور مناسب لذلك، وما كان كل محسوس إلا بأن ظهر الرحمن به

في الناطق.

فظهر به الناطق في العرش وظهر به العرش في القوى الجسماني، فظهر في الحس الذي هو مرآته هذا حكم هذا النظام في هذا المقام الموجود الذات المقتضى لنفسه أن يعلم كل ما به موجود، فعلمه معه وموجودًا به مع علمه معه تلازم على ما هي به من تجرد وتشخص وثبوت وانتفاء وجوهر وعرض وحفظ وتحلل وتركب ومقاربة ومفاوتة وقس على هذا.

فالوجود والموجودات كلها هو الحاصل على ما هو عليه واجب هو عالمك متعين بمعلوماته، وهي له منه وبه وشهوده وبعضها لبعضها متقدم، وبعضها متأخر، وبعضها مقارن، وبعضها مماثل، وبعضها مقابل، وبعضها مناسب، وبعضها متفاوت ونحو ذلك دائمًا، وتارة هي من جملتها واجب كذلك، وكل أمر مستقر على ما هو به الزماني في زمانه والمكاني في مكانه، أما بسيطًا في بساطته لا يعرض له سواها، وإما أن لا يعرض له بعين أو يعرض له، والمركب في تركيبه كذلك، والمفارق في مفارقه كذلك والإمكاني في إمكانه كذلك، والمفعول الاختياري في حدة كذلك والمعلول في معلوليته كذلك، والكمل نظام ولها الوجود الذي هو ذات الكل، وواجب له على ما هو عليه، وما الكل إلا أمورًا وجدها الموجود الذات من نفسه لنفسه في كل مقام بحسبه كما يجرد من نفسه أمورًا إثباتيه في صنعه البشري ونحوه، وذلك المجرد زايد عليه حكمًا ومعاملة وشهودًا، وما هو بالحقيقة إلا هو وجودًا، فهو كما قال سيدي مولاي:

الله غـــــيب كـــــل شـــــيء وكـــــل شـــــيء غيـــــبه

وقال:

مـــا خفـــي شـــيء ولا ظهـــرا خـــل عـــنك القـــال والفكـــرا

وقال:

أنـــت الوجـــود وأنت هو الموجود والعلـــم فـــيك الـــشاهد المشهود

وأما المحصول لشيء عند محصل إلا ظهوره له، وما مقابله إلا مقابله، وكل أمر مستقر والحق واحد حتى فيما هو كثرة عددية هو الأول والأخر والظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم؛ وله كل شيء واللام لأمر التوكيد في تجريد التوحيد كما قال

بلسانه المحمدي: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:49]، على قراءة من قرأ بضم لام «كل» ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:2]، فالتجريد البياني تقدير وحيث ليس إلا الله فلا حكم إلا الله، فلا يعقب لحكمه ولا تبديل لخلق الله، وكل أمر مستقر حتى تبديل المتبدلات، وحركة المتحركات ومن ثم حقت الشرائع،ولم يبق للمكلفين من قبول ما جاءت به الأنباء لمانع، وتميز في السعير معرض منازع، والجنة مقبل متابع، وبعثت السنة إلينا فعينت في الأذهان ما غاب عن العيان عجائب وبدائع حتى تكون منها في عيان قابليها اطلاعات وطلائع، وقس على هذا فإن التفضيل واسع.

و﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النسا: 78]، ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ [البقرة: 210]، ﴿ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [طه: 73] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: 50] إنه إياهم وسمعهم وبصرهم وقواهم ولا حول ولا قوة إلا بالله والحمد لله، قد ترى وجودًا تامًا قائمًا بنفسه بلوازمه وخواصه ولواحقه غير معلل في ذلك لمنفصل عنه بل ولا زائد عليه، وإنه علم تقييد هكذا فصار له مرتبتان مرتبة ما هو فقط، ومرتبة عالم ومعلوم وهو بالأول مفهوم للثاني، وبالثاني للثالث وهو بالحقيقة الكل واحد، وبالحكم المرتبة كما سترى، فاسمه بالأول هو وبالمرتبة الأولى الله، والثانية الرحمن فقلنا تميزت الآثار والأحكام بتمايز المراتب، فالحق ذات لا يحيط به العلم مما هو، والجلالة ذات علم بنفسه، والرحمن معلوم عالم بعلم هو معنى له، وكذلك باقي المعاني هي الجلالة بالذات الهو والرحمن بالزيارة والجلالة حتى الهو والرحمن تمثل الجلالة.

وأوجب الرحمن لنفسه في الإمكان قابلاً يظهر فيه ظهور العقل في النفس إيجابًا يسمى الناطق، فهو متعين بالناطق تعينًا لازمًا وهي تعينه هذا يسمى الرحيم، وبهذا التعين يسمى الناطق الحق وشأن الرحمن العلم والحياة ووجوهما المسماة بالصفات الفعلية، وشأن الرحيم تعلقاتها التفصيلية، وهي المسماة بالصفات الفعلية، وأوجب الناطق لنفسه الجوهر المفارق، وأوجب المفارق لنفسه الجوهر الفرد المتقدم ذكرهما، وهما قابلان فقط لكن لكل منهما قبولات مساوية للتجليات موجبة الذي أوجبه قابلاً لنفسه، وكل موجب فإنه متعين بما أوجبه كما تقدم فكما أن الناطق ذو قبولات للرحمانية ونظامها على ما هو ربه، وكذلك الجوهر المفارق ذو قبولات للناطقة ونظامها، وكذلك الجوهر الفرد

ذو قبولات للحيوانية ونظامها، وعنه التجلي الناطق بالجوهر المفارق يسمى إنسانًا، وعند تجلي الحيوان بالجوهر الفرد يسمى آدم أو نحو هذا.

فإذا شهدت هذا وتأملته رأيت الناطق حيًا عليمًا قد يرى مريدًا سميعًا بصيرًا متكلمًا إلى باقي الأسماء، فالرحيم عن الرحمن ويسمى له عقلاً والحياة روحًا، ووجود العلم قوي العقل، ووجود الحياة قوي الروح، ووجود العلم هو فيه والروح تخيل خيال، وبتعلقات الأول عقول مؤثرة ومتعلقات نفوس هادية، وتسمى في الأول كليات، وفي الثاني إسخاطًا منحصرة فيها كلياتها، ورأيت الجوهر متوهمًا حساسًا بالحيوان، وصورة الفكر فيه توهم وهم، وصورة الخيال فيه حس إحساس، ومتعلقات الأول أشباح مصورة هي طبائع، ومتعلقات الثاني أشخاص هي صور فيها، وكل ذلك ينزل بالقوي المميزة ويرجع بالقوي الكاشفة، فمتى ظهر بالرحيم في الناطق عقله وتعين عنده ومهما ظهر بالإنسان في الحيوان تصوره وصدق به، ومهما ظهرت به الأمية في الجوهر الجسماني توهمه وأحسه كل ذلك تميز فعلي، ومهما أحسه الجسم الجسماني كشفًا انفعاليًا تخيله الحيوان كذلك، فتعين في الناطق كذلك والله الرحمن الرحيم بكل شيء عليم، وهو مطلع على ما عرج كما هو عالم به حال تنزله وقبله، وإنما لم تتساوى الأجسام والمدركون كلهم.

وإن كان الإدراك لازمًا كما تقدم في إدراكاتهم؛ لأن كلاً من الكل ليس بذي نسبة واحدة في الكلام الرحماني إلى كل من الكل بل هو ذو نسب متماثلة ومتقابلة ومتناسبة ومتباينة، بحسب تماثلهم وتقابلهم وتناسبهم وتباينهم فهو في كل قبول ناطقي بمقبوله منه فقط، وكذلك هذا في الحيواني والحيواني في الجسماني إذا انكشف بنسبته كذا في هذا الشخص القابل أدركاه سواء، وإن انكشف في كل نسبة اختلفا في إدراكه والنظام الرحماني حقيقة ما يتفرغ عنه بالتجلي وجملته، وما يتفرغ بالرحيم في الناطق حقه وتفصيله، وهكذا كل نظام لما يتفرغ عنه يتجلى قيومة في قابلة والفاعل دائمًا أزلي قابله، والقابل أبدي فاعله.

قال هو سيدي ومولاي الجلالة تجلي الهو والرحمن تمثل الجلالة، والرحيم تعين تعيين عين الرحمن في مرآة الإنسان.

واعلم أن الرحمن وجود الإنسان والرحمانية بالإنسانية وجود العقول، والأرواح والرحيمية وجود آدم، والرحيمية بالآدمية وجود النفوس والطبائع ولا جلالة وجود

الكل بما هي ذات العلم والحياة وحقائقهما، وما ثم موجود إلا وله الوجود في كل موجود، وإن كان لا يظهر كماله في كل موجود إلا بما يناسب ما خصص ذلك الموجود من الخصائص المسماة بالاستعدادات هنا هو الأهل، وكل منفعل فمن فروعه، ولكل مقام منه مقال ولكل مجال فيه رجال فافهم.

مستوى وجودك الإلهي من موجوديتك عرش عظيم وكرسي ذلك، والرحماني عرش كريم وكرسي كذلك، والرحيمي عرش مجيد وكرسي كذلك والإحاطي من ذلك كله وهو المسمى عرشًا محيطًا وكرسيًّا كذلك الأول: يسمى فؤادًا في القلوب بالحكم العرشي وروحًا بالحكم الكرسي، والثاني: قلب ونفس كذلك، والثالث: صدر وجسد وهو القوى الروحانية الحاصلة في الجسم، والرابع: سر وعقل وناطق كذلك، فكل ما في نظام الفؤاد مجرد واجب وجوده عين موجوده، وكلها في نظام الروح ممكن كذلك، وكل ما في نظام القلب متعين بالزيادة واجب، وكل ما في نظام النفس ممكن كذلك، وكل ما في نظام الجسد مادي متحرك، وكل ما في نظام السر ذات مطبقة لكل ما تقدم، وكل ما نظام العقل ذات محددة كذلك فافهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس:5]، والضياء هو النور الذي هو صفة الشمس، فجعل الشمس أثر صفتها إيذانًا بأن الموصوف يكون نفس متعلقات صفته هو الذي جعل الشمس ضياء، والقمر نورًا، والقمر قابل والشمس فاعل فيه فالصفة قابل ظهور الموصوف منها متعلقها كما يعلم نفسه، فيكون ظاهرًا لنفسه في علمه وعلم متعلقه، والقمر للشمس كالمرآة للناظر فيها وجهه والأصل فيها هو الشمس بالحقيقة وهو ضياء نور الشمس البسيط على القمر وتشكل فيه وهما.

فبذلك تكون الشمس ضياء والقمر نورًا منه ظهر للناظر من حيث الصناعة اللسانية، فقوله: الشمس ضياء وصف بالمصدر السبب عن وصف الموصوف به، وذلك لأن السبب كماله أن يكون سببًا بالفعل، وذلك لا يكون إلا مع حصول المسبب وإذا كمل المفعول؛ أي: الغاية لم يتميز عن مصدره لعلو رتبة المصدر، فقوله: هو الذي جعل الشمس ضياء؛ أي: مضيئة لعلو الإضاءة وضوءه غاية الضياء، وما هو كذلك فنوره أكمل وأنهى مما ليس كذلك، وأما القمر فنور ولا يلزم من ثبوت النور قوة الإضاءة، كما لا يلزم من قوة النور كمال الصبا الذي هو سببه فالوصف بالضياء مبالغة دلت بالالتزام على كمال نور الموصوف به، وتلمح بالذي ذكرناه من المعاني

والحكم والمعارف والحقائق فمن أجلها ذكرناه.

قيل للسيد الكامل: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «كنت نبيًا وآدم مجندل في طينته»[1] وفي رواية: «إني عبد الله خاتم النبيين وإن آدم بين الروح والجسد»[2] فانظر كيف نبوته موجبة لا محدثة بإقرارهم إياه على قولهم: وجبت لك النبوة وإتيانهم باسم الجنس بالألف واللام اقتضاء للاستغراق يدل على أنه موصوف نبوة كل نبي، وقد قيل له منه ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل:6]؛ إذ قال موسى الآية: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [ص: 70، 71]، وما يتم ذلك إلا بأنه حقيقة كل نبي من حيث أنه نبي وخاتم النبيين؛ أي: المحيط بهم كإحاطة الخاتم بالإصبع، وزينتهم الحافظة لنظامهم كزينة الخاتم لليد وحفظه لما يختم به يشير إلى أنه هو الذي علم به آدم الأسماء كلها، وإنه هو الذي كلف الملائكة بالسجود لآدم شرعة لهم لا نبي لذلك الوقت، ويؤيد ذلك إضافة الرب إليه في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، وتيسير خطاب البسط بلسانه في قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِءَادَمَ﴾ [البقرة:34].

وقس على هذا الرحيم قابل بمثال الصورة الرحمانية؛ لقوله: «خلق الله آدم على صورة الرحمن»[3]، والرحيم قابل تولده في دائرة التولد فهو قابله كل مقام بحسبه الرحمن هو صاحب الأسماء وتحقيقاتها فما هي العوالم إلا الحق وحقيقة الرحمن، وقابل هذا هو الرحمة الرحمانية التي وسعت حقيقة كل شيء معينة، كما وسعها العلم مجردًا وهي الرحيم الرحماني الذي عنه تظهر صورة الرقائق الروحانية وتسري في العوالم بأحسن تقويم، فمن وصل إمام هدي زمانه بمحبته وموافقته اختياره وصله الله، ومن

---

(1) رواه أحمد (398/2).

(2) رواه الترمذي (3542).

(3) رواه الطبراني في الكبير (430/2)، (13580)، والدارقطني في جزء الصفات (45)، (48)، (49)، بتحقيقنا، وابن خزيمة في التوحيد (ص38)، وابن أبي عاصم في السنة (517) والحارث في مسنده كما في زوائد الهيثمي (831/2)، عن ابن عمر، وأبي هريرة مرفوعًا.

قطعه بضد ذلك قطعه الله كيف لا وقد أوجدك الله عن معرفتك وتعرفه إليك حتى تجده، فوصلك له وصله لك وضد ذلك فقدك وقطعه ولا يتعرف إليك حتى تعرفه، ولا تعرفه إلا بإمام هدى زمانك وقس على هذا.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الرَّحِمَ شُجْنَةٌ - أي: شعبة من الرحمن- **معلقة بالعرش تقول يا رب إني قطعت، يا رب إني أُسيء إلي! فيجيبها أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك إنما ذلك حين قطعه المعرضون عن ذكر الله»**[1] وأشار إليه فرأى بعين اليقين أنهم إنما أخروا بأنفسهم حيث انقطعوا عن ذكر الله بذلك، وظهر شرفه هو بأن ظهر على ذي إدراك صحيح صلة أتباعه بربهم الحق بما شهد من سيماهم الحسنى، وقطيعة من قطعه عن الرب بما شهد من سيماهم السيئة، فهو المرسل للعالمين رحمة ورحمًا رحمانيًا، فمن أطاعه منهم نجا، ومن لا، والقبول الخاص في الإدراك بالحقيقة التي هي أحدية جمع الإلهية في العلم هو المرتبة الناطقة المعبر عنها بروح الله، وهي التي متى ظهرت في مدركته بحكمها، فذلك نفخ الله فيه من أوجه.

ولا تظهر إلا إذا ظهر فيها بقبوله التي هي خاصته به بحسب استعداد المدرك الذي ظهرت فيه، وبظهورها في المدرك المسمى بآدم علمه الله الأسماء كلها لتعينه بها فيها هذه الحواس الظاهرة الجسمانية المشترك بينها هو الذي له قوة مرسلة في هذه ظاهرة، وقوة سارية مع الحواس الباطنة فهي من حيث هي أنوار هي الأيام الستة التي خلق فيها السموات والأرض، وما بينها وسائر متعلقاتها؛ لأنها المنكشفة بكشفها، وفيه كما تنكشف المنكشفات وهما عاريًا بنور الشمس، وفيه والأيام الحواس الخمسة الباطنة، وسادسهما الخيال المشترك بينهما وهو الذي فيه قوة مرسلة فيها وقوة سارية مع القوى العقلية، وهي أيام روحانية لتلك الأيام الحواس الخمس الجسمانية الأول السمع والبصر والشم والذوق واللمس والحس المشترك نظام عوالم الملك، والثاني وهي الحافظة والمدركة والمذكرة والمفكرة والمتصرفة والخيال المشترك نظام عوالم الملكوت الأولى حلقة، والثانية أمره والحصول في هذه الأيام مفصلاً.

---

(1) رواه مسلم (4635)، والطبراني في الكبير (290/14).

فرع الحصول بما متفرقًا بالكشف والتبدل والتغيير إنما هو بحسب الظهور والبطون النسبي، وأما الحقائق لا تنقلب فافهم.

من ظهر الإله الواحد فيه بالإلهية ظهورًا تامًا في زمان فهو الإله الواحد بالحقيقة، ولا نية والهوية وهو مخصوص الإله الواحد بالمجاز والمرتبة الإمكانية والقبول المظهري ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:19]، أي: وهو إني بريء مما تشركون فهو إنه من شهده من هذه الحقيقة حال محاضرته نزله ومعاملته إياه واهتدائه، فإنما هو محاضر الإله الواحد معاملة له مهتدية ومن يهده الله فلا مضل له، ولو ترى إذ وقفوا على ربهم؛ أي: أشهدوه وعرفوا به فيهم سعد من دخل بهذا الشهود في سلك الخواص قبل أن ينادي لسان الفوت، ﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص:3].

الهُوية ذات الذوات، والجلالة ذات للذاتيات، والرحمن ذات الصفات، والرحيم ذات الأفعال.

واعلم أن الذات فقط يقوم كل علم ومعلوم، وإدراك ومدرك، وحكم ومحكوم في كل مقام بحسبه، فلا يقوم بشيء من ذلك فالذات فقط لا يتعلم، ولا يحكم عليها، ولا تدرك وهذا الثبوت السلبي يعبر عنه بامتناع إثبات النفي والإثبات والله الهو وتعيين هذا الامتناع ثبوته بحيث يعبر عنه بأنه يعلم ولا يعلم، ولا يحكم عليه، ويدرك ولا يدرك، فعينه إثبات امتناع النفي والإثبات والهوية الجلالة، فالجلالة لاهوت إلهي من حيث اعتباره متعينًا به، فالجلالة هوية الهوية، وهي له هوية سارية، فالهوية والجلالة ذات في وحدة مطلقة غيبًا وشهادة والرحمن تعيين الجلالة بمبادئ معلوماته ومدركاته وإحكامه فهو للجلال هوية مرسلة، والرحيم يعين الرحمن بتمايز تعلقات معانية تمايز الاستقلال.

الأول: شأنه الامتناع بإثبات النفي.

والثاني: إثباته بالرحيم الرحمن والجلالة للهوية إذا ظهر معنى عن ذات بواسطة، فذلك الواسطة حجاب ظهر المعنى من ورائه مثال ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر:22]، فالهوية الرحمانية الرحيمية ظهرت عن الهوية الجلالة بواسطة الوحدة الإلهية ولذلك جاء بالاسم الموصول، فالرحيم تجلى الرحمن من وراء حجاب امتناع إثبات النفي، والرحمن تجلى

الجلالة من وراء حجاب امتناع النفي والإثبات؛ لأنه بشهادة شهادة غيب اللاهوت، والرحيم شهادة شاهد غيب الرحمن الوجود الواجب المحض المسمى بالجلالة هو بإيجابه لمتعلقاته التي لا تحقيق لها إلا به، فلا يتعين بها سواه فلا يزيد عن معاني واجبة؛ بل تمنعه الزيادة عليه إلا من حيث تعبير معاني متعلقة، وما تلك المعاني إلا بالحقيقة والمعنى، وهذه المرتبة تسمى هوية مقيدة، وأما المرتبة الرحمانية فهوية مرسلة تميز تمييزات اعتبارية ليس إلا كالفضول السلبية، والثالثة المرتبة الرحيمية تميز تمييزات وجودية، وتقريب هذا في المحسوسات معرفة أنها بمجتمعه، فهي واحدة بتعيينها الوجود، فإذا وضعت في كل أنا جزءاً منها كانت أكثر مني واحدة بالفراغات الفاضلة من وتلك الأجزاء، وعلى هذا والله أعلى وأعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.

نمقه أحمد المسيري وفرغ من كتابته واحد وعشرين شعبان.....

خاتمة مباركة

قال الشيخ المصنف في كتابه المسامع:

اسمع: الذات مقوّم كل علمٍ وإن كان هو هو من حيث يقتضي لنفسه الكشف والتميز، وهو مقوم كل معلومٍ وإدراكٍ ومدرَكٍ وحكمٍ ومحكومٍ كذلك، فلا يصح والحالة هذه أن يُعلم ولا يُدرَك، ولا بما قيل أو يُقال، وإن تسلسل دفعًا للتحكم؛ إذ ذلك كله من المتقومات به لا هو، ثم هو الوجود بما يوجب لنفسه أن يقضي، ويجرد له من نفسه ما به يتعيَّن ويتَّصف، فيكون موجودًا به له منه، وما ثَمَّ في الحقيقة سِواه، وشأنه ثابتٌ لَه في كل موجودٍ؛ لأنه مقتضاه لنفسه بالذات أو بواسطة كذلك، ولا يُعلم أو يدرك إلا موجوداته، ونفسه باعتبارها لا بما هو ذات فقط؛ إذ ذلك لا يُعلم كما تقدَّم، وكلما نظر لنفسه في تعين رأى أنه هو لا سواه، وغاب عنه به تعينه بما عداه كتعينه به، ومن ثَمَّ لا يُعلم من نفسه والحالة هذه إلا هو فقط.

فافهم مع آخر الثمانمائة القطبانية التي أولها قول السيد الكامل: «إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»، وذلك يوم النحر من حجة الوداع بعد عشرة من الهجرة عام 823 هجرية هلالية؛ لأن تفاوت ثمانمائة سنة هلالية عن ثمانمائة من ثلاثمائة وستين كل سنة 13، ويُضاف عليها العشر التي بين أول الهجرة وحجة الوداع التي هي أول هذه الثمانمائة، وآخر عام ثلاثة وعشرين وثمانمائة هجرية هلالية تكمل سني ثلاثة وستين عامًا، وتكمل الثلاثة عشر سنة التي أخبرني بها، وقال لي عنها عيسى عليه السلام: «والله لتحكمن فيهم ثلاثة عشر سنة»، وذلك هو آخر سني كما أخبرت في المبشرة، وقد تحامت أدلة كثيرة ذكرناها في مواضع مما كتبناه من فتح الحق سبحانه وبحمده على أن ظهور حكم خير الحاكمين من سنة إحدى عشرة وثمانمائة، وتمكث ثلاثة عشر عامًا، وانظر كيف عدد (خير)810 بالجمل الكبير، وما هذا البؤس المذموم باللطف الذي جاء قبله، ولم يرَ الناس مثله قط إلا لأنهم في زمن ذلك الحكم تنعموا نعمة ما نعموا مثلها قط.

كما قال السيد الكامل: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ﴾ [يونس: 109].

اسمع: أخبرني أبو الضياء شهاب الدين من غلمان هذا البيت الشريف – قدَّس الله أسرارهم العزيزة أجمعين– أنه كان يومًا بالحضرة الشريفة والفقير طفل صغير بين يدي سيدي ومولاي.

فقال سيدي ومولاي: يا شهاب الدين هذا قاضينا، وأخبرتني سيدتي الكبيرة وجماعة من السيدات عابدات هذا البيت الشريف، قدَّس الله أسرارهن العزيزة أجمعين، أن سيدي ومولاي قال عن الفقير: هذا يحكم على الأمراء والسلاطين، وذلك إن شاء الله عطاءً مطلقًا لا مقيَّدًا بعالم.

وأسأل الله سيدي ومولاي به منه هو بما هو عنده، ليس إلا هو آمين آمين آمين، والحمد لله رب العالمين.



مناهل الصفا
بإثبات نسب السادات بني الوفا
بآل المصطفى ﷺ

للشيخ أبي جابر علي بن عامر الإيتادي
من علماء القرن الثاني عشر

تحقيق وتعليق
الشيخ أحمد فريد المزيدي

كتاب مناهل الصفا بإثبات نسب
السادات بالنبي المصطفى
تأليف العبد الفقير علي
أبو جابر بن الشيخ عامر
الأنباري الوفائي
الحراوي
المالكي
غفر لها
[illegible]

صورة عنوان المخطوط

صورة الورقة الأخيرة من المخطوط

ترجمة المصنف

هـو الشيخ العلامة الإمام أبو جابر علي بن العلامة الشيخ عامر بن حسن بن حسن بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن سيف الدين بن سليمان بن صالح ابن الولي العارف بالله تعالى سيدي علي المغراوي بن نصير بن عبد المحسن بن عبد البر بن موسى بن حماد بن داود بن تركي بن قرشلة بن أحمد بن موسى بن يونس بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن الأنور بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

عاصر سيدي أبي الإرشاد الخليفة الرابع عشر، وشيخه سيدي عبد الخالق أبو الخير ابن وفا- قدس سره- المتوفى في ثاني عشر ذي الحجة، سنة إحدى وستين بعد المائة والألف، انتهى.

وصفه العوضي بقوله: المعاصر الثقة الضابط.

وهو حسني النسبة.

قال الجبرتي في ترجمة الإمام العلامة المتقن المعمر مسند الوقت وشيخ الشيوخ الشيخ أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الملوي الشافعي الأزهري ولد كما أخبر من لفظه في فجر يوم الخميس ثاني شهر رمضان سنة 1088 وأمه آمنة بنت عامر بن حسن بن حسن بن علي بن سيف الدين بن سليمان بن صالح بن القطب علي المغراوي الحسني. عجائب الآثار (1/168)، مناهل الصفا في مناقب آل الوفا (ص 160، 161، 162).

قلت: وكتابه هذا عمدة الكتب في تراجم السادة الوفائية.

●●●

بسم الله الرحمن الرحيم

يا مولاي يا واحد يا مولاي يا دائم يا علي يا حكيم

الحمد لله الذي لم يزل قديمًا خبيرًا وبالأسرار عالمًا تدبيرًا، قرّب من شاء فجعله قائمًا هائمًا، وازداد من أراد هائمًا، يقبل توبته إذا تاب نادمًا.

أحمده حمد آمن التقصير، سالمًا وأقرّ له بالوحدانية موقنًا عالمًا.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ الذي سافر إلى قاب قوسين وعاد عند الصبح قادمًا، وعلى أبي بكر ﷺ الذي لم يزل رفيقًا وملازمًا، وعلى عمر ﷺ الذي عبد ربه سرًا كاتمًا، وعلى عثمان ﷺ الذي قُتل مظلومًا وما كان قط ظالمًا، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر:9]، وعلى عليّ ﷺ الذي كان في العلوم بحرًا، وفي الحروب صارمًا، وعلى جميع أزواج النبيين الطاهرات والتابعين وتابعيهم ما نظر عالمًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تكون لنا تامًا.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمد ﷺ المبعوث بالرسالة سالمًا.

وبعد .. فيقول العبد الفقير إلى عفو ربه القدير أبو جابر علي بن الشيخ عامر الإتيادي: قد منحني سيدي وأستاذي الملاذ الأكرم الأستاذ الشيخ عبد الخالق أبو الخير بن وفا ﷺ بالإذن في تأليف جمل من مناقب أسلافه السادات الوفائية، وذكر نسبهم الشريف المتصل بسيد الأولين والآخرين محمد ﷺ فامتثلت أمره لما وجب علي طاعته ولا تسعنى مخالفته، وشرعت في ذلك مستمدًا من الله المعونة، وسميته: «مناهل الصفا باتصال نسب السادات بالنبي المصطفى ﷺ» فأقول وبالله المستعان وعليه التكلان إجمالاً:

الشيخ عبد الخالق أبو الخير

هو الأستاذ الشيخ عبد الخالق أبو الخير ابن الأستاذ الشيخ عبد الوهاب أبو التخصيص ابن الأستاذ يوسف أبا الإسعاد ابن الأستاذ أبي العطاء عبد الرازق بن أبي المكارم إبراهيم بن أبي الفضل محمد بن أبي المكارم إبراهيم بن أبي الفضل محب الدين محمد بن أبي المراحم محمد بن أبي الفضل عبد الرحمن الشهيد ابن أبي العباس أحمد ابن الأستاذ الكبير والعلم الشهير سيدي محمد وفا بن محمد ابن الولي العارف بالله تعالى محمد النجم بن عبد الله بن أحمد بن مسعود بن عيسى بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن عبد الكريم بن محمد بن عبد السلام بن حسين بن أبي بكر علي بن محمد بن أحمد بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء ابنة سيد المرسلين، وسيد الأولين والآخرين حبيب رب العالمين النبي العربي الأبطحي الحرمي الهاشمي القرشي صاحب الشفاعة العظمى يوم الدين المخصوص بعموم رسالته إلى العالمين، صاحب اللواء المعقود والحوض المورود، نخبة بنِ هاشم أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى هنا أجمع أهل النسب وما وراء ذلك ففيه اختلاف كبير.

هذا نسب سيد السادات وشرفهم وبحر العلماء ومغترفهم، وتاج الأشراف العلوية المتفرعين من الجرثومة النبوية، تنوس على عالم العلم ذوائبه، وتقرطس أهداب الآداب صوائبه، ولم يزل له أمام سرير الملك قدم صدق يطلع في سماء الفخر بدره ويوطئ أعناق النجوم قدره.

سيدنا ومولانا صدر صدور الموالي ونعمة الله على أهل مصر وفضله المتوالي الفاضل والإنسان الكامل المتبحر، الذي جرت فيه سنن الأذهان فلم تدرك قراره، وعجز الفصحاء والبلغاء أن يخوضوا تياره ذي الأخلاق الحسنة المرضية، والشيم الظاهرة المرضية من تشرف بذكره كل ذاكر، وتعطر من ثناه الحسن الجميل كل عاطر سيد العارفين، وقدوة المسلكين الأستاذ الأعظم الشيخ عبد الخالق أبو الخير[1] لا زالت

---

(1) قال المرتضى: أبو الخير: كنية السيد عبد الخالق بن عبد الوهاب بن يوسف بن
-

أفلاك سعادته في بروج سعده بارتقائه دائرة، وشموس سيادته في أفق مجده بعلو قدره مشرقة، سائر صاحب سجادة ساداتنا بني الوفا والكنية الشريفة حرس الله ذاته الشريفة اللطيفة.

ولقد أحسن القائل فيه وأجاد:

إني وجـــدتك في جـــرثومة فـــرعت مرعـــى قريش إذا ما واصف وصفا
فأنـــت مـــن هاشـــم في سر نبعتها بحـــيث حلت وسيطا لم تكن طرفا

يتيمة الدهر نادرة الزمن صاحب الهبات الإلهية والفتوحات الرحمانية من تتعطر بنشر منشور ذكره المحالس، ويرتاح بمشاهدته وعذب خطابه من إليه يجالس، وفيه يقول الشاعر:

نُجـــومُ سَـــماءٍ كُلَّما غابَ كَوكَبٌ بَـــدا كَـــوكَبٌ تَـــأوي إِلَيهِ كَواكِبُه

إذا تأملنا سلوكه طريق فهو أجل من اقتفى آثار سلفه الطاهر، وأضحى بإمامته يقتدى، وذكرنا نسبه الشريف علمًا افتخاره على كل طائفة بأنه وفائي وعلوي، وإن قيل فيما مضى: المرء بسعده فهذا بسعده وأبيه وجده، نسب كان عليه من شمس الضحى نورًا ومن فلق الصباح عمودًا، مات والده فنشأ هو أبقاه الله نشأة حسنة مكبًّا على القرآن، والاشتغال بالعلم والذكر والعبادة والأوراد الخفية، والتواضع الزائد، والشيم المضيئة.

تفقه على يديه جماعة أجلة أعلام منهم أستاذنا العلامة خاتمة المحدثين، شمس الملة والدين محمد بن الشيخ عبد الباقي الزرقاني[1]، والشيخ العلامة برهان الدين

-

عـــبد الرزاق بن إبراهيم بن وفا، خلف في المشيخة أخاه أبا الإرشاد في ثاني عشر محرم سنة 1113هـــ.

وكـــان شيخًا مهيبًا، أسمر اللون، نحيفًا بشوشًا، ذا وقار، وكرم مفرط ونباهة وجلالة ومهابة عـــند الخاص والعام، وعمر طويلاً حتى ألحق الأحفاد بالأجداد، وقد تلقى عنه أكابر العلماء وأحـــبوه، ولم يـــزل على سيرة حميدة وعيشة سعيدة حتى لبى مولاه في ثاني عشر ذي الحجة سنة إحدى وستين بعد المائة والألف، وصلى عليه بالأزهر في جنازة حافلة ودُفن عند آبائه.

(1) صنف الزرقاني في السادة كتابه: «النفحة الرحمانية في تراجم السادة الوفائية» طبع في مقدمة المسامع لسيدي علي وفا ﷺ بتحقيقنا.

إبراهيم الفيومي المالكي، وغيرهما ممن كان يتردد على مواردهم الشريفة، وذواتهم اللطيفة، وله الموشحات الدقيقة.

صاحب الكرامات العالية الرفيعة منها ما وقع لي معه حين تولى المشيخة والسجادة والكني، وعمل الميعاد السنوي المعتاد، وتفرقة الشدود والمناديل، ومع كثرة ترددي على أعتابهم لم يعطني شدا ولا منديلاً، فحصل في نفس شيء فنمت، وقد رأيت صاحب الترجمة وهو جالس بين جماعة من العلماء، وهو يقول: ائتوني بالشيخ علي فقدموني لديه، وقال لي: أنت معوض عن العدم إعطاء الشد، خذ هذا الشد والمنديل، فانتبهت من النوم ولم يبق عندي بعد اليوم شيء في النفس فأسأل الله أن يزيده من فضله، ويمتعه بالعافية، ويجعله رحمة بين العباد، ويرزقه من منّة الأولاد، ويبقى نسله إلى يوم التناد ويجمع له بين خيري الدنيا والآخرة بجاه المصطفى ﷺ خلف أخوه الأستاذ يوسف أبا الإرشاد في المشيخة والسجادة والكني بعد وفاته في خامس عشر محرم سنة اثنى عشر ومائة وألف.

الأستاذ أبو الإرشاد يوسف [1]

أخوه الأستاذ يوسف أبا الإرشاد بن الأستاذ أبو التخصيص عبد الوهاب كان من أهل الكشف والزهد في الدنيا، وكانت لا قيمة لها عنده ألبتة، وكانت يده بالكرم مبسوطة جدًّا، ويؤثر الغير على نفسه، وعليه ينطبق قول الشاعر:

هــوَ البحــرُ مِن أيِّ النواحِي أتيتهُ   فلجــتهُ المعــروفُ والجودُ ساحلهُ

تعــودَ بــسطَ الكــفِّ حتَّى لوْ انهُ   أرادَ انقباضًــا لمْ تطعــهُ أناملــهُ

---

(1) كان سيدًا فاضلاً، كريم النفس، سليم الصدر، عالي العزم، مهابًا محتشمًا، وهو أجل أولاد أبيه، أثنى عليه غير واحد، فأقام هكذا في الخلافة اثنين وعشرين سنة، ثم توفي سنة اثنتي عشرة ومائة وألف، هكذا قال معاصروه، وهم أوثق وأعرف، فتاريخ مرتضى التولية بقوله: صادق فجر أفق الإشراق، صحيح دون تاريخ الوفاة بثلاث عشرة، حادي عشر محرم كما هو ظاهر، وكان مشهدًا مشهودًا، ودفن في مقام بالزاوية - رضي الله تعالى عنه، عنا به - وقد أعقب من الذكور بالإشراق: محمد، وأبا الإكرام عبد الفتاح، وإبراهيم، ومدينًا، وعليًّا، ومن الإناث: أم البقاء، وأم الهناء، وأم الصفاء. انظر: مناهل الصفا للعوضي (161)، بيت السادة الوفائية للبكري (26) كلاهما بتحقيقنا.

ولـــوْ لمْ يكـــنْ فِـــي كفِّهِ غيرُ نفسهِ لجـــادَ بهـــا فليـــتقِ اللهَ ســـائلهُ

وكان هناك جماعة يترددون على صاحب الترجمة، وطمعوا مما في يده، وأخذوا منه جملة من الأموال بالحيلة والمكر والخديعة، وآل أمرهم إلى التكفف والسؤال لشدة داءهم من الفقر.

قال ابن عطاء الله: لو قيل للطمع من أبوك؟ لقال: الشك في المقدور، ولو قيل له ما حرفتك؟ قال: اكتساب الذل، ولو قيل له ما غايتك؟ لقال: الحرمان، تولى السجادة والمشيخة والكنية بعد موت والده في ثامن شهر رجب سنة ثمان وتسعين وألف، ومات سنة اثنى عشر ومائة ألف المذكورة أعلاه، وخلف أولادًا ذكورًا وإناثًا، ولكن لم يبق منهم إلا ولدين ذكرين صالحين نجيبين رشيدين الأستاذ عبد الفتاح أبو الإكرام، والأستاذ محمد أبو الإشراق بارك الله فيهما، وأبقى نسلهما إلى يوم القيامة.

الأستاذ أبو التخصيص [1]

الأستاذ أبو التخصيص عبد الوهاب بن الأستاذ أبو الإسعاد يوسف الفرد الجامع الذي ليس في ولايته ارتياب كعبة النوال والأفضال، ومحط رحال آمال الأمال كان يظهر للناس تارة برداء الجلال وطورًا برداء الجمال ومرة بهما معًا.

ولد في شهر ذي القعدة سنة ثلاثين وألف كما وجد بخط والده الأستاذ أبو الإسعاد يوسف، ومات في ثامن شهر رجب سنة ثمان وتسعين وألف، واعتني به والده الأستاذ أبو الإسعاد وكان يدعو له كثيرًا تجاه الكعبة بالمسجد الحرام، وعند قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام حج الفرض معه قرأ وتفقه على جماعة أجلاء.

وروي بالإجازة عن عالم المدينة المنورة في وقته الشيخ عبد الرحمن الخياري الشافعي المدني المتولد سنة سبع وعشرين وألف.

والمتوفى سنة ست وخمسين وألف، وقرأ على الشهاب أحمد الدواخلي، والشيخ محمد الشبراملسي المالكي، والشيخ محمد الخليلي والمراغي، والشيخ

(1) من كراماته: انني رأيت في المنام جدّه الأعلى، الأستاذ محمد وفا على صورته، انتهى.

وتولي ثامن رجب الفرد الحرام، سنة ثمان وتسعين وألف، ودفن عند أجداده بالزاوية ﷺ وعنا به، وقد أعقب من الذكور: أبا الإرشاد يوسف، وأبا الخير عبد الخالق، وعبد الله، وعبد المنعم، وأحمد، ومن الإناث: نظلة، وفاضلة، وأسماء، وزاهدة، وتحفة، ونعمة.

عبد المعطي وغيرهم.

وقال الشعر الرائق الذي هو على شعر أبناء عصره فائق وله ديوان عظيم حسنٌ.

خلف ابن عمه الشيخ أبا اللطف يحيى بن أمين الدين بن أبي العطاء عبد الرازق، فأبان الله به ما درس وأحيى، وصار شيخ الوقت والطريقة ومعدن السلوك والحقيقة، ودانت له بحمد الله الدولة كلهم، فمن دونهم واعتقدوه وأحبوه وكذا العلماء، وهو على غاية من التواضع ممتثلاً قوله ﷺ: «من تواضع لله دون قدره رفعه الله فوق قدره»[1].

سيدي أبو الحسن بن وفا[2]:

---

(1) رواه الربيع في مسنده (1/372).

(2) هو يتيمة الدهر، نادرة الزمن، صاحب الهبات الإلهية، والفتوحات الرحمانية، المتخلق بالأخلاق النبوية، من تتعطر بنشر منشور ذكره المجالس، ويرتاح بمشاهدته، وعذب خطابه من له يجالس، كشفه لا يتخلف بل يجيء مثل الفلق، وهو مصون عن كثرة المزاح، وإن مزح صدق، ولد سنة أربعين وألف، وحصل له من والده الأستاذ أبي الإسعاد النظر التام، وكان له به مزيد اهتمام، حتى أنه كان يخاطبه في سن التمييز بيا شيخ علي، كما أخبر بذلك، توفي والده فنشأ بعده نشأة حسنة، مكبًّا على القرآن، والاشتغال بالعلم، والذكر، والعبادة، والأوراد الخفية، والتواضع الزائد، والشيم المرضية، ولازم الشيخ الأجهوري ثمان سنين، يركب إليه كل يوم اثنين وخميس بيته بالأزبكية؛ ليقرأ عليه فقرأ عليه الأجرومية، وشرح «القطر» و«الخلاصة»، و«ابن عقيل» بتمامه، وشرح «الكافية» لملاجامي إلى قرب باب العطف و«الرسالة القيروانية»، وجملة من «مختصر» الشيخ خليل، وجملة كافية من صحيح البخاري، قراءة جامعة بين الرواية والدراية، وكان يطالع عليه الكرماني وغيره، وكان الأجهوري يعتني به، ويحبه بالطبع كثيرًا، وكان بعض حاضري مجلس الأجهوري يستنبطونه في المجيء للقراءة.

قال الزرقاني: فسألني الشيخ، لما لا يحضر للقراءة صبيحة النهار؟ فقلت له: لأنه يتعبد بأوراد إلى طلوع الشمس وبعده، بنحو عشرين درجة، فقال الشيخ - زاده الله علمًا وعملاً: ليداوم على تلك الحالة، ولو فرض أنه لا يأتيني إلا وقت آذان الظهر. وكان يدعو له بحضرته أيضًا، فيقول: أسأل العظيم من فضله أن يجعل فيك ضعف ما كان في والدك من الخير والبركة، وقد حقق الله دعاء الشيخ، فلا يرتاب من يشاهده، ويعرف أحواله في أنه كوالده، وألقى الله حبه وجلالته ومهابته في قلوب الخلائق، ورزقه الله الخلق الحسن الجميل الرائق، وكان هو

=

أخوه الأستاذ الأعظم أبو الحسن علي ابن الأستاذ أبي الإسعاد يوسف صاحب الكرامات الظاهرة، مكشفه لا يتخلف بل يجيء كالفلق مصون عن كثرة المزاح، وإن مزح صدق ولد في سنة أربعين وألف، وحصل له من والده الأستاذ أبي الإسعاد النظر التام حتى كان يخاطبه في سن تمييزه بيا شيخ علي، وكان مكبًّا على القرآن والاشتغال بالعلم والذكر والعبادة، والأوراد حج مرارًا وزار المصطفى وزار القدس الشريف، ولازم قبل ذلك العلامة الأجهوري ثمان سنين يركب إليه في كل يوم اثنين وخميس ليقرأ عليه ببيت الشيخ بالأزبكية، وصار هو وأخيه الأستاذ أبو التخصيص كأنهما روح واحد في جسدين يضرب المثل باتفاقهما، ثم حج في سنة ثمان وثمانين وألف وعزم على المجاورة بالحرمين، فأقام بمكة قليلاً ثم توجه إلى المدينة المنورة فمرض بالحمى بالطريق، فأقام بالمدينة ثلاثًا وعشرين يومًا ثم توفي إلى رحمة الله تعالى صبح يوم الأحد تاسع شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وألف، وكان مشهده عظيمًا.

بحيث مشي فيه الشريف أمير مكة ودفن بالبقيع بالقرب من الإمام مالك فيا له من فوز لم ينله أجداده يحشر يوم القيامة في أوائل الناس حيث يأتي المصطفى ﷺ لأهل البقيع فيحشرون معه، جعل الله قبره روضة من رياض الجنة، وجاء نعيه إلى مصر يوم الخميس ثاني جمادي الثانية من السنة المذكورة، وعظم مصابه على الناس جدًّا فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولد عمه الأستاذ أبو الفضل محمد ابن الشيخ أبي بكر الإكرام ابن الأستاذ أبي العطاء عبد الرازق، كان ذا جود وإنعام وحلم وتواضع مع الخاص والعام بحيث كان يأكل مع الفقراء حدًّا على سفرة واحدة، ويشرب من أي قلة تيسرت، ولد في بضع وأربعين وألف وكان أبيض وسيمًا ربعة جميلاً جسيمًا، وكان أطلس لا لحية له، ومات ولم يعقب في ليلة تاسع محرم سنة أربع وثمانين وألف رحمه الله ومتعه في

وأخوه أبو التخصيص، كأنهما روح واحدة في جسدين، يضرب المثل باتفاقهما، وأكب بعد موت الشيخ الأجهوري على الاشتغال بالعلم والعمل والإفادة، والذكر وزيادة التواضع والعبادة، وقضاء حوائج المسلمين، والاهتمام باطنًا بما ينفع الخلق أجمعين، وكان يعقد في بيته كل يوم خميس درسًا يحضره فيه أكابر العلماء، كالزرقاني والبهوتي وغيرهما، وكان حسن المعاشرة بحيث يقول من صاحبه ووافاه: أنه أحب إلى من جميع من عداه، وله مكاشفات عديدة، وكرامات مزيدة. انظر: النفحة الرحمانية (ص62)، ومناهل الصفا (159).

الجنة برضاه، ودفن بقربتهم بالقرافة جعله الله ممن ينظر إليه يوم القيامة.

الأستاذ أبو العطاء عبد الرازق

أخوه شقيقه الأستاذ أبو العطاء عبد الرازق ابن الشيخ أبي الإكرام ابن الأستاذ أبو العطاء عبد الرازق حسن الشمائل كثير الفضائل عالي الهمة لطيف الأخلاق، التواضع إلى الغاية للعباد كثير العبادة سرًا لربه الخلاق تسر بذكراه القلوب، يتبشر برؤيته الأحداق له النفس العالي، ولد في بضع وأربعين وألف، ونشأ نشأة حسنة محبًا للخير والعلم والعبادة بالطبع، وله أحوال باهرة وكرامات ظاهرة مات رحمه الله ليلة الأربعاء سابع الحجة سنة خمس وتسعين وألف، وصلي عليه بالجامع الأزهر، ودفن بتربة أسلافه رحمه الله تعالى.

الأستاذ أبو الإسعاد[1]

الأستاذ أبو الإسعاد يوسف بن أبي العطاء عبد الرازق بن أبي المكارم إبراهيم الأستاذ الذي أحرز قصب السبق في ميدان السعادة، والسيادة والاصطفاء بوأه الله من مجامع الفردوس غرفًا ولد ﷺ سنة ثلاث أو أربع وتسعين وتسعمائة، ولازمه علماء العصر كالشيخ سالم السنهوري المالكي، والشيخ سالم الششتري، والشيخ موسى الدمشقي الشافعيين، وأنفق عمره في طاعة الله تعالى ما بين دروس علم ووظائف ذكر، وقيام ليل، وحج وقدس وزيارة للفقراء والمساكين وأهل الخير والصلاح والدين، وقضاء حوائج للخاص والعام لا يخشى في الله لومة لائم مع تواضع ومكارم أخلاق، وحسن سيرة وسريرة، وجمال وصورة حتى كان عديم النظير في زمانه بحيث لا يسمع بمثله.

وقرأ بمنزله الشريف «المواهب اللدنية» و«الجامع الصغير»، وقطعة من «تفسير البيضاوي» و«الشفاء» للقاضي عياض، ولازمه نور الدين علي الأجهوري، والشيخ

---

(1) هو الذي يهابه لفرط جلاله الليث، ويستنزل ببركة وجوده الغيث، أفاض الله تعالى عليه من سحائب رحمته، ومتعه بنظره إليه في روضات جنته انظر: مزيل نقاب الخفا (ص28)، والنفحة (ص56)، والصفا (152).

أحمد القري المغربي، والشيخ أحمد الدواخلي وغيرهم من فضلاء الأعلام.

وقرأ أيضًا «سيرة ابن سيد الناس بحاشيتها نور النبراس» وبعض «صحيح مسلم» بشروحه و«مختصر البخاري» للولي ابن أبي جمرة، و«شرح الهمزية» لابن حجر، و«شعب الإيمان»، و«شرح الحكم العطائية»، و«تفسير الثعالبي»، وغير ذلك.

قال شيخنا العلامة الشيخ عبد الباقي الزرقاني: وسمعت شيخنا الأُجْهُوري مرةً يقول: والله إن كان في مصر ظاهرٌ فهو الشيخ أبو الإسعاد، وأنه لا يَعرفُ أهل مصر قدرَه، وإنه يتستر عنهم بملابس الدنيا وتظاهُرِه بها، وأسأل الله أن يجعلني من أتباعه في الآخرة. انتهى. وناهيكَ بهذه الشهادةِ من شيخِه فيه، مع مزيدِ وَرَعِه، وشِدّةِ تحرِّيه.

وأسأل الله أن يجعلني من أتباعه في الآخرة، انتهى.

وأخبرني أنه اعترض عليه بالقلب في إنشاء رواق فوق محل المصلَّى ببيته بدرب الجماميز، فأظهر الأستاذ أبو الإسعاد للشيخ الأجهوري نصف بيته قائلاً له:

بـــالإذْنِ قـــد عُمِّـــرَ لا بِـــشَهْوةِ

فـــتابَ الـــشيخُ في ســـاعتِه

فرجع الشيخ في ساعة وسلم، وكراماته كثيرة ومناقبه شهيرة رضي الله عنا به.

وقد توفي ليلة الأحد سلخ صفر سنة إحدى وخمسين وألف، وصلى عليه بصبيحتها بالجامع الأزهر، ودفن بزاويتهم بالقرافة، وقبره عليه مهابة ظاهرة ولم ير جنازة أكثر جمعًا من جنازته بحيث لم يتأخر عن حضورها أحد من الأعيان بمصر حتى باشتها الوزير مصطفى باشا البُستَنْجي، وقاضيها العلامة شهاب أفندي الخفاجي، ورثاه بقوله:

قـــضى نحـــبَهُ، والحجُّ قطبٌ لروحهِ ... دعـــا ربُّـــهُ نحـــوَ الجِـــنانِ فلبَّتِ

ومَـــن حجَّ للبيتِ العَتيقِ على تُقى ... فـــروحُ أبي الإســـعادِ للهِ حجَّـــتِ

ومَـــن حـــجَّ للرحمنِ إحرامَ حجَّةٍ ... مجـــرَّدةٍ عـــن جِـــسمِهِ دونَ مَوقِتِ

فلا بَرِحَتْ سُحْبُ الرِّضا فوقَ قبرِه ... مظلَّلَـــةً هَطَّالَـــةً سُـــحْبَ رحمةِ

والأبيات المذكورة في ريحانة الشهاب، ولله دره حيث أتى بما يناسب المقام، فإن وفاة الأستاذ كانت عند عوده من الحج رحمه الله.

الأستاذ أبو اللطف

الأستاذ أبو اللطف يحيى بن الشيخ أمين الدين بن الشيخ أبي العطاء عبد الرزاق.

كــان ذا تواضـــع ولين، وعبادة ودين متين، وشفقة على الفقراء والمساكين، وكانـــت تذكر بالله رؤيته، وتدل على شعار الصالحين سنته، خلف حكمه الشيخ أبا الإكرام في المشيخة والسجادة[1].

وكـــان عم أبيه الشيخ أبو الفضل يقول: أولاد السادات كلهم فيهم الزيت إلا ولد ابن أخي يحي، فإن زيته من رأسه لقدمه.

تفقه وقرأ على يد الشيخ الأجهوري.

وحـــج قبل توليه السجادة خمسة وعشرين حجة، وجاور بمكة والمدينة سنين عديـــدة، وكان قوالاً بالحق أمارًا بالمعروف لا يهاب باشا مصر، وانقادت له الدولة، وكانوا يتبركون به، ومن تواضعه أنه كان يخرج لزواره من بيته حاملاً القهوة والفطور بـــيده الكريمة، مات سنة سبع وستين وألف، وكراماته شهيرة كثيرة متعه الله بالنعيم المقيم.

الأستاذ أبو الإكرام[2]

الأستاذ أبو الإكرام عبد الفتاح ابن الأستاذ أبو العطاء عبد الرزاق كان ذا حال وصلاح ورشد وتواضع وفلاح وذكر وأوراد ليل وكرم وحلم وسعي في النجاح.

خلف عمه الشيخ أبو الفضل في المشيخة بإشارته، فإنه قدمه مرة صلى به إمامًا

---

(1) انظر: مناهل الصفا (157)، ومزيل نقاب الخفا (34).

(2) قـــال مرتـــضى: السيد عبد الفتاح بن يوسف بن عبد الوهاب بن وفا، أجلُّ أولاد أبيه، كان فاضـــلاً محتشمًا، وهو والد سيدنا المرحوم السيد محمد أبو هادي بن وفا، الآتي ذكره. وهي أيـــضًا كنية السيد عبد الفتاح بن عبد الرازق بن إبراهيم بن وفا، ولد سنة ثلاث بعد الألف، وخلـــف عمـــه أبا الفضل في المشيخة بإشارة منه، فإنه قدمه مرة في زاوية أجدادهم صلى به إمامًا، وقرأ العلم على النور علي الأجهوري، وغيره، وكان ذا رشد وصلاح، وأوراد وأذكار وأحوال ظاهرة وكرامات باهرة، مات ليلة الجمعة حادي عشر ذي الحجة سنة أربع وخمسين بعد الألف بمصر القديمة، وصلى عليه في جامع عمرو، ودفن عند أجداده. [مزيل نقاب الخفا ص 28].

في زاوية أجدادهم السادات، وقرأ على العلامة الأجهوري وغيره، وكان ذا أحوال ظاهرة وكرامات كثيرة باهرة مات حادي عشر ذي الحجة ليلة الجمعة سنة أربع وخمسين وألف بمصر القديمة، وصلى عليه بجامع عمرو، ودفن بزاويتهم بالقرافة.

(فائدة): تشتمل على أسماء الجامع العتيق، وما فيه من الأماكن المجاب فيها الدعاء، وكان هذا المسجد الذي أنشأه الإمام عمرو بن العاص بمصر القديمة، فقال له: تاج الجوامع، وكان الأستاذ سيدي علي وفا يسميه قاعة الفرح، وكان الشيخ إبراهيم المتبولي يسميه: ميدان الأولياء، وتسميه العامة: مسجد عمرو بن العاص، ويسمى: بالجامع العتيق، ويسمى بمسجد أهل الراية، قال الليث بن سعد: ليس لأهل الراية مسجد غير هذا المسجد؛ أي: مسجد عمرو بن العاص، انتهى.

وأما الأماكن المستجاب فيها الدعاء.

قال أهل التاريخ: منها البلاطة الحمراء التي خلف الباب الأول في مجلس ابن عبد الحكم، ومنها باب البرادع، ومنها المحراب الصغير الذي في جدار الجامع الغربي، ومنها باطن مقصورة عرفة، ومنها عند حوزته التي بالجامع، ومنها زاوية قاطبة ويقال أنها قاطمة في الجامع به المكان نسيم، ومنها سطح الجامع، ومنها قبالة اللوح الأخضر.

قال الشيخ إبراهيم بن عبد المنعم البكري: ومن المتبرك به العمودين اللذين على يمين الداخل من باب الشهود المجاور لسلم السطح في الجهة البحرية، ومنها عمود الجلالة، ومنها المكان الذي كان الإمام الشافعي يدرس به، ومنها المحراب الخشب المنقوش المجاور وكرسي مصحف، ومنها العمود الذي يقرب الزيارة انتهى[1].

(1) هو الخليفة الحادي عشر، الذي شاع ذكره الجميل واشتهر، وقد أخذ عن أئمة أجلة كالنور علي الأجهوري، وأخذ عن أئمة أجلة، كالشهاب بن أحمد بن محمد الخفاجي قاضي مصر، وأحمد بن أحمد العجمي، وله أحوال كبيرة ظاهرة، وكرامات كثيرة باهرة.
قال في «النفحة»: منها: أنه أتى مرة من زيارة أجداده بالقرافة إلى منزله ليلاً بمصر العتيقة، وكان قد تقدم أصحابه فخرج عليه قطاع الطريق الفرسان، فلما عرفوه ترجلوا وقبلوا يده وسألوه الدعاء، فسألهم من أنتم فأخبروه ودعا لهم، وقال: لا تشوشوا على أصحابي، وأعطاهم بعض دنيا، فكان أربعين نصفًا على عددهم، فكان من بركته أن الجميع لم يموتوا حتى تابوا وتركوا ما كانوا فيه، ورأينا رجلاً منهم كان يخدم ولد الشيخ هو الأستاذ أبو العطاء أبقاه الله، واستمرت تلك الخدمة إلى أن مات الخادم.

ومنها: أنني زرته ببيته بمصر القديمة، وكان عنده ولده المرحوم سيدي أبو الفضل فقال لي: إن شاء الله تقرىء هذا، وأخاه سيدي أبا العطا في العلم، وكان له ولد غيرهما فلم يذكره، فكان الأمر كما قال تشرف الحقير بإقراء اللذين سماهما.

ومنها: ما أخبرني به الأمير قانصوه بيك: أنه كان جاويشًا، وتعلق قلبه بأن يكون محتسبًا بمصر، فذهب إليه بمصر القديمة؛ ليستشير في ذلك، ويستشفع به فيه عند أرباب الدولة، فلما أخبره بذلك سكت ساعة، ثم قال له ثلاث مرات: لا تفعل ذلك، وإن شاء الله تعالى يعوضك مناصب جليلة، فرضي بذلك الأمير قانصوه، وترك ما كان عزم عليه، فكان الأمر كما قال الشيخ، فتولى كتابة المتقاعد، ثم ترجمان الباشا، ثم أغا جمليان، ثم صنجقا قللها، ووقع معه أنني كنت كاتبًا عند الأمير حسن بن محي شلبي، فكتبت للشيخ كتابًا على لسان الأمير حسن، وذهبت به إليه كما أمرني، فقال لي الأستاذ: أنت تصلح لأن تكون ترجمان الباشا فكان كما قال.

ومنها: ما ذكره لي بعض خواصه بعد موته: أنه كان بزاوية أجداده ليلة، فلهج لسانه بالدعاء لولديه سيدي أبي الفضل، وسيدي أبي العطا، فلما تم دعاؤه كلمني، فقلت له: يا سيدي ما دعوت لولد سيدي عبد الرحمن، فقال: لم يذكرنيه الله، فكان ذلك مع ما تقدم من قوله: تقرىء هذا، وأخاه كشفًا منه لموت ولده المذكور بعده بيسير، واتفق لي أنني زرته بعد المغرب برمضان، سنة نيف وأربعين وألف ببيته المشهور ببيت عاشور بالقاهرة، فحضرت صلاة العشاء والتراويح، وكان عنده الجم الغفير من الفقهاء والأكابر، فأمرني بالتقدم للإمامة، فأبيت لصغر سني عن الحاضرين، فجذبني بيده الشريفة - رحمه الله - وقدمني للإمامة، وقدمني أيضًا لصلاة الظهر بمرض موته، حين دخلت له مع شيخي الأجهوري لعيادته، فلما حضرت صلاة الظهر قال لي: صلِّ بنا، فقلت: حتى أتوضأ من البحر، فحلف بالله أنني أتوضأ من حنفيته النحاس، الموضوعة بدور قاعته بمصر القديمة على البر، فتوضأت وصليت بهما، فكان في هاتين الواقعتين الكشف منه بأنني أتشرف بخدمة الحرمين، ومجاورته بهما صارت أقواله وأحلاقه كأقوال أهلهما وأخلاقهم، وأثنى عليه غير واحد.

كان حسن الشمائل، كثير الفضائل، متواضعًا للغاية للخلق، لطيف الأخلاق، عالي الهمة، كثير العبادة سرًّا لربه الخلاق، تسر بذكراه القلوب، وتبشر برؤيته الأحداق، له سر غال ونفس عال، يظهر تارة في خلع الجمال، وتارة في رد الجلال، شعره السحر الحلال، وكل أوصافه كمال، وقد ألبس كأخيه جماعة من الأعيان في ذلك الزمان، وله أحوال ظاهرة، وكرامات باهرة، ما آذاه أحد إلا رجع القهقري، وسطت عليه القاهرة، جمع الله له بين خيري الدنيا والآخرة، وألقى محبته وهيبته في قلوب العالمين، ورزقه مزيد الولاية والتمكين، وأبقى نسله الطيبين إلى يوم الدين. انظر: «النفحة» (ص51)، والمناهل (ص150).

الأستاذ أبو الفضل محمد ابن الأستاذ أبي المكارم(1)

صاحب الحال الأسعد والجهاد في طاعة مولاه السرمد، خلف أباه في المشيخة، فكان على قدم عظيم في مراقبة العزيز الرحيم، وكان ذا تواضع عميم يأمر بالتواضع ويحث عليه حتى أمر به من كان يعز عليه، وهو ولد أخيه الأستاذ أبو الإسعاد لما استشاره على من يقرأ عليه العلم، فقال له: الشيخ سالم السَّنْهُوري، وأمره بأن يكتب إليه في أنه يذهب إلى الشيخ أو الشيخ يأتي إليه، فكتب إلى الشيخ ورقة بعث بها، فكتب الشيخ على طرقها الأمر إليكم، فعرضها على عمه، فقال له: تعين عليك أنت السعي إليه.

(1) منها: أنه غيَّر خاطره مرة على أخيه أبي العطاء المذكور سابقًا، فلحقته لقوة شديدة من حينه، فلما استعطفوه عليه واسترضوه عنه، استحضره ولطمه بكفه الكريمة، فبرئ لوقته.

قلت: وكان الرضا التام حصل من هذا الوقت، حتى كان بينهما كمال الاتفاق والاتحاد كما أسلفناه.

ومنها: أن الأستاذ محمد بن أبي الحسن البكري، مرض ببيته عند الجامع الأزهر ثلاثة أشهر، مرضًا أقعده تلك المدة، فتوجه الأستاذ المترجم إليه ليعوده يوم جمعة بعد جلوسه بالمحيا الشريفة بالجامع الأزهر، وغيبوبته واستغراقه فيها حتى صارت ثيابه تقطر ماء، فلما صحا ودخل على الشيخ محمد البكري، قام له بنفسه من غير استناد، وعوفي لوقته مما كان به من العاد.

ومنها: أن عالم مصر الشيخ نور الدين الزيادي -رحمه الله تعالى- كان إذا غضب على أحد من جماعته لم يعد يرضى عليه بعد، ولا يستطيع أحد أن يرده للاجتماع عليه، فاتفق أنه غضب مرة على رجل منهم، فتشفع إليه بكل من قدر عليه، فلم يشفعه، فدل على الأستاذ المترجم فكتب إليه في ذلكم، فرضي عليه ورده إليه ومكنه من الاجتماع به، ولم يستطع أن يرد تلكم الشفاعة.

ومنها: أنه أعطى قاضي القضاة بمصر يحيى بن زكريا سجادة، وقد كان القاضي عنده، وأخذ الجلس حقه فأخذها وتعجب هو والحاضرون، فأرخ فإذا القاضي كان قد عزل، ثم ولي في هذا اليوم الذي أعطي فيه السجادة، فاستوجب مزيد حب واعتقاد عند القاضي للشيخ، فلما توفي سنة ثمان بعد الألف، جاء القاضي وحضر مع من حضر غسله وجنازته لما شاهده من كرامته، ودفن ﷺ، وعنا به بتربة أسلافه، وزاويتهم بمقام يزار ويقصد.

وكان له كرامات وخوارق عادات.

منها أنه كان عنده قاضي عسكر مصر يحيى بن زكريا، فلما انقضى المجلس أعطاه الشيخ سجادة، فأخذها وتعجب هو والحاضرون، فأرخ ذلك اليوم، فإذا القاضي كان عزل قبل ذلك، ثم ولي في اليوم الذي أعطاه الشيخ السجادة، ثم إن الشيخ توفي في مدة القاضي سنة ثمان وألف نجا فحضر غسله وجنازته لما شاهده من كرامته.

الأستاذ أبو العطاء عبد الرزاق بن أبي المكارم إبراهيم (1)

كان هو وأخوه سيدي أبو الفضل محمد السابق كأنهما روح واحد في جسمين يضرب بهما المثل باتفاقهما واتحادهما، مات في شعبان سنة خمس وألف في حياة أخيه، وهو والد الأستاذ أبي الإسعاد وأبي المكارم وأبو الإشراف أمين الدين، تغمدهم الله بالرحمة والرضوان.

وقد كنت أتوهم أن سيدي عبد الرزاق هذا هو الذي بالإسكندرية غيره، وأنه الذي يزار وصاحب المشهد المشهور هناك، حتى وقفت على «الطبقات» للأستاذ الشعراني في ترجمة الأستاذ الشيخ أبو الحجاج الأقصرائي، قال: سمعت شيخنا عبد الرزاق يقول لقيت أبا العباس ﷺ سنة ثمان وخمسمائة، فسألته عن شيخنا أبي مدين التلمساني، فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت، وشيخ أبو الحجاج الأقصرائي الشيخ عبد الرزاق الذي بالإسكندرية قبره، من أجل أصحاب أبي مدين المغربي، واسمه شعيب وولده مدين هو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد القادر الدشطوطي ببركة القديم جار السور شرقي مصر عليه قبة عظيمة وقبره يزار، وأما

---

(1) دُفن في زاوية بمقام مفرد، ولما حضرته الوفاة قال لولديه سيدي أبي الفضل، وسيدي أبي العطاء: ليس عندي ما تختصمان عليه، وإنما عليَّ خمسمائة قرش فاسعيا في قضائها عني، فتوفي وليس عنده شيء، فجلسا في زاويتهم مدة مديدة، فإذا بشخص تاجر قد أوصى بثلث ماله لسيدنا المترجم، فمات فوجد ثلثه خمسمائة قرش، فأتى بها لهما فأخذاها، وقضيا بها دينه.

قال الزرقاني في «النفحة» (ص49): كذا أخبرني به الشيخ أبو اللطف-رحمه الله تعالى- انتهى.

والده مدفون بتلمسان بأرض المغرب في جبانة العباد، وقد ناهز الثمانين وقبره ظاهر يزار، انتهى.

قال الشهاب أحمد العجمي: أنشدني أستاذ سيدي أبو الإسعاد لوالده سيدي أبو العطاء المذكور:

إلهي لئنْ أوعدتَ بالنارِ مَن عصَى ... فوعدكَ بالإحسانِ ليسَ لهُ خلفُ

وإنْ كنتَ ذَا بطشٍ شديدٍ وقوةٍ ... فمن وصفكَ الإفضالُ والمنُّ واللطفُ

ركبنَا خطايانَا وسترك مسبلٌ ... وليسَ لأمرٍ أنتَ ساترهُ كشفُ

إذَا نحنُ لمْ نبسطْ إليكَ أكفنَا ... فمَن ذَا الذِي نرجُو أوْ مَن ذَا الذِي يعفُو

وقد خمس هذه الأبيات شاعر هذا العصر المفتن الأديب الأريب المجيد الشيخ عبد الجواد بن الشيخ شعيب الخوانكي.

الأستاذ أبو المكارم إبراهيم بن أبو الفضل محمد بن أبي المكارم (1)

إبراهيم بن أبي الفضل محمد محب الدين بن أبي المراحم محمد بن أبو الفضل عبد الرحمن الشهيد ابن أبي العباس أحمد شهاب الدين ابن الأستاذ محمد وفا- عمت بركاتهم ودامت إمداداتهم- هكذا نسبه ابن فهد ولد في حدود العشرين وتسعمائة، ومات والده سنة اثنين وأربعين وعمره أزيد من عشرين سنة مخلفه في الزاوية مع يقظة ونباهة وعلو همة، وفضيلة حفظ القرآن، ورسالة ابن أبي زيد ،وورقات إمام الحرمين ومقدمة الأجرومية، وقرأ من محفوظة الرسالة على الشيخ أبي الحسن المالكي، وقرأها مع الورقات على السيد الأرميوني.

(1) قال السخاوي: وسمعت أنه في أوائل هذا العارض نحول شافعيًّا، توفي ليلة رابع عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، وصلي عليه من الغد بجامع المارداني، ثم سبيل المؤمنين، ودفن بتربتهم بالقرافة في مقام على حدة يزار ويقصد، وقد استكمل نحو خمس وثلاثين سنة عن أربعة أولاد، هم إبراهيم وأحمد وزينب وفاطمة، ﷺ وعنا به. [الضوء اللامع 320/4].

قال ابن فهد: وظهر لي منه الصلاح والفضل والفلاح، لما قدم مكة لحج فرضه في سنة تسع وأربعين، ثم توفي سنة ست أو ثمان وستين وتسعمائة، ورثاه الإمام محمد الفارض بقوله:

إذَا قضَى الواحدُ المجيدِ أمرًا فمَا تفعلُ العبيدُ

نسلمُ الأمرَ مِن قريبٍ فليسَ نبدىءُ ولاَ نُعيدُ

قال التاج الوسيمي في «شرح حزب الفتح»: بلغني عن الشيخ العارف بالله تعالى سيدي أبي المكارم إبراهيم بن وفا، أنه كان يقول: المراد بالسبعة آيات الفاتحة وبالثمانية آية الكرسي، ونقل قبل ذلك معان أخرى، ولكن صاحب البيت أدرى بالذي فيه، وفي «طبقات الشعراوي» في ترجمة سيدي علي وفا ﷺ ما نصه: وسئل عن المراد بقول الشيخ أبي الحسن الشاذلي في «حزب النور»: وأعوذ بك من السبعين والثمانية، فقال: المراد بالسبعين السلسلة التي ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ [الحاقة:32] وهي مظهر الفرق الهالكة، وبالثمانية فهي إشارة إلى ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة:7]، وفيه هي مظهر أبواب جهنم.

ومن كراماته أنه لما حضرته الوفاة قال: لولديه سيدي أبي الفضل، وسيدي أبي العطاء ليس عندي ما تخصمان عليه، وإنما هي على خمسمائة قرش فاسعيا في قضائها، فتوفي وليس عنده شيء، فجلسا عنده في زاويتهم مريده، فإذا شخص تاجر أوصى بثلث ماله لسيدي إبراهيم فمات، فوجد ثلث ماله خمسمائة قرش، فأتي بها لهما فأخذاها وقضيا بها دينه كذا أخبرني به الشيخ أبي اللطف، انتهى.

نقله شيخنا العلامة الشيخ عبد الباقي الزرقاني في «النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية».

الأستاذ أبو الفضل

محمد بن أبي المكارم[1]

الأستاذ أبو الفضل محمد بن أبي المكارم إبراهيم بن أبي الفضل محمد المدعو عبد الرحمن الشهيد بن أبو العباس أحمد شهاب الدين ابن الأستاذ محمد وفا.

قال الشعراوي في «ذيل الطبقات»: سيدي أبو الفضل ذو المفاخر والمآثر، ختام الدوائر، صحبته عشرين سنة، فرأيته على قدم عظيم في الطريق، وله مكاشفات كثيرة وخوارق كرامات شهيرة.

مات سنة نيف وأربعين وسبعمائة، وقد بلغ من العمر نحو خمسين سنة يوم الجمعة بالمشهد حال جلوسه في ثاني عشر ربيع الأخر بعد صلاة الصبح، وبعد ثلاثة أيام وانقطاعه قبل ذلك عن الناس في بيته نحو الستين، وهو يقلل من الأكل بحيث صار نحو الجمعة لا يأكل شيئا مع مجاهدة نفسه طول الأيام، وهيبته عند الخاص والعام وحمل من محل وفاته إلى القاهرة، ودفن عند سلفه بالقرافة، وصلى عليه بمكة صلاة الغائب في أول شعبان عام وفاته.

وخلف في زاويته ولده القدوة البرهان أبو المكارم إبراهيم المتقدم ترجمته.

الأستاذ أبو المكارم إبراهيم

الأستاذ أبو المكارم إبراهيم ابن المحب أبو الفضل محمد المجذوب ذكره السخاوي في «الضوء اللامع» وقال: ولد في حدود السبعين وثمانمائة، ونشأ في كنف أبيه فحفظ القرآن و«المختصر» و«ألفية بن مالك» وغيرها مات والده سنة ثمان وثمانين، واستقر

---

(1) قال الزرقاني: وكان رحمه الله تعالى عنده غَيْرةٌ شديدة على عِياله، لا يُمكِّنْ أحدًا من الخدم يدخل عليهنَّ أبدًا، إنما يقضون الحاجة من باب الدار، وكُنَّ إذا طلبن الحمّام في مصر يُعدِّي بهنَّ في النيل، ويجدِّفُ بهنَّ وحدَه حتى يُوصِلَهُنَّ إلى مصرَ العتيق، ويُخلي لهنَّ الحمّام، فإذا فرغن من حاجتهنَّ أواخر الليل أخذهنَّ وأنزلهنَّ في المركب، وجدَّف بهنَّ إلى الروضة.

وقال لي مرةً: اسمع مني يا ولدي، إني طُفت مشارقَ الأرض ومغاربها، وأحطتُ علمًا بفقراء هذا الزمان، وما أعجبني فيهم أحدٌ مثلُك. فقبَّلْتُ رِجلَه، وكان يحبُّني أشدَّ المحبة، ثم سرَت المحبةُ إلى ولده سيّدي إبراهيم، فلا أعلمُ الآنَ في مصر أحدًا من الأولياء يحبُّني أكثرَ منه.

وكان رحمه الله تعالى كثيرَ الغضب للولاةِ إذا خالفوه، وكانوا يلقّبونه بالفيل الأبيض، ومناقبه كثيرةٌ مشهورةٌ بين أصحابه.

في المشيخة بعد أبيه كما في «مختصر الضوء» للقسطلاني وعمل الميعاد.

قال ابن فهد: واستمر حتى مات في أوائل القرن العاشر كذا وجد فيه وصوابه التاسع قاله شيخنا عبد الباقي الزرقاني، وخلفه في المشيخة ولده أبو الفضل محمد بن أبي المكارم إبراهيم بن محمد المجذوب بن أبي المراحم محمد بن أبي الفضل الشهير ابن أحمد بن محمد وفا هكذا ترجمه ابن فهد [1].

الأستاذ أبو الفضل محمد محب الدين المجذوب

قال السخاوي: خلف والده أبا المراحم في التكلم والمشيخة، فدام مدة مع عدم سبق اشتغال لكنه كان شديد الذكاء متين الذوق ورعًا، قرأ يسيرًا في النحو وغيره، وعرض له جذب وطلع للسلطان وشافهه بما حسن اعتقاده فيه، بحيث أهان من تعرض له بسوء، ويقال أنه انتقل إلى مذهب الشافعي بعد ما عرض له الجذب والله أعلم، مات عن نحو خمس وثلاثين عامًا في ليلة رابع عشر جمادي الآخرة سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، وصلى عليه من الغد بجامع المارداني ثم سبيل المؤمنين، ودفن بتربتهم بالقرافة الأستاذ أبو المراحم محمد بن أبي الفضل محمد المدعو عبد الرحمن الشهيد.

قال السخاوي: خلف عمه أبا السعادات يحيى بن أحمد بن محمد وفا في المشيخة والتكلم، ولم يكن يظن به ذلك ولكن الولد سر أبيه، مات في جمادي الأولى سنة سبع وستين وثمانمائة في الروضة بين البحرين، وحمل إلى القرافة ودفن بتربتهم وكان يومًا مشهودًا، انتهى.

قال ابن فهد: وبلغني أن بعض قرابته تكني بكنيته، وهو أبو المراحم بن المحب أبي الفضل بن الشمس أبي المراحم عبد الرحمن المذكور بلقبه الآن، وأنه أخذ عنه المشيخة ابن أخيه أبي الفضل محمد بن أبي المكارم بن المحب المذكور، فلتحرر ترجمته.

قال الشهاب ابن العجمي: الأستاذ أبو الفضل محمد المدعو عبد الرحمن الشهيد بن أحمد بن محمد وفا ذكره السخاوي في «ضوءه» وهو أخو إبراهيم وحسن

---

(1) وعبارة بعضهم: سنة ثمان وتسعمائة، ودفن بالزاوية الشريفة، والبقعة المنيفة، وقد أعقب أربعة هم أبو الفضل محمد، وأبو الفتح إبراهيم، وضحى، وزينب ﷺ، وعنا به.

وأبي الفتح ويحيى وذكره الحافظ ابن حجر في «معجمه» وقال: ولد قبل السبعين وسبعمائة.

ونشأ على طريقة أبيه وعمه يعني سيدي علي وفا، واشتغل وحضر مجلس شيخنا السراج البلقيني، وتولع بالنظم حتى مهر فيه ورثي أباه وعمه، وعمل المقاطيع الجياد على الطريقة النباتية؛ أي: طريقة ابن نباتة، وكان حسن الأخلاق كثير المعاشرة اجتمعت به، وسمعت من فوائده.

مات غريقًا ﷺ في النيل في سنة أربع عشر وثمانمائة، انتهى.

قال المقريزي: كان من محاسن الدهر ذكاءً ولطفًا وسخاءً وإليه ينتهي نسب السادات الشريف، وفي كوكب الروض كان ذكيًا حسن الأخلاق لطيف الطباع له الشعر الرائق.

غرق في بحر النيل هو ومحمد بن عبيد البشكالسي، وقاضي المالكية جمال الدين عبد الله بن التيني، وذلك في سنة أربع عشرة أو خمس عشرة، والأول أصح، ووهم من قال في حياة أبيه؛ إذ كيف يأتي مع قولهم رثاه وكذا وهم حسن أرخ غرقه سنة ثلاث عشرة وثمانمائة والصواب أنه بعد موت أبيه بسنة كما في التواريخ.

قال شيخنا الشيخ عبد الباقي الزرقاني: وفي «البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير» للشعراوي حديث: «إن لله ملائكة تنقل الأموات».

قال السخاوي[1]: لم أقف عليه.

قلت: لكن يثبت وقوعه لطائفة منهم سيدي أبو الفضل الغريق من أولاد السادات بني الوفا غرق في بحر النيل، فوجدوه عند جده بالقرافة مدفونا انتهى.

الأستاذ أبو العباس أحمد

شهاب الدين بن محمد وفا[2]

ولد بظاهر مصر سنة ست وخمسين وسبعمائة، ونشأ على طريقة حسنة ملازمًا الخلوة والانجماع عن الناس حتى يأت في يوم الأربعاء ثاني عشر من شهر شوال سنة

(1) في المقاصد الحسنة (ص71).

(2) انظر: مناهل الصفا للعوضي (ص144).

أربع عشرة وثمانمائة، ودفن بالقرافة عند أبيه وأخيه هكذا ذكر، وفي تاريخ وفاته ذكر أن تاريخ وفاة سيدي علي سنة سبع وثمانمائة، فيكون قد تأخرت وفاته عن سيدي علي بنحو سبع سنين، وهو الذي في «المنح» وغيرها.

قال الحافظ ابن حجر: وهو أسن من أخيه وذاك أشهر، انتهى.

وكان عنده سكوت وأحوال حسنة وليس له نظم، وكان لا يعمل الميعاد إلا مع خواص أصحابه.

وقال المقريزي: أنه لزم الخلوة وأقام أخوه يعني سيدي عليًا يعمل الميعاد حتى مات بالقاهرة في التاريخ المذكور، ودفن عند أبيه وأخيه وفي «المنح» عن أخيه سيدي علي أنه قال في حقه هذا خزانة العلم، وأنا أنفق منها، وأنه قال من رآنا اثنين فهو بفرو عين، ومن رآنا واحد فهو بعينين، ولقد شوهدت منه كرامات وأحوال عجيبة دلت على كمال عرفانه منها ما في «المنح»، وسمعت سيدي ﷺ يقول وعزة الرب المعبود ما همت نفسي بفاحشة، ولا فعلتها قط قلت الفاحشة لا تصدر إلا ممن هو في الصورة البشرى.

وأما ساداتنا - رضي الله عنهم ورضي عنا بهم - مقدسين عن صفات البشر.

وأولاده كلهم نجباء وهم خمسة:

أحدهم: أبو الجود حسن مات في حياة أبيه سنة ثمان وثمانمائة وهو ابن تسع عشرة سنة أو تسع وعشرين.

الثاني: أبو المكارم إبراهيم ذكره الحافظ ابن حجر والمقريزي والسخاوي، وقالوا: ولد في سنة ثمان وثمانين وسبعمائة وتوفي سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة مطعونًا عن نحو خمس وأربعين سنة.

الثالث: أبو الفضل محمد المدعو عبد الرحمن الشهيد، وغرق بعد والده بسنة واحدة، وإليه ينتهي نسب السادات الشريف، وتقدم ترجمته.

الرابع: وهو الإمام المقدم فتح الدين أبو الفتح محمد، وهو بكنيته أشهر، قال السخاوي: ولد بمصر قريبًا من سنة سبعين وسبعمائة، فحفظ القرآن وكتبًا، وأخذ عن المعز بن جماعة، والشمس البساطي والبرماوي وغيرهم، وسمع مجلس ختم البخاري على الفاقوسي في سنة إحدى وثلاثين وثمانمائة، وبرع وقال الشعر الحسن، وتكلم على الناس بعد عمه، وصار أعلم بني الوفا قاطبة وأشعرهم، وكان سيدي علي يُشير

إلى أن مدده من أبيه مع كون الأب لم يتكلم، وحضر مجلسه الأكابر كالبساطي والبرماوي وغيرهما من شيوخه، والشريف عيسى المغربي بل وممن حضر عنده الظاهر جقمق.

قال السخاوي: وقد حضرت مجلسه، وسمعت كلامه وكان له رونق وحلاوة، مات بالروضة يوم الاثنين مستهل شعبان، وقيل رابعة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وحمل إلى مصر فصلى عليه بجامع عمرو، ودفن بتربتهم بالقرافة، وقد زاد على الستين وكان دخول النبي ﷺ مكة يوم الاثنين، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنه ﷺ ولد يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين، وخرج من مكة مهاجرًا يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الإثنين، ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين.

قال المقريزي: هو حامل راية مجدهم بعمل الميعاد، وتدريس فقه المالكية مذهب خلفه، انتهى.

الخامس: وهو الأستاذ أبو السادات يحيى ومولده سنة ثمان وتسعين وسبعمائة وله شعر، انتهى.

وجلس بعد موت أخيه أبو الفتح مكانه في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وتكلم على الناس ورزق القبول لكن لم تطل مدته مات في ربيع الآخر سنة سبع وخمسين وثمانمائة، كما في تاريخ ابن [القصاص].

الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد وفا(1)

الأستاذ أبو الحسن علي بن محمد وفا بن محمد النجم الشاذلي المالكي الصوفي هو قدوة العارفين وعمدة الواصلين إلى حضرة رب العالمين، الولي الكبير، والقطب الشهير، والعارف النجيب الخبير صاحب الحال والقال، ومن يضرب بولايته الأمثال الفاصح الناصح للعباد، والمقدم بالمعارف على الزهاد والعباد من ترد الأولياء إلى حضرته وتزور حتى وتطوف بتربته، وتسير أئمة الأولياء، وتسعى إليه وتهاجر له أعيان المتصوفين المتصرفين في الكون، وتشد له الرحال وتقف بين يديه، صاحب الكرامات

(1) انظر: المنح الإلهية في مناقب السادة الوفائية لابن فارس، تلميذ سيدي علي وفا – مقدمة المسامع.

الظاهرة ،والمقامات الفاخرة، والأحوال الشريفة، والطرق المنيفة كيف لا وهو من أعيان السادة الوفائية، وعمدة أئمة العلماء المالكية، وقدوة العارفين والمسلكين لطرق الصوفية الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم نور الدين أبو الحسن علي بن محمد وفا الذي اشتهر قدره وعلا على الجوزاء شرفًا، وعظ وذكر وهو خالي الوجد في البنات، وحير العقول بماله من الإقدام والثبات، واجتهد وتأدب وتمسك بعري الفضل والأدب، ونظم ونثر ووعظ وكتب، ومناقبه أشهر من أن تذكر منها كما في «المنح» لما تزايد النيل سنة زيادة مفرطة، وثبت إلى خوف فوات الزرع فوقف سيدي علي وفا على سلم القيطون ورجلاه في الماء، فقال مخاطبًا للنيل: ما بالك تشوش على الخلق أتحب أن أترحل عنك، فنزل من حينه عن أقدامه، انتهى.

ولم يزل راقيًا في الدرجات العلية راتقًا في مراتب القرب السنية إلى أن توفي ﷺ ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وتوفي عام إحدى وثمانمائة، وقيل مات في ذي الحجة سنة سبع وثمانمائة.

ونقل في «المنح» عنه أن والده قال لوصيه الشمس الزيلعي: ولداي هذان ليسا كأولاد الناس بل هما روح واحد في جسدين، وهما في الحقيقية روحي، وقد أخذت من الله عهدًا أن من أحبهما كان من أحباب الله، ومن أبغضهما كان من أعداء الله، وكأن يقول ﷺ نحن قوم إسكندرانيون وكفانا شرفًا أن المولد الشريف كان بها سنة أثنتين وسبعمائة، انتهى.

وانظر الخلاف بين مولده ووفاته في «النفحة الرحمانية» للشيخ عبد الباقي الزرقاني و«عنوان السيادة الأبدية» للشهاب أحمد بن العجمي؛ لأنه قال في «الوصايا»[1] التي وردت على لسانه: كان مولدي سحر ليلة الأحد سنة إحدى وستين وسبعمائة، انتهى.

وقد أطبق الحفاظ والمؤرخون كابن حجر والسيوطي والسخاوي والمناوي وابن الشحنة وغيرهم من أن مولده بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة كما تقدم.

قال المناوي: مات أبوه وهو طفل ونشأ هو وأخوه أحمد في كفالة وصيهما الزيلعي، فلما بلغ سيدي علي صاحب الترجمة تسع عشر سنة جلس مكان أبيه، وعمل

---

(1) بتحقيقنا- طبع دار الكتب العلمية- بيروت.

الميعاد، وشاع ذكره، وانتشرت أتباعه وذكر بمزيد اليقظة وجودة الذهن والترقي في الأدب والوعظ معرفة تقرير كلام أهل الطريق، انتهى.

وفي «المنح» أخبرني سيدي الكبير أن أبا حفص الزيلعي- قدس الله روحه: كان يأخذ سيدي وسيدي إلى حانوت الشهود الذي هو جالس بها، وكان الحانوت إذ ذاك برحبة باب العبد مكان المدرسة الجمالية، فحصل عندي يومًا من الأيام وارد إجلال كون نحن جالسين في الأسواق، فنمت وأنا جالس، فرأيت النبي ﷺ فقال لي: أي مكان جلسنا فيه يصير بيتا من بيوت الله، قال: فلم أذكر هذه الرؤيا من نحو الأربعين سنة إلى حين عمرت مدرسة، قال سيدي: فلما استيقظت، قال لي سيدي: إن وعد الله حق، انتهى.

ولما انتقل سيدي علي وفا قال سيدي أحمد أخيه رضي الله عنهما: لجميع من حضر الشاهد يعلم الغائب شاهد الإدراك، وشاهد الخير لا تضيعونا يضيعكم الله، وأستاذنا ما مات ولكن كما قيل:

ما غاب ساقينا ولكن ربما حجبت أشعتها صدى الأكوان

وفي «المنح»[1] وسمعته يقول في المشهد الشريف في قوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٌۚ﴾ [المطففين:26]؛ إذ حسبت لفظة مسك بحساب جمل الغالب والمغلوب، وهو أن الميم بأربعة والسين بستة والكاف باثنين فالمجموع اثنى عشر، وأحسب اسم سيدي علي فالعين بسبع واللام بثلاثة والياء بواحد، والقاعدة أن الحرف المشدد بحرفين، فتكون الياء مكررة فيصير المجموعة اثنى عشر علي عدد مسك، فكأنه يقول ختامه عليّ، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

قلت: ويطابق هذا الحساب المتقدم قوله ﷺ في بعض التنـزلات الشريفة فعليّ وفق عسق، وجميل وجمال فإن الوفق عند علماء الحرف ما يكون وفقًا إلا لموافقة أعداده، فإذا تفرد ذلك فاحسب اسم عليّ تجد العين بسبع واللام بثلاثة والياء بواحد المجموع إحدى عشر، ثم احسب لفظة جمال تجد الجيم بثلاثة والميم بأربعة والألف بواحد واللام بثلاثة المجموع إحدى عشر، فانظر إلى هذا الاتفاق الغريب وما ذلك

---

(1) في (ص39).

على الله بعزيز، انتهى.

وفي «طبقات الشعراني»[1] في ترجمة سيدي محمد الحنفي، وكان سيدي علي وفا ﷺ يومًا في وليمة، فقال الناس: ما تتم الوليمة إلا بحضور سيدي محمد الحنفي، فجاء إليه صاحب الوليمة فأتى فقال: من هنا من المشايخ، فقال: سيدي علي وفا وجماعته، فقال: ادخل واستأذن، فإن من أدب الفقراء إذا كان هناك رجل كبير لا يدخل عليه حتى يستأذن، فإن أذن، وإلا رجعنا خوف السلب، فدخل صاحب الوليمة، فستأذن له فأذن له سيدي علي وفا، وقام له وأجلسه مكانه فدار الكلام بينهما، فقال سيدي علي: ما تقول في رجل رحا الوجود بيده يدورها كيف شاء، فقال له سيدي محمد ﷺ: والله كنا نتركه لك ونذهب عنها، فقال سيدي محمد لجماعة سيدي علي: ودعوا صاحبكم، فإنه ينتقل عن قريب إلى الله تعالى، فكان الأمر كما قال، وسمع سيدي محمد هاتفًا يقول بالليل: يا محمد وليناك ما كان بيد علي بن وفا زيادة على ما بيدك، فعلمت أن ذلك لا يكون إلا بعد موته، فأرسلت شخصًا من الفقراء يسأل عن بيت سيدي علي بحارة عبد الباسط فوجد الصايح أنه قد مات، انتهى.

الأستاذ سيدي محمد وفا[2]

الأستاذ سيدي محمد وفا بن محمد بن محمد النجم السكندري المولد، ويقال: المغربي الأصل.

قال العلامة الشهاب أحمد بن العجمي: أخبرني واسطة عقدهم أستاذي أبو الإسعاد يوسف بن وفا قدس سره العزيز أن أصلهم من صفاقس، وهي كما في القاموس بفتح الصاد والفاء ثم ضم القاف آخره سين مهملة بلد بأفريقية على البحر شربهم من الآبار، وانتهى.

قال في «المعجم» وهي شرقي المدبة وبها بساتين كثيرة وبها سور، ولد بالإسكندرية سنة اثنتين وسبعمائة قال في «المنح» وفي ليلة ولادته جاء الأستاذ ابن

---

(1) في (315/1).

(2) انظر: مؤلفاته المباركة وقد حققنا جميع ما وصل إلينا منها - طبع دار الكتب العلمية - بيروت.

عطاء الله قدس سره ومعه أصحابه إلى بيته الذي ولد فيه، فأتي به وهو في القماط فقبله، وقال لأصحابه هذا جامع علم حقائقنا.

وفي «ديباجة شرح الفتح» للتاج محمد بن أحمد الوسيمي في ترجمة الأستاذ الكبير ما نصه شيخ وقته وأوانه سيدي محمد أبو الفضل وفا، فجزم بهذه الكنية ولم أرها لغيره والله أعلم، ورأيت في بعض المجامع كنيته أبو التداني وفي بعضها أبو الوفا.

قال الشعراوي سيدي محمد وفا من أكابر العارفين، وأخبرني ولده سيدي علي وفا أنه كان خاتم الأولياء صاحب الرتب العلية، والموشحات التوحيدية التي لم ينسج على منوالها أحد من البرية، وشيخ الخرقة الوفائية، كان وافر الجلال فائق الخلال صار صوت صيته، واشتهر ثنا تذكره وتمكنه، تمسك من فنون العلم بأفنان، وأفاد بنظمه ونثره عقود الجمان، ولم يتسم بالسادات غير ذريته الأعيان.

ومن كلامه ﷺ:

محرك أفلاكي حرت حركاته ... بتسخير حكمي وهي تلك صفاته

فما فيه إلا فعله وذواته ... وفي ملكوتي مالك ملكاته

تقوم بأمري في أوامر إمرتي ... إذا شمت من أفق الهداية برقه

تصادف تصديقًا بصدقك صدقه ... وفي غيب غيبي تنظر الحق حقه

ولاهوت ناسوتي بخلق خلقه ... حقائق حقي بالأستدارات قدرتي

وكان أميًا، وله لسان غريب في علوم القوم، ومؤلفات كثيرة ألفها في صباه وهو ابن سبع أو عشر فضلاً عن كونه كهلاً، وله رموز في منظوماته مطلسمة إلى وقتنا هذا لم يفك أحد ما فيها ولا يعلم معناها، وسئل سيدي علي مع علو مقامه أن يشرح شيئًا من تائية والده، فقال ﷺ: لا أعرف مراده لأنه لسان أعجمي على أمثالنا، ولما دنت وفاته خلع منطقته على الأبزاري بالإسكندرية صاحب الموشحات.

وقال: هذه وديعة عندك حتى تخلعها على ولدي علي فعل الموشحات الظريفة إلى أن كبر سيدي علي فخلعها عليه، ثم رجع لا يعرف يعمل موشحًا كما أخبرني به عن نفسه، انتهى كلام الشعراوي.

وسمي وفا لأن بحر النيل توقف ولم يزد أو أن الوفا فعزم أهل مصر على الرحيل، فجاء إلى النيل وقال: اطلع بإذن الله فطلع ذلك اليوم سبعة عشر ذراعًا وأوفا

فسموه وفا.

وفي «طبقات»[1] المناوي واشتهر بوفا لأنه كان بالروضة ينسج المناديل، فتوقف النيل ثم إنه توضأ وصلى بالمقياس فصار كلما طلع درجة من الفسقية طلع البحر معه حتى وفا ذلك اليوم، وفي «المعجم» توفي ﷺ سنة ستين وسبعمائة.

قال الشعراوي: صوابه سنة خمس وستين وسبعمائة في زمن السلطان حسن، أخذ الطريق عن داود باخلا وياقوت العرش، فالأول عن سيدي تاج الدين بن عطاء الله وهو، والثاني عن سيدي أبي العباس عن القطب الشريف أبي الحسن الشاذلي عن الشريف عبد السلام بن مشيش عن الشريف أبي محمد عبد الرحمن العطار الحسني الإدريسي عن أبي مدين التلمساني عن الشاشي عن أبي سعيد المغربي عن أبي يعقوب النهرجوري عن الجنيد عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين عن أبيه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

وفي «المنح» أخبرني سيدي الكبير وأنا قائم في ركابه، قال: سألت سيدي ﷺ لم تنسبوا، فقال: كنا ننتسب إلى الأستاذ داود باخلا، والآن قد [انقطعت][2] النسبة من داود ومن غيره.

وفي «طبقات الشعراني» في ترجمة الإمام داود بن باخلا شيخ سيدي محمد وفا الشاذلي ﷺ أنه كان شرطيًا في بيت الوالي بالإسكندرية، وكان يجلس تجاه الوالي وبينهما إشارة يفهم منها وقوع المتهوم أو براءته، فإن أشار إليه أنه بريء عمل بإشارته أو أنه فعل ما اتهم به عمل بذلك، وكانت إشارته أنه إن قبض بلحيته وجذبها إلى صدره علم أنه وقع، وإن جذبها إلى فوق علم أنه بريء، انتهى.

ومن ذلك ما نقل عن سيدي أبي الحسن الشاذلي حين قيل له مرة، من شيخك؟ فقال: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد بل أعوم في عشر أبحر محمد وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح الأكبر.

---

(1) في الكواكب الدرية (710)، بتحقيقنا.

(2) بياض في الأصل، واستدرك من المنح نفسها (ص15).

قال الشيخ أبو العباس المرسي: ومات الشيخ عبد السلام ابن مشيش ﷺ مقتولاً قتله ابن أبي الطواجن ببلاد المغرب ومما شاع وذاع وملأ الأسماع أن الأستاذ محمد وفا لما مات وكفنوه وحنطوه اختلفوا في محل دفنه، فصاح من بين أكفانه: ادفنوني بين سعد وعطاء يريد الشيخ أبو السعود أبي العشائر والشيخ تاج الدين بن عطاء السكندري.

قلت: ونظر ذلك ممن يتكلم بعد الموت ونقله الحلبي في «السيرة» في معجزاته ﷺ إخباره بأن رجلاً من أمته يتكلم بعد الموت فكان كذلك، وهو زيد بن خارجة ﷺ وتكلم غيره أيضًا، وعن ابن المسيب أن رجلاً من الأنصار توفي، فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال: محمد رسول الله فلعل المراد بالرجل جنس الرجل يشمل هذا الأستاذ وغيره انتهى.

سيدي ابن الولي محمد النجم[1]: ولم أقف له على ترجمة ابن الولي محمد النجم وكان من أصحاب الأحوال، حكي أنه كان جالسًا على شاطئ البحر الملح بثغر إسكندرية، وإذا بامرأة تبكي تنتحب، وتقول أن ابنها غرق في البحر فأدلى يده في البحر فطلع بولدها، ومشى بإسكندرية وسيدي محمد وفا على كتفه؛ لأن والده مات وهو صغير، فنشأ هو في كفالة جده النجم، قال: فرأيت النبي ﷺ يقول: «من لقي الله وفي قلبه حبة من سواه لقيه لقي ندم»، واجتمع بالعارف سيدي إبراهيم الدسوقي في محل تعبده بدسوق، فسلم عليه فلم يلتفت إليه، فنظر إلى النجم، وقال: ليس الشأن هذا قم معي، فمسك بيده ونزل به من الغرفة التي كان بها إلى الأرض زمن الربيع، واستغرق النجم في وارد يقول الله الله، وكانت الأرض مكسوة بالزرع فصار كل عشية يقول الله الله، فقال هو لسيدي إبراهيم كذا يكون الشأن، توفي الدسوقي سنة

(1) قال مرتضى الزبيدي: ترجمه غير واحد: سيدي محمد الأوسط هو ابن السيد النجم المذكور، ضاعف لهما وللمسلمين الأجور، فهو سيد بسن سيدين، ومحمد كما ترى بين محمدين، حسن ذاتًا وطبعًا، وطاب أصلاً وفرعًا، توفي ﷺ شابًا عن ولد سيدي محمد وفا في حياة أبيه النجم، فتكفل بتربيته، ولموته في حياته عن من أظهر الله جميل سماته، لم يشتغل بترجمته المترجمون، واشتغل بأصله وفرعه المؤلفون، لكن لو لم يكن له غير أنه أصل هاتيك العصابة الوفوية، وفروع تلك البضعة النجمية، لكفاه في عد المناقب، والمواهب مذاهب.انظر: مناهل الصفا للعوضي (95)، بتحقيقنا.

ست وسبعين وستمائة، وهاجر النجم بعد ذلك بمدة، وقد تقدم ذكر نسبهم جملة وتفصيلاً، وأنه ينتهي إلى الإمام الحسن السبط ابن الإمام علي ﷺ .

وقد نظم النسب الشريف العلامة شهاب الدين أحمد الملوي الشافعي ابن الجيري[1]، فقال:

قالَ الفقيرُ الملوِي أحمدُ ... المرتَجي لعفوِ ربٍّ يُعبد

الحمدُ للهِ الذي قد أنعمَا ... بالنسبِ الطاهرِ جلَّ منعما

ثمَّ الصلاةُ والسلامُ أبدًا ... علَى رسولِ اللهِ خيرُ مَن هدَى

والآلُ والصحبُ مَع الأتباعِ ... الحائزينَ حسنَ الاتباع

وبَعد فالمقصودُ نظمنَا نسبْ ... ساداتَنا أهلُ الوفَا لمَن طلَب

فنبتدي بصاحبِ التوفيقِ ... والرشدِ والسدادِ بالتحقيق

أعني بهِ الأستاذَ عبدَ الخالقِ ... وهوَ أبو الخيرِ لدَى الخلائق

والعبدُ للوهابِ فاعلمْ أبهْ ... وهوَ أبو التخصيصِ لا يُشتبه

وهوَ ابنُ يوسُف أبي الإسعادِ ... ذي النورِ والإرشادِ والإمدَاد

وذا هوَ ابنُ العبدِ للرزاقِ ... أبي العطاءِ ظاهرُ الإشرَاق

ابنُ أبي المكارمِ الرباني ... يُدعى إبراهيمُ ذي العرفان

ابنُ محمَّدٍ أبو الفضلِ وفَا ... ابنُ أبي مكارمٍ بلاَ خفَا

ابنُ محمَّدٍ محبُّ الدينِ ... يُدعى أبَا الفضلِ المتينِ الدين

---

(1) هو الشيخ أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر الجيري الملوى شهاب الدين أبو العباس القاهري الأزهري الشافعي ولد سنة 1088 وتوفي سنة 1181 إحدى وثمانين ومائة وألف له الأعلام بإرث ذوي الأرحام في مجلد. شرحان على آداب السمرقندي. شرحان على متن السلم. شرح الصدور بالصلاة على الناصر المنصور. شرح ايساغوجي. عقود الدرر على شرح ديباجة المختصر. فتح الإله بعدة ما يندرج من العقائد في لا إله إلا الله. فتح السلام. منهل التحقيق في مسألة الغرانيق. وغير ذلك من الحواشي والرسائل. هدية العارفين (96/1).

ابــنُ محمَّــدٍ أبِــي المــراحمِ	ابــنُ أبِــي الفــضلِ بــلاَ مُزاحم
وهــوَ الــشهيدُ العــبدُ للــرحمنِ	ابــنُ أبِــي العــباسِ ذِي التِبــيان
أيْ أحمــدُ ابــنُ ســيدِي أهلُ الوفَا	محمــدٌ وهــوَ الــشهيرُ بــوفَا
أبِــي التدانِــي عــامَ سُــبعمائة	والــنينِ مــيلادٌ بغــيرِ مــريَة
إســكندريةُ بهَــا المــيلادُ	فــنارتْ الآفــاقُ والــبلاد
ابــنُ محمَّــدٍ عظــيمُ القــربِ	ابــنُ محمَّــد وليُّ الــرب
العــارفُ الــشهيرُ بالــنجمِ وذَا	ابــنٌ لعــبدِ اللهِ قــادرِ المآخــذا
وهــوَ ابــنُ أحمــدَ بنُ مسعوداتِي	وهــوَ ابــنُ عيــسَى هكذَا قدْ ثبتَا
وهــوَ ابــنُ أحمــدَ بنُ عبدِ الواحدِ	وهــوَ ابــنُ عــبدِ اللهِ ذي المحامــد
وهــوَ ابــنُ عــبدِ الكــريمِ البارِي	ابــنُ محمَّــدٍ بــلاَ إنْكــار
وهــوَ ابــنُ عــبدِ الــسلامِ فاعلمَا	ابــنُ حــسينِ بــنُ أبِــي بكرٍ سما
وذَا علــيٌّ بــنُ محمَّــدٍ علــم	ابــنٌ لأحمــدَ بــنِ إدْريــسَ فَهم
وهــوَ ابنُ عبدِ اللهِ وهوَ ابنُ الحسنِ	الأنورُ ابنُ السبطِ ذِي القربِ الحسن
ابــنُ علــيٍّ مظهــرُ العجائــبِ	لــدَى الوغَــى ممــزقُ الكــتائب
والحمــدُ للهِ علَــى الإنعــامِ	والــشكرُ للهِ علَــى الــدوام
ثُــمَّ الــصلاةُ والــسلامُ الأكمــلُ	علَــى نبيــنَا الكــريمُ الأفــضل
وآلــهِ وصــحبهِ ومَــن علَــى	نهــجِ الــسدادِ بالمكــارمِ تــلاَ

تنبيه: تقدم في السند ذكر الشريف عبد السلام بن مشيش والشريف أبي الحسن الشاذلي قال: الأول: الولي العارف بالله تعالى الشريف عبد السلام بن مشيش بن أبو بكر بن يحي بن عيسى بن أبو القاسم بن مروان بن حيدرة بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

الثاني: هو القطب الفرد الغوث الجامع الإمام أبي الحسن الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب هكذا ذكره العارف بالله تعالى ابن عطاء الله في «المنن».

تنبيه آخر: تقدم أن المشيخة والسجادة والكني تلقاها شيخنا سيدي عبد الخالق أبو الخير ابن الأستاذ عبد الوهاب أبو التخصيص ابن الأستاذ أبو المكارم إبراهيم، عن أخيه الأستاذ أبي الإرشاد يوسف، عن أبيه الأستاذ أبي التخصيص عبد الوهاب، عن ولد عمه أبي اللطف يحيى بن أمين الدين بن أبي العطاء، عن عمه أبي الإكرام عبد الفتاح بن أبي العطاء، عن عمه أبي الفضل بن محمد بن أبي المكارم، عن والده أبي المكارم إبراهيم، عن والده المحب أبي الفضل محمد المجذوب، عن والده أبي المراحم محمد، عن عمه أبي السادات يحيى، عن أخيه أبي الفتح محمد، عن والده الشهاب أبي العباس أحمد، عن أخيه أبي الحسن علي، عن والده القطب الكبير محمد وفا بالسند المتقدم، وقد نظمت ذلك، فقلت:

لِذا بني الوفَا أصحابُ السّنا   وألم تَر أعتابَهم تَبلغ المُنا

والزم محبتَهم وارع مودتَهم   تلق عنايتَهم في وصلِهم رُكنَا

هُم الكواكبُ والأقمارُ فاصحبهم   لعلّ تهدي بنورِ ضَوئه كَسَنا

لاسيما مَن بالسعادةِ فَائق   بمشيخةِ السّادات وَالفضلِ والكُنا

فَفَريدُهم قطبُ الزّمانِ إمام   أبو الخيرِ عبد الخالق جَاد بوصْلنَا

عَن أخيه الذي قَد سَادَ عصرَه   يوسفُ أبو الإرشادِ طَاب له الثّنَا

عَن أبي التخصيصِ قُطب زمانه   عبد الوهاب سَيد جَمْعِنَا

عَن الفردِ الشهيرِ ابن عمِّه   أبي اللطفِ للبركاتِ ذُخْرًا ومَعدَنَا

عَن عمِّه أبي الإكرامِ عَن عمِّه   محمد أبي الفَضلِ مولاي حَسنا

عَن ابيه أبي المكارمِ وارتقى   سمي خليل اللهِ في الخُلْدِ مَوطنًا

عن ابيه أبي الفضلِ الذي جَلّ قدرُه   عَن أبيه أبي المكَارمِ والثّنا

عَن ابيه أبي الفضلِ ذاكَ محمدٌ   وَشهرتُه المجْذوب قَد قَامَ بالكُنا

عَن ابيه أبي المَراحِمِ ثم هو   عن عمِّه الأستاذِ يحيى تَلقنَا

وكنيـــتُه بالـــسّادات يَـــا فتـــى وعـــن أخـيـهِ أبي الفتحِ الجليل تَفننَا

عـــن أبـيه قطـــبِ الزّمانِ بعصرِهِ أحمـــد أبـــو العباسِ حسبك مَا هَنا

عـــن أخـــيهِ الأســـتاذ قُطب زمانه أبي الحسن المشهور في قطرِ مصرنا

علـــيُّ بـــن ددا حِـــين حَـــلَّ ركابُه مـــصرَ بحمـــدِ الله حَـــلَّ بِهـــا الهَنا

عـــن أبـــيهِ أبي التدانـــي الـــسيد محمـــد وفـــا صاحب الشّأن والكُنا

فحـــسبكَ نجـــمٌ والكواكبُ حوله تَـــدور بِـــه الأفلاك والشمس تعمنَا

وحـــيثُ علـــى الإيتاء بالبابِ واقف فَجـــودوا له بالقربِ حيث لكم دَنَا

واخـــتمْ نظمـــي بالصلاةِ على الذي أنظمـــتُ لـــه صـــمّ الحجارةِ مُعْلِنَا

والآل والأصـــحاب مَـــا قالَ قائلٌ والـــثمْ تُـــرَى أعـــتابهم تَبْلغْ المُنَا

فائدة وإنما قلت: والثم ترى أعتابهم للتنبيه على جواز تقبيل أعتاب الأولياء وتوابيتهم، لقول العلامة شمس الدين الشوبري: وأما تقبيل توابيت الأولياء وأعتابهم، فلا خفاء في جوازه بل ولا كراهة في تقبيل أعتابهم على قصد التبرك لما أفتى به العلامة شمس الدين الرملي الأنصاري، وقد رأيت أستاذي يقبل عتبة الزاوية حين قدومه للزيارة أو عمل الميعاد وكذا يجوز التوسل بالأنبياء والأولياء إذا هم الواسطة بين الله وبين عباده، لاسيما وقد نقل العلامة الأجهوري في «فتاويه» ما نصه: وأما التوسل إلى الله ببعض مخلوقاته فجائز، ومنه حديث الصحيح فقد ذكره فيه في فضل العباس بن عبد المطلب عن أنس أن عمر رضي الله عنهم كانوا إذا قحطوا استسقي بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك نبينا محمد ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا قال فسقوا، انتهى .

خاتمة

ونسأل الله حسن الخاتمة في المكنية ونسيبها، ولبس الخرقة أما سببها قال شيخنا العلامة شمس الملة والدين محمد الزرقاني في شرح «المواهب اللدينة» في ذكر اسمه وكنيته ﷺ ما نصه: وقد بلغني أن سبب الكني في العرب أنهم كان لهم ملك من الأول ولد له ولد توسم فيه أصحابه فشغف به، فلما نشأ وصلح لأدب الملوك أحب أن يفرد له موضعًا بعيدًا عن العمارة يقيم فيها، ويتخلق بأخلاق مؤدبيه، ولا يباشر من يصبغ عليه بعض زمانه، فبني له في البرية منزلاً ونقله إليه، ورتب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية، وأقام له حاجته من الدنيا وأضاف له من أقرانه بني عمه وغيرهم ليؤنسوه وليجيبوا الأدب بالموافقة، وكان الملك كل سنة يحضر ومعه من له عنده ولد يسأل عنهم ابن الملك، فيقال له: هذا أبو فلان وهذا أبو فلان للصبيان الذين عنده، فيعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم فظهرت الكنى في العرب، انتهى.

فهي سُنة قديمة في العرب مأمورٌ بها من جاز أعلى الرتب، وتركها من الناس الأغلب أحياها ساداتنا نضرهم الله، فكانوا أحق بها وأهلها لما لهم من نفحات القرب، قال ابن الأثير في كتابه «الربيع»: الكنية من الكناية وهي أن تتكلم بالشيء وتريد غيره لاحترام المكني بها، وإكرامه وتعظيمه لئلا يصرح في الخطاب باسمه.

ومنه:

أَكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ وَلاَ أُلَقِّبُهُ وَالسُّوْءُ اللَّقَبُ

قال ابن الحاج: يتعين على المكلف أن يتحفظ من هذه البدعة التي عمت بها البلوى، وقل أن يسلم منها كبير أو صغير، وهو ما اصطلحوا عليه من تسميتهم بهذه الأسماء القريبة العهد بالحدوث التي لم تكن لأحد ممن مضي؛ بل مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين، والعالم أولى من أن يحفظ على نفسه من هذه الأشياء وندب عن السنة في حق نفسه وفي حق غيره، وهو الإرداع على كل من حضره، وكلكم مسئول عن رعيته، فإذا نطق أحد بهذه إلا برفق وبلطف به في التعليم إلى أن قال: فإذا قال مثلاً محي الدين أو زكي الدين فلا بدّ أن يُسأل عن ذلك يوم القيامة، ويقال له: هذا هو الذي أحيا الدين وهذا هو الذي زكي الدين إلى غير ذلك، فكيف يكون حاله إذ ذاك ولو وقف أمرنا على هذا المكان قريبًا أن لو كان مانعًا؛ لأنه إذا تقرر عندنا أن هذا كذب وتزكية رجى لأحدنا التوبة والإقلاع؛ لكن ردنا على ذلك

الأمر المخوف وهو أنا نرى ذلك جائزًا ومندوب إليه بحسب ما سولت لنا أنفسنا من أن الناس إذا خوطبوا بغير هذه تسوسوا من أجل ذلك، وتولدت الشحناء والعدوات، وقد صح عن النووي أنه قال: لا أجعل أحداً في حل ممن يسميني محي الدين وكذا غيره من العلماء العاملين، إلى أن قال: ولا يظن ظانٌ أننا ننكر الكنى الشرعية، فإن ما ورد منها ليس فيه تزكية والكنى المشروعة أن يكني الرجل بولده أو بولد غيره، وكذلك المرأة وكذلك يجوز التكني بالحالة التي الشخص عليها متصف بها كأبي تراب وأبي هريرة، انتهى.

وقد كانت كنية المصطفى ﷺ أبا القاسم باسم أول أولاده قبل النبوة، وروي الطبراني من حديث بن عمرو بن العاص في قصة مارية: أن النبي ﷺ قال لعمر بن الخطاب ﷺ: «ألا أخبرك يا عمر أن جبريل أتاني فأخبرني أن الله برأها وقربها مما وقع في نفسي، وبشرني أن في بطنها غلامًا مني، وانه أشبه الناس بي، وأمرني أن اسميه إبراهيم، وكناني بأبي إبراهيم، ولولا أكره أن أحول كنيتي التي عرفت بها لتكنيت بأبي إبراهيم كما به كناني جبريل»[1] انتهى.

وكذا قال شيخنا الشمس الزرقاني في شرح «المواهب اللدنية» ما نصه: ويكني بأبي إبراهيم باسم آخر أولاده، كما جاء في حديث أنس عند البيهقي في مجيء جبريل إليه عليهما الصلاة السلام لما وقع في نفسه من تردد مأبور الغلام الذي أهدي مع مارية عليها، فبعث عليًا ليقتله فوجده ممسوحًا، فرجع فأخبره ﷺ فقال: «الحمد لله الذي يصرف عنا أهل البيت»[2].

وقوله: «السلام عليك يا أبا إبراهيم»[3] لفظ البيقهي وابن الجوزي عن أنس: «لما ولد إبراهيم من مارية، كاد يقع في نفس النبي ﷺ منه، حتى أتاه جبريل فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم»[4] انتهى.

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (159/4).

(2) ذكره ابن حجر في الإصابة (701/5) بنحوه.

(3) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (135/1).

(4) رواه البيهقي في الكبرى (413/7).

قال المناوي: ومن كناه أبو المؤمنين ذلك بعض المفسرين وفي «الذخائر» أن كنيته في التوراة «أبو الأرامل»، انتهى.

وكان خير الصحب يكنى أبا بكر بحيث غلبت على اسمه كأبيه، وهو على الأصح عبد الله بن عثمان أبي قحافة، وكنى المصطفى عمر بن الخطاب ﷺ: «أبا حفص»[1] رواه ابن إسحاق.

وكان علي يكنى أبا الحسن، وكناه ﷺ بأبي تراب[2]، وكانت إلى عليّ كما في «البخاري» عن سهل بن سعد، وقال: للتصغير يا أبا عمير كما في «الأذكار» للنووي عن أنس ﷺ قال النبي ﷺ : «أحسن الناس خلقًا وكان لي أخ يقال له أبو عمير»[3] قال: الراوي أحسبه قال فطيم.

وكان النبي ﷺ إذا جاء يقول يا أبا عمير ما فعل النغير، نغير كان يلعب به، قال في «الصحاح» النغرة مثال الهمزة واحدة النغر، وهي طير كالعصافير حمرة المناقير وبتصغيره جاء الحديث، انتهى.

وكني آخرين بما يضيق عن سردهم الصحف وفي هذا كله دليل داعي على تكنية السادات للبالغين الكبار أيضًا، انتهى.

وقد انفرد بالكني بيت أولاد السادات بمصر خاصة، وهي صبغة الله لمن توضع عليه، ولو كبير أو ربما كانت تحوله من حال إلى حال ببركته كما هو مشاهد محسوس، قال العلامة أبو الإرشاد علي الأجهوري: هي بإلهام من الله يفتح به على صاحب السجادة منهم لينطق به للمتلبس بما فتح به عليه أو يتلبس به بعد، قال في «البارق الأسنى في سر الكنى» للولي العارف بالله تعالى الشيخ إبراهيم الأقصرائي الشاذلي ما نصه: ومن ها هنا ظهر لنا حكمة سر اعتناء روح حضرة الجمال الأستاذ سيدي علي بن وفا بالكنى دون غيره من الكمل إلا منا، وهي سُنَّة حسنة تشير إلى اعتنائه ﷺ بتمام مقام الفناء الذي هو أتم الاستعدادات لتحصيل المقصد الأسنى، وهو

---

(1) رواه أحمد في المسند (191/3)، وأبو داود (91/1).

(2) رواه البخاري (169/1).

(3) رواه البخاري (2270/5)، ومسلم (1692/3).

الذي ينبغي لكل مرشد خصوصًا من ينهل من هذا المورد؛ لأن من لازم محو الرسم محو الاسم ليكون عنده من وجوده الذي كان به مع الحجاب ثم يتوجه عدم اعتناء غيره من الكمل الذين ساروا على سيره بها لحمله على معنى، وهو أنهم قصدوا إبقاء الاسم اتهامًا بعدم زوال الرسم سترًا على الحال، وغيره من أهل المحال إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

وأما مجالس الخرقة للمريد وهي في عرفهم المنديل، ويقال أنه التوارث من عهد سيدي محمد وفا والشد، وأول من أحدثه الشيخ أبو الفضل فزاد خيرًا فالأصل فيها ما رواه البخاري في صحيحه: «أن رسول الله ﷺ أتى بكسوة - وفي رواية: «بثياب فيها خميصة سودًا» -، فقال: من ترون نكسوا هذه الخميصة» - وفي رواية للجلال: «أحق بهذه» - فسكت القوم، فقال: آتوني بأم خالد، فأتى بها النبي ﷺ - وفي رواية: «فأتى بها تحمل»- فأخذ الخميصة بيده، فألبسها إياها، وقال: أبلي واخلقي مرتين»[1]، وكان فيها علم أخضر أو أصفر والخميصة- بفتح الخاء المعجمة، وكسر الميم، وسكون الياء التحتية، فصاد مهملة - ثوب من حرير، أو ثوب معلم، أو كساء مربع له علمان، أو كساء رقيق من أي لون كان، كما نقله شيخ شيخنا في شرح «المواهب»، واسم أم خالد أمة -بفتح الهمزة، والميم بلا إضافة - وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص، وكنيت باسم ابنها خالد بن الزبير بن العوام، كانت كما في «النبراس» من صغار الصحابة ﷺأجمعين.

والخميصة بفتح الخاء المعجمة وكسر الميم وسكون التحتية فصاد مهملة ثوب من حرير، أو ثوب معلم أو كساء مربع له علمان، أو كساء رقيق من أي لون كان، نقله شيخنا في شرح «المواهب اللدنية» واسمها أمة بفتح الهمزة والميم بغير إضافة كنيت باسم ابنها خالد بن الزبير بن العوام، وهي من صغار الصحابة كما في «النبراس» فاستفيد أن الخرقة شيء يدفعه الشيخ لتلميذه من نحو ثوب أو طاقية أو عمامة أو رداء أو سجادة، انتهى.

قال شيخنا الشمس الزرقاني في تلخيص «المقاصد»: لبس الخرقة المشهور بين

---

(1) رواه البخاري (2198/5).

الصوفية بالإسناد إلى الحسن البصري، وأنه لبسها من علي ﷺ، قال ابن الصلاح: باطل والحافظ ولم يرد في خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أنه ﷺ ألبس الخرقة على الصورة المتعارفة لأحد من أصحابه، ولا أمر أحدًا منهم بفعل ذلك، وكل ما يروى من ذلك صريحًا فباطل، قال: ومن الكذب المفتري قولهم ألبس علي الحسن البصري فإن أئمة الحديث لم يثبتوا سماعه منه فضلاً عن أن يلبسه الخرقة، وسبعة إلى ذلك الدمياطي والذهبي ومغلطاي والعراقي وابن ناصر وجماعة حتى ممن لبسها اقتداءً بالصوفية.

قلت: ألف جلال السيوطي «إتحاف الفرقة برفو الخرقة»، ورجح فيه سماع الحسن علينا لكن ليس فيه أن المصطفى ألبس عليًا، ولا أن عليًا ألبس الحسن الخرقة على الصورة المتعارفة، انتهى.

وقد بسطت الكلام على ذلك في «شرح التائية» للولي العارف بالله تعالى سيدي أحمد الشرنوبي .

وأما «أصغر القرص» قال شيخنا العلامة عبد الباقي الزرقاني ففي «المواهب اللدنية»: قد تتبعت هل كانت أقراص خبزه ﷺ صغار أم كبار فلم أجد في ذلك شيئًا بعد التفتيش، نعم روي أمره بتصغيرها في حديث عند الديلمي عن عائشة رفعته بلفظ: رفعته بلفظ: «صغروا الخبز وأكثروا عدده يبارك لكم فيه»[1]، واه بحيث ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات».

وعن ابن عمر مرفوعًا: «البركة في صغر القرص»[2]، وإن قال النسائي أنه كذب، ولكن روى البزار بسند ضعيف يعمل به في مثل هذا، عن أبي الدرداء مرفوعًا: «قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه»[3].

قال في «النهاية»: حكى الأوزاعي أنه تصغير الأرغفة، أشار إلى هذا في «المقاصد الحسنة»، فقوله في «المواهب»: قد تتبعت هل كانت أقراص خبزه ﷺ

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (194/4).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (31/2).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (202/3).

خاتمة

ونسأل الله حسن الخاتمة في المكنية ونسيبها، ولبس الخرقة أما سببها قال شيخنا العلامة شمس الملة والدين محمد الزرقاني في شرح «المواهب اللدنية» في ذكر اسمه وكنيته ﷺ ما نصه: وقد بلغني أن سبب الكني في العرب أنهم كان لهم ملك من الأول ولد له ولد توسم فيه أصحابه فشغف به، فلما نشأ وصلح لأدب الملوك أحب أن يفرد له موضعًا بعيدًا عن العمارة يقيم فيها، ويتخلق بأخلاق مؤدبيه، ولا يباشر من يصبغ عليه بعض زمانه، فبني له في البرية منزلاً ونقله إليه، ورتب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية، وأقام له حاجته من الدنيا وأضاف له من أقرانه بني عمه وغيرهم ليؤنسوه وليجيبوا الأدب بالموافقة، وكان الملك كل سنة يحضر ومعه من له عنده ولد يسأل عنهم ابن الملك، فيقال له: هذا أبو فلان وهذا أبو فلان للصبيان الذين عنده، فيعرفهم بإضافتهم إلى أبنائهم فظهرت الكنى في العرب، انتهى.

فهي سُنة قديمة في العرب مأمورٌ بها من حاز أعلى الرتب، وتركها من الناس الأغلب أحياها ساداتنا نضرهم الله، فكانوا أحق بها وأهلها لما لهم من نفحات القرب، قال ابن الأثير في كتابه «الربيع»: الكنية من الكناية وهي أن تتكلم بالشيء وتريد غيره لاحترام المكني بها، وإكرامه وتعظيمه لئلا يصرح في الخطاب باسمه.

ومنه:

أكْنِيهِ حِينَ أُنَادِيهِ لأُكْرِمَهُ وَلاَ أُلَقِّبُهُ وَالسَّوْءَةُ اللَّقَبُ

قال ابن الحاج: يتعين على المكلف أن يتحفظ من هذه البدعة التي عمت بها البلوى، وقل أن يسلم منها كبير أو صغير، وهو ما اصطلحوا عليه من تسميتهم بهذه الأسماء القريبة العهد بالحدوث التي لم تكن لأحد ممن مضي؛ بل مخالفة للشرع الشريف وهي فلان الدين، والعالم أولى من أن يحفظ على نفسه من هذه الأشياء وندب عن السنة في حق نفسه وفي حق غيره، وهو الإرداع على كل من حضره، وكلكم مسئول عن رعيته، فإذا نطق أحد بهذه إلا برفق وبلطف به في التعليم إلى أن قال: فإذا قال مثلاً محي الدين أو زكي الدين فلا بدّ أن يُسأل عن ذلك يوم القيامة، ويقال له: هذا هو الذي أحيا الدين وهذا هو الذي زكي الدين إلى غير ذلك، فكيف يكون حاله إذ ذاك ولو وقف أمرنا على هذا المكان قريبًا أن لو كان مانعًا؛ لأنه إذا تقرر عندنا أن هذا كذب وتزكية رجي لأحدنا التوبة والإقلاع؛ لكن ردنا على ذلك

بِالشَّعِيرِ! قَالَتْ نَنْفُخُهُ فَيَطِيرُ مِنْهُ مَا طَارَ[1].

قال الغزالي ﷺ: وهذا لا يقتضي أن اتخاذ المنخل لنخل الطعام منهي عنه، وإن كان أبدع بعد رسول الله ﷺ؛ لأن النهي بدعة تضاد وتدفع أمرًا من الشرع مع بقاء علته، وليس نخل الطعام كذلك؛ لأن القصد منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته إلى التنعم المفرط.

وعن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ قال: «ما أَكَلَ نَبي عَلَى خِوَانٍ قَطُّ»[2] بكسر أوله المعجم وبضم، ويقال كما في «المصباح» وغيره إخوان بالكسر مرتفع يهيأ ليوكل الطعام عليه لئلا ينخفض رؤوسهم فالأكل عليه بدعة لكنه جائز إن خلا عن قصد التكبر، ولا في سكرجة بضم أحرفه الثلاثة مع شد الراء، وقيل: الصواب فتح رائه؛ لأنه فارسي معرب عن مفتوحها، وهي كما قال ابن العربي: مائدة صغيرة ذات جدار، وقال غيره: هي إناء صغير يوكل فيها القليل، ويجعل فيه ما تشتهي حول الطعام على المائدة.

قال بعضهم: وقد تطلق على الكبير أيضًا، والمراد أنه لم يأكل على هذه الصفة قط؛ لأن لم يؤكل حتى يشبع فيحتاج لاستعمال المرحاض، والشهي بل كان لا يأكل لشدة جوعه، وقال أجوع يومًا وأشبع يومًا، ولأنها أوعية الألوان ولم تكن الألوان من شأن العرب إنما كان طعامهم الثريد عليه مقطعات اللحم، وقد طبعوا على السعة والسماحة واليسر في كل شيء، فلا يؤكلون في معدة القصعة الصغيرة التي هي علامة البخل والتكبر، وإنما يفعل ذلك العجم لما طبعوا عليه من الضيق والعسر والشح إلا من شرح الله صدره وطهر خلقه، والكلام في العرب الذين لهم عناصر سيئة لا مطلقًا، فقد كثر فيهم خلط السوء من عروق العجم، وأحلافهم وقوله في الحديث ولا خبز مرقق بينا خبز للمفعول وبشد القاف الأولى المفتوحة ما رققه الصانع وجعله رقيقًا، وهو الرقاق بالضم يعني لم يكن له يخبز له خبز ملين مبيض كالحواري؛ لأن عامة خبزهم إنما كان الشعير والرقاق، إنما كان الشعير والرقاق إنما يتخذ من دقيق البر

---

(1) رواه أحمد (2146)،

(2) رواه البخاري (4967).

وليس ذا من شأن العرب.

قال: فقلت لقتادة فعلى ما كانوا يأكلون؟ قال: على هذه السفر جمع سفرة وأصله طعام يتخذه المسافر، والغالب حمله في جلد مستدير فنقل اسمه لذلك الجلد فسمي به لذلك، والخوان كما قاله الحكيم الترمذي هو المرتفع عن الأرض بقوائمه، والمائدة ما يمد ويبسط لتؤكل عليه، والسفر ما أسفر عما في جوفه.

قال الحسن ﷺ: الأكل على الخوان فعل الملوك، وعلى المنديل فعل العجم، وعلى السفرة فعل العرب وهو سنة وما يحقق أن المائدة ما يمد ويبسط ما جاء في التنزيل قالوا نزلت سفرة حمراء مدورة، انتهى والله أعلم.

ولنختم هذا التحصيل بأبيات تمثل أبو جعفر المنصور عند وفاته، فقال :

المَرءُ يَرغَبُ في الحَيا ... ةِ وَطولُ عَيشٍ قَد يَضُرُّهُ

تَفنى بَشاشَتُهُ وَيَبقى ... بَعدَ حُلوِ العَيشِ مُرُّهُ

وَتَسوؤُهُ الأَيّامُ حَتّى ... ما يَرى شَيئاً يَسُرُّهُ

كَم شامِتٍ بي إِن هَلَكـ ... ـتُ وَقائِلٍ للهِ دَرُّهُ

قال جامعه العبد الفقير علي أبو جابر بن العلامة الشيخ عامر بن حسن بن حسن بن علي بن حسن بن حسن بن علي بن سيف الدين بن سليمان بن صالح ابن الولي العارف بالله تعالى سيدي علي المغراوي بن نصير بن عبد المحسن بن عبد البر بن موسى بن حماد بن داود بن تركي بن قرشلة بن أحمد بن موسى بن يونس بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن الأنور بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

هذا خاتمة ما قصدت تحريره في هذه الأوراق مستعينًا بالواحد الخلاق على ما تكدر وصفي من هذا العيش أوراق، ونسأل الله حسن الخاتمة في المآل والتوفيق في الأقوال والأفعال بجاه من فتح به الهداية وزال به الضلالة، وختم به الرسالة ﷺ وصحبه الأخيار، ونعوذ بالله من سر الأسرار وكيد الفجار، ونسأله ستر العيوب إنه كريم ستار.

تعان الستر إن صادفت عيبًا ... ولا تعجل بما تبديه واحذر

وما يدريك أن له صوابًا ... فأنت إلى الخطأ من ذاك أجدر

وكان الفراغ من جمع هذه الأوراق صبيحة ثاني عشر رمضان المعظم قدره ومر من سنة أربعين ومائة وألف من حجرة من له العز والشرف عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

خاتمة شريفة

قال الشيخ العوضي في «مناهل الصفا»: نظم أبو العباس أحمد شهاب الدين الملوي الحيري، بأمر خاله المذكور، فقال - ضاعف الله لنا وله الأجور:

قالَ الفقيرُ الملوِي أحمدُ   المرتجي لعفوِ ربٍّ يُعبد

الحمدُ للهِ الذِي قَد أنعمَا   بالنسبِ الطاهرِ جلَّ منعما

ثُمَّ الصلاةُ والسلامُ أبدًا   علَى رسولِ اللهِ خيرُ مَن هدَى

والآلُ والصحبُ مَع الأتباعِ   الحائزينَ حسنُ الاتباع

وبَعْد فالمقصودُ نظمنَا نسبْ   ساداتنَا أهلُ الوفَا لَمن طلَب

فنبتدي بصاحبِ التوفيقِ   والرشدِ والسدادِ بالتحقيق

أعنِي بهِ الأستاذَ عبدَ الخالقِ   وهوَ أبو الخيرِ لدَى الخلائق

والعبدُ للوهابِ فاعلمْ أبهُ   وهوَ أبو التخصيصِ لا يُشتبه

وهوَ ابنُ يوسُف أبِي الإسعادِ   ذِي النورِ والإرشادِ والإمْدَاد

وذَا هوَ ابنُ العبدِ للرزاقِ   أبِي العطاءِ ظاهرُ الإشرَاق

ابنُ أبِي المكارمِ الربانِي   يُدعى إبراهيمُ ذِي العرفان

ابنُ محمَّدِ أبو الفضلِ وفَا   ابنُ أبِي مكارمٍ بلاَ خفَا

ابنُ محمَّدِ محبُّ الدينِ   يُدعى أبَا الفضلِ المتينِ الدين

ابنُ محمَّدِ أبِي المراحمِ   ابنُ أبِي الفضلِ بلاَ مُزاحم

وهوَ الشهيدُ العبدُ للرحمنِ   ابنُ أبِي العباسِ ذِي التِبيان

أيْ أحمدُ ابنُ سيدِي أهلُ الوفَا   محمدٌ وهوَ الشهيرُ بوفَا

أبِي التدانِي عامَ سُبعمائة   والنينِ ميلادُ بغيرِ مريَّة

إسكندريةُ بهَا الميلادُ   فنارتْ الآفاقُ والبلاد

ابنُ محمَّدِ عظيمُ القربِ   ابنُ محمَّدٍ وليُّ الرب

العارفُ الشهيرُ بالنجمِ وذَا ابنٌ لعبدِ اللهِ قادرِ المآخذا
وهوَ ابنُ أحمدَ بنْ مسعوداتِي وهوَ ابنُ عيسَى هكذَا قدْ ثبتَا
وهوَ ابنُ أحمدَ بنْ عبدِ الواحدِ وهوَ ابنُ عبدِ اللهِ ذي المحامد
وهوَ ابنُ عبدِ الكريمِ البارِي ابنُ محمَّدٍ بلاَ إنكار
وهوَ ابنُ عبدِ السلامِ فاعلمَا ابنُ حسينٍ بنْ أبي بكرٍ سما
وذَا عليُّ بنُ محمَّدٍ عُلم ابنٌ لأحمدَ بنِ إدْريسَ فُهم
وهوَ ابنُ عبدِ اللهِ وهوَ ابنُ الحسنِ الأنورُ ابنُ السبطِ ذِي القربِ الحسن
ابنُ عليٍّ مظهرُ العجائب لدَى الوغَى ممزقُ الكتائب
والحمدُ للهِ علَى الإنعامِ والشكرُ للهِ علَى الدوام
ثُمَّ الصلاةُ والسلامُ الأكملُ علَى نبيِّنَا الكريمُ الأفضل
وآلهِ وصحبهِ ومَن علَى نهجِ السدادِ بالمكارمِ تلاَ

[وهذا نظمٌ] نظمه أيضًا السيد مرتضى في قصيدة قال: تتضمن نسب سيدنا المشار إليه صاحب السيادة والوقار، والمحامد التي إليها يُشار:

وما زالت شموس سعده في سماء وجوده مشرقة، ولا برحت سحب مكارمه على وافديه مغدقة آمين، وهي هذه:

مدحتُ أبَا الأنوارِ أبغِي بمدحهِ وفورُ حظوظِي مِن جليلِ المآربِ
نجيبًا تسامَى فِي المشارقِ نورهُ فلاحتْ هواديهُ لأهلِ المغاربِ
محمدٌ البانِي مشيدُ افتخارهُ بعزِّ المساعِي وابتذالِ المواهبِ
ربيبُ العلاَ المخضلُ سيبُ نوالهِ سمَا الندَا المنهلُ صوبَ السحائبِ
كريمُ السجايَا العزُّ واسطةُ العلاَ بسيمُ المحيَا الطلقُ ليسَ بغاضبِ
حوىَ كلَّ علمٍ واحتوَى كلَّ حكمةٍ ففاتَ مرامُ المستمرِ المواربِ
بهِ ازدهتْ الدنيَا بهاءً وبهجةً وزانتْ جمالًا مِن جميعِ الجوانبِ
مخاملهُ تنبيكَ عمَّا وراءهَا وأنوارهُ تهديكَ سبلَ المطالبِ

لهُ نسبٌ يعلُو بأكرمِ والدٍ ... تبلجُ عنهُ عَن كريمِ المناسبِ

بيوسفَ مهديُّ الزمانِ امينةً ... رشيدُ أبوَّةِ الإرشادِ مولَى الرغائبِ

ووالدهُ عبدُ الوهابِ سرهُ ... خصيصُ أبو التخصيصِ فخرُ الأقاربِ

وكانَ أبو الإسعادِ يوسفُ سيدًا ... كريمُ المزايَا مسترقُ المآربِ

ووالدهُ المولَى الرئيسُ أبو العطَا ... هوَ العبدُ للرزاقِ جمُّ المناقبِ

وما زالَ إبراهيمُ والدهُ لهُ ... مكارمُ تغرِي بينَ أهلِ المراتبِ

ووالدهُ الشمسُ المضيءُ محمدٌ ... أبو الفضلِ مولانَا علَى المناصبِ

وكانتْ لإبراهيمَ تنمَى مكارمٌ ... تسامتْ إباءً عَن عيونِ الرواقبِ

ووالدهُ الشهمُ النجيبُ محمدٌ ... أبو الفضلِ مجذوبُ العلاَ خيرُ جازبِ

ووالدهُ شمسُ الكمالِ محمدٌ ... مراحمهُ تصفُو لأهلِ المشاربِ

ووالدهُ المولَى أبو الفضلِ والتقَى ... هوَ العابدُ الرحمنُ اكرمُ صاحبِ

ووالدهُ المولَى الممجدُ أحمدُ ... شهابُ العلاَ الوضاحُ بينَ الكواكبِ

ووالدهُ ربُّ الوفَا محمدٌ ... أبو الفضلِ نجلُ المصطفينِ الأطايبِ

بهِ جمعَ اللهُ السيادةَ كلَّها ... لأولادهِ الأعلامُ ضربةُ لازبِ

ووالدهُ تربُ الفخارِ محمدٌ ... علاَ سؤددًا فِي كلِّ فخرٍ مقاربِ

ووالدهُ أنهادُ الولِي محمدٌ ... هوَ التاجُ مَضنُو الحلومِ الثواقبِ

أعزُّ الورَى بيتًا واشرفُ عنصرًا ... واطهرُ عرضًا مِن غميزةِ عائبِ

تسنمُ مِن عزِّ المناقبِ ذروةً ... أبى شاوهَا أنْ يستكنَّ لطالبِ

ونالَ بعبدِ اللهِ اشرفَ نسبةٍ ... بيضَ اولِي الأخبارِ مِن كلِّ ناسبِ

ووالدهُ المولَى الممجدُ احمدُ ... شهابُ العلاَ الجالِي ريونَ الغياهبِ

سمَا فِي سماءِ المجدِ كوكبُ فخرهِ ... بمسعودِ المولَى سليلُ المناجبِ

ووالدهُ عيسىَ أبو الروحِ قدْ علاَ ... وفاتَ بشاوِ الفضلِ وخدَّ الركائبِ

ووالــدهُ المولَــى الــشهابي أحمدُ مآثــرهُ لمْ يحــصهَا عــدُّ حاسبِ
أبــوهُ رئــيسُ القــومِ عبدُ الواحدِ تــوحدُ عَــن قــرنٍ يليهِ وصاحبِ
وكانــتْ لعــبدِ اللهِ فــيهم فضائلٌ مــبراةٌ عَــن عاديــاتِ المــثالبِ
ووالــدهُ عــبدُ الكــريمِ وإنْ ذَا أبــاهُ ســليلُ الطيــبينَ الأناجــبِ
محمــدٌ الراقِــي ذرَى الفخرِ والعلاَ قــويمُ المعالِــي مــستدرُ الضرايبِ
ووالــدهُ عــبدُ الــسلامِ وإنْ ذَا أبَــا حــسينٍ ناجــبٌ وابنَ ناجبِ
وكــانَ أبــو بكــرٍ تــزينَ بالحجَا إذَا الحلــمَ أزهــاهُ قطوبُ الحواجبِ
ومَــا زالَ يــستعلَى علــيٌّ بمجدهِ ويتــبعُ آمــالَ البعــيدِ المــواغبِ
ووالــدهُ الــبدرُ المــنيرُ محمــدٌ فــضائلهُ لمْ يــدنهَا هــمُّ راغــبِ
وأكــرمُ مأمــولٍ لــرفدِ تــوجهتْ إلــيهِ نجيــباتُ المطايَــا الجــنايبِ
تــروحُ خفافًــا نحــوهُ ثُمَّ تغتدِي بوفــرِ عطايــاهُ ولــيدِ الحقايــبِ
وعمــرِي لقَــد كانتْ لإدريسَ قبلهُ محاســنٌ تأبَــى أنْ تطــوعَ لغالــبِ
وكــانَ رئيــسًا فِي الملوكِ ممجدًا وتاجًــا علَى هاماتِ أهلِ المواكبِ
ووالــدهُ إدريــسُ الأكــبرُ قدْ بنَى معاقلــهُ فِــي مــشمخرِّ الأهاضبِ
وأبقَــى لمَــن بعــدِ المحامــدِ كلّها تلــيدُ تــراثٌ عَن حميدِ المضاربِ
ومِــن قــبلِ عــبدُ اللهِ والــدهُ سمَا بــإرثِ حــواهُ مِــن قرومٍ أشايبِ
هــوَ المحضُ قدْ حيزتْ لهُ جودُ حاتمٍ وحكمــةُ لقمــانَ وهمَّــةُ حاجــبِ
أبــو المثنِــي كــانَ أكرمَ مَن عنتْ لــهُ الأرضُ مِن ماشٍ عليهَا وراكبِ
إلَــى الحسنِ السبطِ الشهيدُ اعتزازهُ فأكــرمْ بــهِ مولىً شريفُ المناسبِ
هــوَ ابــنُ رســولِ اللهِ الفضلُ خلقهِ ومَــا بعدهُ فِي الفخرِ مسعىً لذاهبِ
علــيهِ ســلامُ اللهِ فِــي كلِّ شارقٍ الاحَ لــنَا ضــوءًا وفِي كلِّ غاربِ

أمرني سيدنا، المشار إليه أن أنظم نسب جديه، فقلت مشيرًا إلى المقام الفاخر،

ممتثلاً لأمر هذا السيد الأمر:

هـذهِ روضـةٌ وهـذَا مقـامٌ ... مـشاهدُ نـورٍ وقطـبٌ إمـام
مَـن يلـذْ أوْ يعـذْ بـذاكَ وهذَا ... طـارَ عـنهُ الـردَى وطاعَ المَرام
كـيفَ لاَ وهـوَ لـيثٌ غابٍ منيعٍ ... غـيثُ أمطـارٍ مَـا لهـنَّ انسِجام
كَـم لـهُ مِـن خـوارقٍ خارقَات ... فِـي الأعـادِي ومَـا لهـنَّ التِئام
كَـم لـهُ مِـن محاسـنٍ شـاهدتهَا ... أعـينُ الـشاهدينَ والأفْهَـام
كَـم لـهُ مِـن مناقبٍ عجزتْ عنْ ... حـصرِهنَّ الطـروسُ والأقْـلاَم
مَـن يـردْ حـصرهَا ودركَ علاهُ ... يـنقلبْ خاسـئًا علـيهِ المـلام
خلفـتهُ ذريـةٌ بعـضهَا يـا ... صَـاحِ مِـن بعـضٍ كلـهَا قـوَام
كابـرٌ بعـدَ كابـرٍ وهـلالٌ ... عَـن هـلالٍ تـزهُو بـهِ الأيَّـام
وطـراز العـوالي مـنهم فـريدٌ ... عَـمَّ مـنهُ زمانـنَا الإنعَـام
ذَا أبـو الأنـوارِ الـذِي لعـلاهُ ... قـدْ أطـاعَ الملـوكُ والحكَّـام
شـبلُ ذاكَ اللـيثُ الـذِي بحماهُ ... وبـساحاتِهِ تهـونُ العِظـام
ذَا علـيٌّ لـبُّ الـوفَا وولِيٌّ ... هاشمـيٌّ فِـي الأولـيَا هُمـام
مَـن يـضاهيهِ نـسبةً وكمـالاً ... انْ يقـيمَ فِـي سـوقِ الفخارِ قِيام
وأبـو محمـدٍ ذُو الـوفَا مَـن ... بكـراماتِهِ اقـرَّ الأنَـام
وابـوهُ محمـدٌ كانـتْ قَـد حلَت ... علـيهِ مهابـةٌ واحتـرام
وابـوهُ محمـدٌ ذُو التقَـى مَـن ... بمحـياهُ قَـد أضـاءَ الظَـلام
مَـن هـوَ الـنجمُ لاَ خفَـا وابوهُ ... هـوَ عـبدُ اللهِ الـرئيسُ الـتمام
وابـوهُ الحـسيبُ احمـدُ حقًـا ... مَـن بـهِ عـزُّ الـدينِ والإسـلاَم
ابـنُ مـسعودٍ مَـن بحـقٍّ تقـاهُ ... سـعدَ العالمـونَ والأعْـلام
وابـوهُ الـسامِي أبو الروحِ عيسَى ... ذُو الـسماةِ الغـرِّ الـتِي لاَ تُسام

وأبوهُ الحميدُ أحمدُ مولًى ... كلُّ مَن بالهدَى لهُ إلمَام

وأبوهُ الوحيدُ جدًّا ومجدًا ... سيدي عبدُ الواحدِ المِقْدام

ابنُ عبدِ اللهِ الذي دامَ يرقَى ... في المعالي حتَّى أتاهُ الحمام

وأبوهُ عبدُ الكريمِ كريمٌ ... مَن يديهِ عمَّ الورى الإكْرام

وأبوهُ محمدٌ طابَ نفسًا ... حمدتهُ مِن العبادِ الكِرام

وأبوهُ عبدُ السلامِ عليهِ ... رحماتٌ مِن ربهِ والسلام

ابنُ أستاذِ المحسنينَ حُسين ... حسنتْ سيرةٌ بهِ الأقوام

وأبو بكرٍ التقيُّ أبوهُ ... وعليٌّ أبوهُ ليسَ يُضام

وأبوهُ محمدٌ كانَ نجلاً ... مِن ندًا كفِّهِ يَغارُ الغمام

ابنُ إدريسَ التاجِ مَن بحلاهُ ... تتحلَّى الجواهرُ الأيتام

ابنُ إدريسَ الأكبرِ القطبُ قطعًا ... زادهُ مِن أفضالِه العلَّام

ابنُ عبدِ اللهِ الكبيرُ المزكيُّ ... مَن هوَ المحضُ الخالصُ القَوام

وأبوهُ المثنيُّ عليهِ المثنيُّ ... الحسنُ الماجدُ الحفيدُ العصام

وأبوهُ السبطُ السعيدُ الشهيدُ ... الحسنُ الطاهرُ الطهورُ الختام

نسبُ كلُّ عقيدةٍ حسنٍ ... ليسَ إلاَّ بهَا يتمُّ النظام

أصلهُ المصطفَى الصفيُّ عليهِ ... مِن إلهِ السمَا صلاةٌ وسلام

وعَلى آلهِ وأصحابهِ مَا ... صاحَ طيرٌ ومَا تغنَّى حمام

وانتمَى البدري العويضِي إليهم ... حسنٌ ذَا الخويدمِ المُستهام

أوْ شدَا شائدٌ وقالَ وأنشَا ... هذهِ روضةٌ وهَذا مقَام

انتهى المراد نقله منه، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلم كثيرًا.

❁❁❁

فهرس المحتويات

المواهب السنية شرح حزب الفتح للسادة الوفائية

خصوصية الاصطفا لأهل الوفا

مناهل الصفا بإثبات نسب السادات بني الوفا بآل المصطفى ﷺ

AL-MAWĀHIB AL-SANIYYAH
ŠARḤ ḤIZB AL-FATḤ LIL-SĀDAH AL-WAFĀʾĪYYAH

by

Muḥammad ben Tājuddīn al-Wasīmi

Followed by

ḪUṢŪṢIYYAT AL-ʾIṢṬIFĀ LI ʾAHL AL-WAFĀ

by

Sīdi ʿAli Wafā ben Muḥammad Wafā

Followed by

MANĀHIL AL-ṢAFĀ
BI ʾIṮBĀT NASAB AL-SĀDĀT BANI AL-WAFĀ
BI ʾĀL AL-MUṢṬAFĀ ﷺ

by

ʿAli ben ʿĀmir al-ʾĪtādi

Edited by
Aḥmad Farīd al-Mizyadi